هذا شرح مصباح الظلم على النهج الأتم في تبويب
الحكم للعالم العلامة والنحرير الفهامة الشيخ
محمد نووي البنتني الجاوي والتبويب
المذكور للعلامة علي المتقي
الهروي نفع الله بهما
المسلمين آمين

وبهامشه شرح البردة للمؤلف المذكور

(الطبعة الاولى)

طبع في المطبعة الميرية الكائنة بمكة المحمية
في سنة ١٣١٤ هجرية

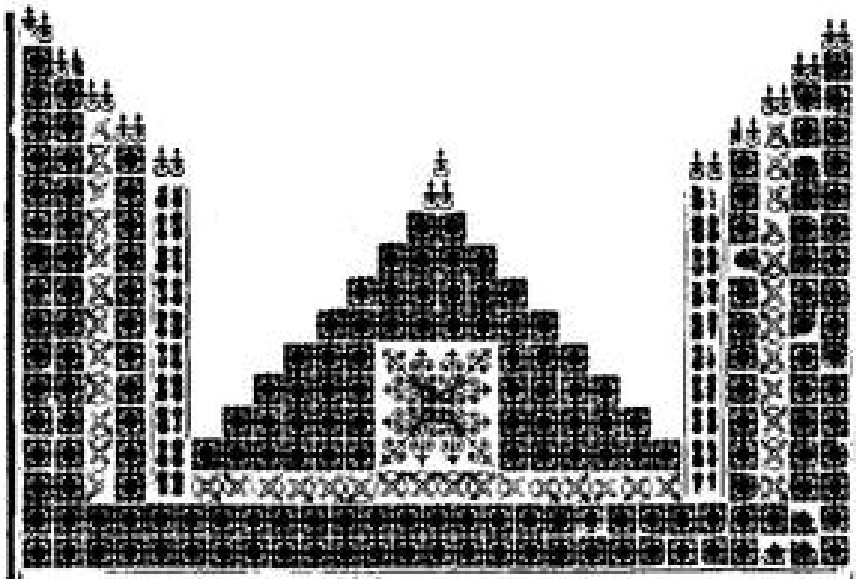

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموجد للاشياء بالحكم * أحمده على ما أولانا من النعم * وأشهد أن لا اله الا الله المتفرد بالتقدير والتدبير * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله البشير النذير * والصلاة والسلام على من أوتى جوامع الكلم والحكم * وعلى آله خير الامم * وأصحابه المتصفين بنفائس الشيم ❖ أما بعد ❖ فانى قد رددت من التمس منى أن أكتب شرح الحكم لابن عطاء الله وقلت له ان الحكم شروحها كثيرة مع انى لست أهلا لذلك فلازرت المدينة المنورة صادفت هناك الحكم مرتبة قد رتبها الشيخ على الشق الهروى فسنح خاطرى أن أكتب عليه شرحا يجلبة للانس وأن آخذ من كلام الحكماء مستأنسا بروايتين (الاولى) ما خال فى المثل ان الدنيا خربت منذ مات المزنى لانهم كانوا يعملون على البر مثل الرباطات والقناطر والمساجد فكان للناس فيها منفعة وان كانت للرياء فربما ينفعه دعاء احد من المسلمين كما روى عن بعض المتقدمين أنه بنى رباطا وكان يقول فى نفسه لا أدرى أ كان على هذا الله تعالى ام لا فأتاه آت فى منامه فقال له ان لم يكن على ذلك الله تعالى فدعاء المسلمين الذين يدعون لك فهو لله تعالى فسر بذلك والرواية (الثانية) ما قاله سيدى ابو المواهب الشاذلى رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله انى متطفل فى علم التصوف فقال صلى الله عليه وسلم اقرأ كلام القوم فان المتطفل على هذا العلم هو الولى واما العالم به فهو النجم الذى لا يدرك ❖ وسميته ❖ مصباح القلم * على النهج الأتم * فى تبويب الحكم * وعلى الله التفويض وعليه اتكالنا التطلع وبه تعالى التوفيق ومنه الهداية الى سواء الطريق آمين (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ملهم الصواب) اى ملقى الصواب فى القلب (الكاشف لعباده عن وجوه المعانى ستر القناب) اى ستر الغطا (والصلاة والسلام على سيدنا محمد) صلى الله عليه وسلم (خير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أصل وجود جميع المخلوقات * والصلاة والسلام على من خصه الله تعالى بخطابه الأعلى بقوله تعالى لولاك لولاك لما خلقت الافلاك ولا أرضا ولا سموات * وعلى آله تابع الحكم وأصحابه الذين ظفروا بأخصيات السبق باتباع أوامره * وبشربهم من كؤس محبته فنافزوا بأعلى الدرجات * وعلى التابعين لهم بالصدق والتعظيم لما روى من أحب قوما حشر معهم وان لم يعمل بعملهم (أما بعد) فهذا شرح لطيف على البردة

من أوتي الحكمة) أي العلم النافع (وفصل الخطاب) أي بيان الكلام بتمييز الحق من الباطل (وعلى آله وأصحابه الذين كانوا في أقطار الاراضي) أي في نواحي الاراضي (لفهم المعاني أقطاب) أي أعمدة وأدلة (أما بعد فيقول أحقر عباد الله المفتقر الى لطفه الصمدي) أي الذي يقصد اليه في الحوائج (علي بن حسام الدين الهندي) وهو الامام العمام المحدث البهروي (غفر الله له ولوالديه والمؤمنين والمؤمنات لما رأيت كتاب الحكم المنسوب الى الشيخ الامام الصفي العارف المكاشف الولي أبي الفضل تاج الدين احمد) بن محمد (بن عبد الكريم) ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن عيسى (بن عطاء الله السكندري) اي دارا الفراقي مزارا الصوفي حقيقة الشاذلي طريقة المالكي مذهبا الجذامي نسبا وجذام قبيلة من حمير وهو الكامل المكمل الفاضل العالم الرباني ترجمان العارفين أبو بدة زمانه ونخبة عصره وأوانه المتوفى في جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعمائة وتسع بالقاهرة (رضي الله عنه احسن الكتب في علم القوم) اي العارفين (وقد تصدى) اي اقبل (الناس الصوفية من المتقدمين لشرحه) اي ذلك كتاب الحكم (وما علمت أن احدا تعرض) اي اقبل (لجمعه على نهج الابواب) اي ايضاح الابواب (فحملني أن أبوبه وأترجمه) اي ظهر لي ان اجعل هذا الحكم ابوابا وأن افسره في كل باب (وانظم) اي ابحث في هذا الترتيب (كل حكم تناسب في بابها وترجمتها) اي تفصيلها بالابواب (تسهيلا وتقريبا لحفظ الالفاظ والمعاني) اي انما رتبت هذا الحكم لاجل تسهيل حفظ ألفاظه ولاجل تقريب معانيه لطلاب لان المتعلم يفهم مراده بمجرد رؤية ترجمة كل باب من أبوابه (وليكون كالشرح الموجز للمباني) أي وليكون هذا المجموع كالشرح القصير لالفاظ الحكم العطائية السريع لافهام معانيه ﴿ وسميته ﴾ أي هذا الحكم المترجم (النهج الاتم في تبويب الحكم ، منجزا في ثلاثين بابا) مشتملة على مائتين وثلاثة وخمسين حكمة ومنجزا اما حال من الفاعل اي حال كوني منتهيا في ثلاثين بابا او من المفعول أي حال كون هذا البوب متمما في ذلك وقد أشار الى الباب الاول منها فقال

﴿ باب العلم ﴾

قدم الصنف العلم لانه بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة الثمرة وذكر في هذا الباب ثلاث حكم ، الاولى قوله (العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب قناعه) أي العلم الوارد ذمه في الآثار هو العلم الذي ينبسط في صدر العالم والسامع ضياء نوره فينشرح القلب للاسلام ويكشف عن قلب العالم والسامع غطاءه فتزول عنه الشكوك والاوهام وهو علم الشريعة وآدابها والعلم بالله الذي جاء به الرسول من ربه ، والحكمة الثانية ، قوله (خير علم ما كانت الخشية معه) وهو الخوف من الله مع الاجلال لان الخشية تنشأ عن صفات فكل علم لا خشية معه لا خير فيه وعلامة الخشية الاعراض عن الدنيا وعدم المبالاة بالخلق اقبالا وادبارا ، والثالثة ، قوله (العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك) أي العلم ان صاحبته الخشية وهو شهود جلال الله وملازمة طاعته فلك أجره والا فصاحبه الخشية فعليك وزره قال الامام القرافي من عمل بما علم فقد أطاع

الشيخ الاديب أشهر العلماء وأفصح الحكماء العالم العامل شرف الدين محمد ابن سعيد بن حماد الدلاصي مولدا الغربي أصلا البوصيري منشأ والله اشتهرت هذه القصيدة بالبردة لان الشيخ لما نظمها قصد البرء من داء الفالج الذي أبطل نصفه حتى أعجز الاطباء رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فمسح يده عليه وألقه ببردته فبرئ لوقته وقيل انه استنشده بعد نظمها فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقرأ عليه شيأ منها فنفل في عينيه فبرئ لوقته ولذا قال بعضهم المناسب لهذه القصيدة أن يقال لها البرئة لان الناظم برئ بها وأما

الله ساعتين ومن لم يعلم ولم يعمل فقد عصى الله معصيتين ومن علم ولم يعمل بمقتضى علمه فقد أطاع الله طاعة وعصاه معصيتين وهذا ان قرأ العلم بغاية الرغبة ناقصة عن كمال الاخلاص امامن قرأ بغية جمع المال والرياسة فليس له رجوع الان تدارك ذلك توبة وقال سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه ما وصلت الى الله تعالى بقيام ليل ولا بصيام نهار ولكن وصلت الى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدور والنداء بلسان الذل والافتقار ورؤية الفضل والمنة من الله تعالى والتبرى من الحول والقوة اه ولا بد لمن أراد معرفة الله تعالى من تعلم العلم النافع الذى يؤدى به العبادات ويعرف به صفات النفس الباطنة ويقدم قبل الجميع معرفة عقيدة أهل السنة والجماعة ليعرف ما يجب لله وملائكته ورسله وما يستحيل وما يجوز ليسلم من التصورات الفاسدة ولذلك كانت طريقة السادة الصوفية مبناها على طلب العلم وكثرة الذكر مع الحضور وكانت بهذا الاعتبار أسهل الطرق وأقربها فى الوصول الى معرفة الله تعالى وهذا الكتاب مبنى على علم الفقه والتوحيد فالمتصوف بدون فقه كالله فى الظاهر حسن وفى الباطن فاسد وقال الشيخ ابو مدين لا يصلح سماع علم الطريقة الا لمن حصلت له أربعة امور الأول علم الشريعة المتعلق باصلاح الظاهر فمن لم يعرف السالك اصلاح ظاهره لا يتأتى له معرفة اصلاح باطنه والثانى الزهد وهو ترك فضول الحلال والثالث التوكل وهو الاكتفاء بعلم الله فيك عن تعلق القلب بسواه والرابع اليقين وهو الاعتقاد الجازم بأن ما الله ورسوله حق فتعلم حالا وذوقا ان الله ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه فلم يخلق الله تعالى الحواس الا ليصرفها فى الطاعة ولم يخلق له القلب الا ليعمله موضعا لذكره فمن حصل له اليقين الذوقى على هذا النوع لم يصرف اللسان الا فى ذكر الله تعالى ولم يصرف الاذن الا فى استماع ما يوصله الى مولاه ولا يصرف بصره الا فيما يطلعه فى عقباه وهذا الكتاب موضوع لبيان طريقة السادة الشاذلية فالسلوك عليها ممزوج بالجذب من أول وهلة لتعلق القلب بالمنهو هو مقام الشكر فلا تكلف على العامل ولا مشقة ولهذا قال سيدى عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه من دلك على العمل فقد تعبك ومن دلك على الله تعالى فقد تصصك اى من دلك على العمل المجرد عن اصلاح القلب وعن رؤية الفضل والمنة من الله تعالى فقد أتعبك ومن دلك على العمل مع اصلاح القلب ورؤية الفضل والمنة من الله تعالى على ذلك العمل فقد دلك على الله تعالى وقد تصصك وقال سيدى ابو العباس المرسى رضى الله عنه قليل من العمل مع شهود المنة خير من كثير من العمل مع رؤية التقصير من النفس امامن يلاحظ قاعدة التكليف والأمر والنهى فقط فشق عليه الأعمال وسلوكها وتطول فى حقه المسافة كما هو طريقة الامام الغزالى فانه جعل الطريق سبع عقبات آخرها عقبة الشكر فيكون السالك يشق عليه السلوك فى الست التى قبل الشكر * العقبة الاولى * عقبة العلم فانفع العلوم العلم بأحكام العبد وهو العلم الذى يعرف به اصلاح الظواهر الخدمة والبواطن الوقوف بالحضرة وذلك علم الشريعة والطريقة وأرفع العلوم علم التوحيد وهو تنزيه الله عن مخلوقاته * والعقبة الثانية * عقبة التوبة لان شؤم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان * والثالثة عقبة العوائق * وهى أربعة الدنيا والخلق والشيطان والنفس فينبغى ذم آفات الدنيا وقلة نفعها وسرعة فسادها وينبغى استغراق الأوقات فى العبادة والاستيحاش من

المناسب لان يقال بردة فهو قصيدة كعب بن زهير المشهورة بانت سعاد لان النبى صلى الله عليه وسلم أجازه عليها بردة حين أنشدها بين يديه وهذه القصيدة تصير عدة فى كل شدة ولذلك قصدت التبرك بحمدها بكتابة شرح عليها ينتفع به الحتاج لقراءتها وكيف لا وهو صلى الله عليه وسلم خزانة السر وموضع نفوذ الامر فلا ينفذ أمر الا منه ولا ينقل خير الا عنه ولا يصل لمخلوق نعمة الا بواسطته كما قال صلى الله عليه وسلم أوتيت مفاتيح خزائن الارض ووضعت فى يدى ولنا أنشأ بعض العارفين وأنت باب الله فى الورى

صحبة الخلق وقطع الطمع عنهم بعزة والتبصر آفاتهم وعليك بمحاربة الشيطان بدوامة ذكر الله باللسان والقلب قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه قرأت ليلة من الليالي قل أعوذ برب الناس الى آخر السورة فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك بنسبك أطلعك الحبيب وذكرك أفعالك السيئة ليدل بك على حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله ورسوله وعليك بالحذر من النفس الامارة بالسوء فانها أضر الاعداء * والرابعة * عقبة العوارض الشاغلة عن عبادة الله وهي اربعة الرزق والاخطار المهلكة والقضاء المقدر والشدائد فان النفس تطالبك بالرزق ويكفيك التوكل على الله لتتفرغ للعبادة وكفاية الاخطار بتفويض الامر كله الى الله تعالى لامرين طمأنينة القلب في الحال وحصول الصلاح في الاستقبال لان الامور بالعواقب مجهولة ففوض الامر اليه تعالى وهو يتولى هذا التوكفاية القضاء في الرضا به فعليك ان ترضى بقضاء الله لتتفرغ للعبادة وتسلم من سخط الله وكفاية المصائب بالصبر فعليك بالصبر الوصول الى العبادة وحصول المقصود منها فان مبنى أمر العبادة على الصبر واحتمال المشقات * والخامسة * عقبة البواعث وهي الخوف والرجا فيجب عليك التزام الخوف الزجر عن المعاصي والا فيجب بالطاعة فتهلك ويلزمك استصحاب الرجا بالقلب ليبعث على الطاعة وليهون عليك احتمال الشدائد والمشقات * والعقبة * السادسة عقبة القوادح وهو العجب والرياء والكبر والحسد وحب الجاه وحب المال وطول الامل ويلزمك صيانة ذلك بالمداومة الاخلاص وذكر منة الله وفضله والتواضع والورع وقصر الامل وحب الموت * والعقبة السابعة * عقبة الجمود الشكر ويلزمك ذلك لدوام النعمة وحصول الزيادة والحاصل أن كلام الامام المزالي منظور فيه الى عموم الخلق الا المتمكنين في المعاصي والشهوات فانه لا ينفعهم الا كثرة المجاهدات وان كلام الامام الشاذلي مع الناس انهضت أعزامهم في الطاعات واجتناب الشهوات وتخلوا عن الصفات الذميمة وتسموا بالصفات الحميدة فيكفيهم بعد ذلك رؤية الفضل والمنة لله تعالى مع التبري من الحول والقوة

﴿ باب التوبة ﴾

وهي من أعمال القلب وهي تبرئة من الذنوب بأن يوطن قلبه ويجرد عزمه على أن لا يعود الى الذنب تعظيما لله وحذرا من سخطه وأليم عذابه لا لرغبة دنيوية أو رهبة من الناس أو لضعف في النفس او لفقر أو لغير ذلك وهذا باب ثان وذكر المصنف في هذا الباب خمس حكم والحكمة الاولى * قوله (كيف يشرق في قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته) قوله كيف استفهام انكاري بمعنى النفي اي كيف يضيء قلب بنور الايمان واليقين مع أن أعيان الوجودات مرتسمة في عين القلب باعتماده على ماسوى الله فان السير الى الله يقطع عقبات النفس التي يجمعها الهوى والشهوات الموجبة للمعاصي والهفوات أم كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته وأهيمي بل اي بل كيف يسير قلب سيرا معنويا الى مقام الصدق مع الله وقد ثبت أنه مقيد بشهواته والمقيد لا يمكنه السير فلا يرجع الى الله تعالى من تبطنه الذات والارادات أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته اي بل كيف يطمع في أن يدخل القلب مقام المشاهدة والمراقبة والحال أن القلب لم يتطهر من

آناء من غيرك لا يدخل وقد شاع على ألسنة الناس من الابتداء ببيت مشتمل على الحمد والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قولهم الحمد لله منشئ الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار في القدم وهذا ليس من هذه القصيدة لان عادة الشعراء افتتاح قصائدهم بذكر لوازم العشق من ذكر الاحبة وديارهم ونفاسة الاشواق وتحمل مكاره الفراق ويسمون ذلك غزلا ونشبيبا والناظم افتتح قبل الغوص على جواهر نعوت النبي صلى الله عليه وسلم بمخاطبة نفسه على سبيل التجريد سائلا عن سبب مزج

غفلاته الشبيهة بالجنابة والتطهر يكون بذكر الله ومراقبته فان الذكر في حضرة الله هي دائرة ولايته ومقام اختصاصه لخواص عباده وهو محل المعارف والاسرار فلا يصل العبد اليه الا بقطع العقبات التي بينه وبين ذلك المقام من توبة وصبر ورضى وشكر وغير ذلك ام كيف يرجو أن يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته اي بل كيف يرجو الشخص فهم دقائق الاسرار والحال انه لم يتب من معاصيه وذلك الفهم لا يحصل الا بتقوى قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله ما لم يعلم قال ابو هيم الخواص بينما انا في طريق مكة امشي اذ وقع في خاطري العزلة فانفردت عن الناس ومشيت ثلاثة أيام ما خطر في قلبي طعام ولا شراب فوصلت الى روضة خضراء فيها رياحين كثيرة ونهر من ماء فوقفت منبهرا منها فاذا أنا بنفر قد أقبلوا على عليهم مرقعات خشان فسلموا علي وحفوا بي فقلت من أنتم قالوا نحن نفر من الجان المؤمنين سمعنا القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم فسبقنا حلاوة كلامه جميع الهذات فانقطعنا الى الله تعالى في هذا المكان فقبض الله لنا هذه الروضة كما ترى ولقد اختلفنا في مسئلة وسألنا الله ان يقيض لنا من يبينها لنا فقلت كم بيني وبين المكان الذي فارقت أصحابي فيه قالوا ثلاثة أشهر وان هذا الموضع لم يصل اليه آدمي قبلك الا شاب اتانا وما نحن جلوس نتذاكر المسئلة فسلم علينا فرددنا عليه السلام وقلنا له من أين أقبلت قال من مدينة نيسابور خرجت منها منذ سبعة أيام قلنا وما أخرجك قال آية سمعتها قال الله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب الآية فقلنا له ما الانابة قال أن يرد الله تعالى عنك اليه فقلنا له فالعذاب قال عذاب الفراق ثم صاح صيحة وقع بيننا فوارى بناء وهذا قبره قال ابراهيم فنظرت فاذا قبره في وسط الروضة حوله رياحين كثيرة وعلى القبر مكتوب هذا حبيب الله قتيل الغيرة واذا طاقة نرجس كأنها رجى مطيبة وعلى ورقة منها مكتوب صفة الانابة فقرأتها وفسرتها لهم فقالوا كفينا جواب مسئلتنا وقع فيهم الغرب ووقع على النوم فانتبهت فاذا أنا عند مسجد شقة رضي الله عنها اه * الحكمة الثانية * قوله (لا صغيرة اذا قابلت عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله) اي استعظام ذنبك وان كان صغيرا لانه لا صغيرة اذا قابلت عدله وما ذاك وذاك ليكون استعظام الذنب باعثا لك على التوبة منه ولا تقنط من رحمة الله وعفوه وان كان ذنبك كبيرا لانه لا كبيرة اذا واجهك فضله وعفى عنك والمؤمن يكون بين الخوف والرجاء ويزن رجاءه المؤمن وخوفه لا عدلا وروى أن عليا رضي الله قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى أنك لو أتيت بحسنات أهل الارض لم يقبلها منك وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيت بسيئات أهل الارض غفرها لك * والحكمة الثالثة * قوله (اذا وقع ذنب فلا يكن سببا يئسك من حصول استقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) اي اذا صدر منك ذنب فلا يكن ذلك الذنب سببا يقتضي يأسك من حصول صدق العبودية مع ربك بل اجعله مفتاح الانابة الى الله رجاء وخوفا منه لان اليأس من رحمة الله كالاغترار بالذنب فانه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدر عليك وقد وقع ذلك منك وفرغت منه ولعله لم يبق عليك الا الاجتباء من الله تعالى * والحكمة الرابعة * قوله (من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الواجبات) أي من العبادات

دموعه بالدم السائل فقال أمن تذكر جيران بذي سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم *
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة * وأومض البرق في الظلماء من اضم *
والسلم بفتح العضاة وذو سلم موضع قريب من قديد وكاظمة موضع بين وقديد واضم بكسر الهمزة وفتح الضاد اسم جبل او اسم لواد بقرب المدينة الشريفة وهو اسم لجبل فوق بجمع السيول الثلاثة التي هي وادي العقيق ووادي بطحان ووادي قناة والمراد بالجيران الاحبة ويمزج الدمع بالدم شدة البكاء

التي يحصل بها وفاق اي صحبة بينك وبين ربك (وترك الندم على ماغلبك من وجود الزلات) اي ومع ترك العزم على عدم الفعل في المستقبل ومع ترك الاقلاع في الحال اي ان القلب اذا كان حيا بالايمان حزن على مافاته من الطاعات وندم على مافعله من المنهيات فلم يكن العبد بهذا الوصف فهو ميت القلب وعلاج موت القلب بالمواظبة على الذكر بقوة حتى يفرح بالطاعة ويأنس * والحكمة الخامسة * قوله (لايعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه) فلانهاية لذنب عند فاعله على وجهين أحدهما أن يعتقد انه عظيم فيحمله على التوبة منه فهذا محمود لان الطاعة كما استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كما استعظمت صغرت عند الله والثاني أن يعتقد عظمة الذنب فتوقعه في القنوط وتؤديه الى سوء الظن بالله تعالى فهذا مذموم قادح في الايمان لجهله بصفات الله تعالى الحسنى الجواد الكريم الغفار وكان يعرف الله تعالى حق المعرفة لاستصغر ذنوبه في مقابلة كرم الله تعالى وفضله فيكن خائفا من الله راجيا واخرج من سوء ظنك بالله تعالى فانه عند ظن عبده به

﴿ باب الاخلاص في العمل ﴾

فالاخلاص الابرار هو السلامة من الرياء والسمعة واخلاص المقربين هو العمل بقصد الامتثال من غير طلب جزاء واخلاص خاصة المقربين تجريد العمل من باعث غير قصد التقرب وهذا باب ثالث وذكر المصنف في هذا الباب سبع عشرة حكمة * الحكمة الاولى * قوله (الاعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها) اي الاعمال الظاهرة كالشباح ليس فيها أرواح فأرواحها التي بها قيامها وجود الاخلاص فيها والاخلاص ثلاثة أنواع الاول الاخلاص من الرياء والسمعة وقصد موافقة هوى النفس وهو طلب جزيل الثواب وحسن المآب وهرب من ألم العذاب وسوء الحساب وهذا اخلاص العوام وطريقة أن يعلم ان الخلق لاينفعون يتئ ولايضرون والثاني الاخلاص من ملاحظة الثواب وخوف العقاب وهو اخلاص الخواص وطريقه استحضار عظمة المعبود والثالث الاخلاص من رؤية العمل فلا يرى لنفسه في ذلك حولا ولا قوة وهذا مقام الصدق وهو اخلاص خواص الخواص * والحكمة الثانية * قوله (ما أردت همة سالت ان تقف عندما كشف لها الا وقفتك هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك) اي ما اراد همة سالت الى الله تعالى ان تقف عندما كشف له في اثناء الطريق من المعارف والاسرار والانوار الا وقفته لسان حال الحقيقة التي كشفت له سر وجد في السير ولاتقف ولاتعتقد أنك بلغت الغاية فان الذي تطلبه وهو وصولك الى المولى امامك لانك كما ازددت في الطاعة والمراقبة لاحت لك مقامات وانوار فلا تزال تترقى الى كمال جليل الكمال (ولانبرجت ظواهر الكونات الا وتحتها اكمن فتنة فلا تكفر) اي وما أظهرت لك ظواهر الوجودات محاسنها وزينتها من الكرامات كالمشي على الماء والطيران في الهواء وظهور روائح عزيزة والاطلاع على اسرار الخلائق وخواص الوجود الا وتحتها وامثال الوجودات نداء معنويا غض طرفك فانك نحن اختبار فلا تفتتن بنا ولا تقف عندنا فتحجب بنا عن الله تعالى فادامت لك ارادتي فأنت بعيد في الطريق لم تصل الى الله فلو فنيت عن جميع

والمقلة شحمة العين التي تجمع السواد والبياض وفيها الحدقة التي هي السواد الذي في وسط العين وتلك الحدقة فيها الناظر فان الناظم استفهم عن علة مزج الدمع بالدم والمعنى ماسبب اختلاط دمعك الجاري من مقلتك بالدم أهو من أجل تذكار الاحبة الغائبين القاطنين في ذي سلم أم من أجل هبوب الريح أم من أجل لمعان البرق من جانب منازل الاحبة فكل من هذه الثلاثة سبب داع للبكاء فالمحب يفكر دائما في محاسن محبوبه فاذا هبت الريح من جهة موضعه تخيل أنها جاءت برائحته اليه والحب أيضا يتخيل عند

المخلوقات لوصلت ، والحكمة الثالثة ، قوله (لا ترحل من كون الى كون) اى لا تتوجه بهمتك من مخلوق الى مخلوق آخر فلا تزال فى سلسلة الاغيار (فتكون كحمار الرحى يسير) اى ان علمت طالبا للدرجات ونيل المعالى من المقامات كنت كحمار الطاحون يسير دائما والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه او فان المكان الذى توجه الحمار اليه هو الذى انتقل الحمار منه باعتبار الجنسية لا باعتبار النوعية والشخصية وكذلك العمل لطلب الجزاء فيه انتقال من الرياء ونحوه الى طلب الجزاء فهو لم يصل الى خالص العبودية ولكن ارحل من الاكوان الى المكون اى ولكن انتقل من المخلوقات الى الخالق وتوجه اليه بان تخلص عملك له تعالى دون حظ عاجل او آجل وهذه طريقة السادات السالكة وقد نهى الصنف عن غيرها من الطرق التى فيها طول بقوله لا ترحل من كون الى كون اى لا تنتقل من الحرمات مثلا الى المشاهات ثم الى المباحات اما طريق غيرهم فأنواع فمنهم من ينتقل من مخلوق الى مخلوق فينتقل ناس من فعل الحرمات الى تركها ثم الى الفضائل فى المشاهات ثم ينتقل منه الى الشروع عن ذلك ثم ينتقل منه الى التوسع فى المباحات ثم ينتقل الى الانصاف باخلاص الابرار بأن يعمل حذرا من عقوبة الله ورجاء لثوابه ثم ينتقل الى اخلاص المقربين بان لا يشهد العمل من نفسه بل يشهده منة من الله عليه ثم ينتقل الى اخلاص الموحدين بأن لا يشهد غير الله تعالى فيقصد بعلمه ذات الله تعالى ومن الناس من ينتقل بأسقاط واسطة ومنهم من ينتقل باسقاط واسطتين من تلك الوسائط التى يطول المقام فيها ومنهم من قل مقامه فى الوسائط ويسهل عليه تحصيلها ومنهم من نقل من الاغيار كلها فيتوجه الى الله تعالى وهذا هو المراد بقول الصنف ولكن ارحل من الاكوان الى المكون فيختصر الطريق ويقطعها فى أقرب مدة وهو نوع من الجاذب ثم استدل على ذلك الاستدراك بقول الله تعالى (وان الى ربك المنتهى) لانه اذا كان انتهاء السير الى الله فى التنقل من مخلوق الى مخلوق آخر غير واصل الى الله تعالى والتوجه عن المخلوقات الى الخالق هو الواصل اليه ومعنى الآية ان الى الله المرجع فى الآخرة ثم استدل على ذلك أيضا بقول النبى صلى الله عليه وسلم (فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله) أى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله بنيته بأن قصد الهجرة لاتباع أمر الله ورسوله وطلب مرضاتهما وتعظيمهما فهجرته الى الله ورسوله فى الواقع ونفس الامر (ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه) أى ومن كانت هجرته بالنية الى دنيا او امرأة بأن هاجر لقصد التمتع فى الدنيا والتزوج امرأة فهجرته فى الواقع ونفس الامر الى ما هاجر اليه وأو بمعنى الواو وانما ذكر المرأة بعد الدنيا مع انها منها لانها أعظم فتن الدنيا اذ النساء حبائل الشيطان ما أيس الشيطان من بنى آدم الا أتاهم من قبل النساء ولان لم قيس انضم بجمالها مال فقصدهما مريد لم قيس اولان خاطبها قصد نكاحها وان غيره قصد ذلك قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها ام قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر بها (وتأمل هذا الامر ان كنت ذا بصيرة) اى معرفة وعلم اى ان من كانت هجرته الى الله ورسوله فنى بالله فى الله ورغب فى الله من أجله وفارق الاغيار فى البداية والنهاية كان حظه وافرا فتمثل له الهجرة وطالبه المقام أما من كان مصرف

لمعان البرق فى الليلة الظلماء أنه يرى ديار المحبوب ويرتاح لذلك وهذا اذا كان المراد من الخاطب هو الناظم نفسه ومن الجيران أحباؤه فى الدنيا ومن ذى السلم والكاظمة الاعم مما كان الاحباء ويحتمل أن الناظم يخاطب روحه الانسانى ويقول يا من صبرانه المزوجة بالدم السائلة على وحناته أمن أجل تذكر هؤلاء الجيران وقعت فى هذه البراين التى هى الحيرة أم من أجل هبوب الريح من تلقاء الحضرة الفؤادية المسيتها بكاظمة أم من أجل لمعان البرق من جبل الصبة فان كل واحد من هذه الامور سبب للبكاء وفى بكاء الناظم

همته فى شئ من الاغراض فانما انتقل من ذبر الله الى غير الله فيفوض ذلك الغير ومن سافر لامرين مما كمن خرج للحج اوزيارة رسول الله والتجارة فان كان أحد المقصودين تابعا للآخر فالحكم للمتبوع وان تساويا وكان كل منهما باعثا له مهاجرا الى الله ورسوله والى الدنيا ومعاذ ان قصد الدنيا للتوسعات والشهوات أما ان قصدها لاداء واجب كنفقة الزوجة والعيال اومندوب كصلة الرحم واعانة محتاج فهو مهاجر الى الله ورسوله والحكمة الرابعة قوله (لاعلم أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده و يحتقر عندك وجوده) اى لاعلم أرجى لقبول الله له وحصول النفع به فى افادة ماينشأ عنه من تنوير وتعريف وجزاء وغير ذلك من عمل يغيب عنك شهوده بأن تنظر اليه بعين الحقيقة ازاء منة وهبها الله لك وتشاهد أن لا فضل لك وان الفعل لله وحده وأنت بيسر ومستعمل وليس المراد أن لاتشهد العمل اصلا اى بأن لاتعرف وجوده لان هذا مخصوص بأهل الغيبة والفناء ومعنى يحتقر عندك وجوده بأن تنظر اليه بعين ان الشرع فتهتم نفسك فى الاخلاص فالنظر بعين الحقيقة يوجب فرحك من وجهين أحدهما ان تفرح بتوفيق مولاك اياك لما ينفعك واستعمالك فيما فيه مصلحتك والثانى أن تفرح أن مولاك ذكرك بما يرضيه وهذا النظر أعلى لان الفرح فيه بالله تعالى والنظر بعين الشريعة يوجب فرحك بالسلامة من العجب والكبر والرياء ويوجب فرحك بتحقق علامة الخير وهى العمل الصالح مع استصغاره فيتسبب عن ذلك ان ترجو ان يرحمك الله بذلك العمل الحقير باجتماع الامرين الحقيقة والشريعة والحكمة الخامسة قوله (لاتفرحك الطاعة لانها زرت بذلك) أى لاجل انها زرت من فضلك واختيارك لان هذا الفرح يورث العجب والكبر وترك الشكر وقوله لاتفرحك بضم التاء وفتح الفاء وسكونها (وافرح بها) أى الطاعة (لانها برزت من الله تعالى اليك) أى من حيث أن الطاعة فضل من الله عليك وهو مايتفضل فى الدار الآخرة لايجابه تعالى القيام بحق العبودية واستدل المصنف على ذلك بقوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته) وفى الحديث فضل الله هو القرآن ورحمته هو ان جعلكم الله من أهله وقياس على القرآن غيره من أنواع البر (فبذلك) أى الفضل والرحمة (فليفرحوا) فالمراد بالفضل مايتفضل به فى الدار الآخرة وفى البيهقى وابن أبى حاتم لما قدم خراج العراق على عمر وقيل له حاضر جمل يعد الابل فاذا هى أكثر من أن تعد فجعل عمر يقول الحمد لله وجعل مولاه يقول هذا والله من فضل الله ورحمته فقال عمر كذبت ليس هذا هو الذى يقول الله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون أى من المال والحرث والانعام فسيدنا عمر حمد الله على ظهور الاسلام وعلوه وقهر الاعداء وغلبتهم ومولاه نظر الى المال واشتغل بعده وجعله عين الفضل فلذلك كذبه سيدنا عمر والحكمة السادسة قوله (جل ربنا أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة) أى جزاء ربنا أن يعامله العبد بأنواع الطاعات حالا فى الدنيا فيجازيه مؤجلا فى الدار الآخرة بل من الجزاء ماهو سابق على العمل وهو التأهيل للعمل وماهو فى حال العمل وهو وجدان حلاوة العمل ومحبته فجزاؤه تعالى لعبده ضربان معجل ومؤجل ولذلك قال (كفى من جزائه اياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا) أى كفى من جزاء الله العاجل على

من أجل تذكر المحبوب بين نايه لك أن تبكى خوف أن لاتكون مجاور الاهل الجنة لانهم الكائنون بدار السلام وهى الجنة أو أن تكون من أهل النار التى كنى عنها بكاظمة لانها ابتلع أهلها وعلى هذا فيكون المراد بالريح ريحها وبالبارق البرق الذى بها أو عنها يخرج منها الالتقاط أهلها وبالاضم واديا فى جهنم فيذبغى لكل مكلف أن يبكى مخافة فوت الجنان أو خوف مقاساة النيران ويحتمل أن يكون الناظم أراد بالجبر ان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم فان ذكر المحبوب يوجب بكاء المحب وقد كان كثير من الصحابة وأتباعهم

طاعتك اياه اقدارك على الطاعة والآن أنت حتى تقف ببابه وتتسبب الى جنابه وتتمكن من مناجاته (كفى العاملين جزاء ما عرفها نحمه على قلوبهم في طاعته وما هو موردة عليهم من وجود مؤانسته) أي كفى العاملين من جهة الجزاء ما يحصل لهم مما هو تعالى فاتحه عليهم على قلوبهم في حال التلبس بطاعته من المعارف وحلاوة التودد بين يدي ملك الملوك وما يحصل لهم مما هو تعالى محضره على قلوبهم من وجود الانس به بعد انقضاء العمل والحكمة السابعة قوله (من عبده لشيء يرجوه منه أولى بدفع بطاعته ورود العقوبة عند مخالفة بحق أوصافه) أي من عبد الله تعالى لاجل حصول الجزاء عاجلا أو آجلا أو الفرار من عقوبة الله تعالى فاقام بحق أوصاف الله تعالى فانه لو قام بحق صفاته تعالى لعبده لذاته وقوله عند متعلق بدفع والحكمة الثامنة قوله (متى طلبت عوضا على عمل طولبت بوجود الصدق فيه) أي اذا طالبت من ربك بالجزاء على عملك طالبك ربك بوجود الصدق في عملك وهو الوفاء في العمل ومطابقة الباطن للظاهر في قصد القرب وهو نادر الوجود فان ظاهر العامل أنه يعمل العمل لله قائما بحق ألوهيته وباطنه أنه لم يعمل الا لحظ نفسه (ويكفي الريب وجدان السلامة) أي ويكفي الذي لم يتق من نفسه بالصدق وجدان السلامة من العقاب على عمله المعلول بعدم الصدق في العمل بأن يكون الباعث عليه قصد القرب والاتصال والتصديق بوعد الله لا يدعوى ذلك مع توفيه الشروط وقوله الريب مفعول مقدم ووجدان بضم الواو وكسرها فاعل مؤخر والحكمة التاسعة قوله (لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا) والخالق لافعال العباد هو الله تعالى وليس للعبد الا مجرد الكسب فكيف يطلب الجزاء على عمل ليس منسوبا اليه الا بطريق الكسب ولا مدخل للعبد في خلقه على الحقيقة وحينئذ فاشكر مولاك على توفيقه لك (يكفي من الجزاء لك على العمل ان كان له قابلا) أي يكفي من جزائه تعالى اياك على العمل قبوله له مع ما هو عليه من فقد الكمال والمراد بالقبول عدم مؤاخذتك عليه والحكمة العاشرة قوله (أنت الى حلمه اذا عصيته أحوج منك الى حلمه اذا عصاه) والمراد لا تعتمد على عملك ولا تظن أنك بسببه تصل الى ربك فان عملك ليس أهلا للقبول فضلا عن أن يكون سببا للوصول وسبب كون المطيع أحوج الى حلمه تعالى من العاصي ان المطيع يتهيأ لحصوله من المزية كرؤية النفس والاعجاب والكبر ونحوها استحقاق الوصول الى الله بالاعمال ويزدري بغيره من عصاة المؤمنين أما العاصي فلا عنده تلك المعصية وهي تحمله على الخوف والخشوع وشدة الافتقار الى الله تعالى فلذلك كان المطيع أحوج الى حلم الله وليس المراد بهذه الحكمة التحذير من الطاعة والتعريض على المعصية وانما المراد عدم التعويل على الطاعة لرؤية استحقاق الجزاء ومنع اعتقاد الغير والحكمة الحادية عشرة قوله (ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك) أي كثيرا يدخل الرياء عليك وأنت في مكان لا ينظر الناس اليك فيه لانه أدق من الدقيق لا يدفعه الا عزيز التوفيق أي ان الرياء كما يدخل في العمل اذا عمله صاحبه عند الناس ويسمى الرياء الجلي يدخل فيه اذا عمله وحده بأن يقصد به تعظيم الناس له وتقديمه في المحافل ومسارعتهم في قضاء حوائجه فاذا وجد العبد هذه الامارة في نفسه فليعلم أنه مرآئ بعمله وان أخفاه عن الناس ويسمى هذا

يدركه مثل الموت اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم منهم من يضطرب ومنهم من يصفر لونه ومنهم من يغشى عليه وقد شد هذين البيتين أنهما يكتبان في قراز ويعلقان بالنار ويسقى المصروع بهيمة التي صعب تعليمها فاذا شربت ذلك انقادت واذا كان عندك عبد ألكن وعسر عليك تعليمه كلام العرب فاكتب هذين البيتين في جلد غزال ثم علقه على عضد الابن فانه يتكلم بالعربية في أسرع وقت

فان قيل ان قلت انا كفانا همنا *

وما قلبك ان قلت انا نتفق بهم *

الرياء بالخلق ولا يسلم من الرياء الجلي والخفي الا العارفون الموحدون فالرياء راجع لرؤية العامل الخلق لا لرؤيتهم اياه فكل من نظر الخلق في عمله فهو مرآء ولو كان في جوف بيت بل ولو كان في صخرة في قعر البحر * والحكمة الثانية عشر * قوله (استدل بوجود الخلق بخصوص عينك دليل على عدم صدقك في عبوديتك) اي تطلعك الى عز الخلق باختصاصك اقبله من الاسرار والمعارف والذل النافع والعمل الصالح دليل على عدم صدقك في عبوديتك وصدق العبودية في العمل أن يقنع بعلم الله تعالى فيه بحاله ولا يتطلع الى أن يعرفه بذلك أحد من الخلق * والحكمة الثالثة عشر * قوله (غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك) اي اجعل نظر الخلق اليك غائبا عنك بنظر الله اليك فانهم لا يملكون ضرا ولا نفعا فانك اذا استحضرت أن الله تعالى ناظر اليك كان ذلك رادعا لك عن الالتفات الى غيره (وغيب عن اقبالهم عليك بشهود اقبال الله عليك) اي كن غير ملتفت الى اقبال الخلق عليك بالاسعاف والاحترام بشهود اقبال الله عليك بالافضال والانعام فان استحضرت اقبال الله عليك باستدعائك الى طاعته غبت عن اقبال غيره فلا تحبه * والحكمة الرابعة عشر * قوله (كما لا يحب العمل المشترك) اي كما لا يقبل الله العمل المخلوط بالرياء والتصنع لا يرضى الله القلب الذي فيه محبة غير الله والسكون اليه والاعتماد عليه (العمل المشترك) وهو الذي يفعل لامرين قصد الثواب وقصد حظ من حظوظ النفس (لا يقبله) من صاحبه قبول ثواب كما في اعمال مخصوصة وذلك مثل عمل شارب الخمر والحج بالمال الحرام أما قبول العمل فقبول براءة فهو حاصل لانه تبرئ به الذمة لوجود قصد القرب ويصير صاحبه لاها ولا عليه (والقلب المشترك لا يقبل عليه) لعدم وجود الصدق فيه أما اذا فرغ القلب من الاغيار فان الله يقبل عليه ويملؤه بالمعارف والاسرار * والحكمة الخامسة عشر * قوله (ما أحببت شيئا الا كنت له عبدا) لان المحبة توجب الانقياد للمحبوب فالمحب عبد محبوبه لا يخرج عن مراده (وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا) اي والله تعالى لا يرضى بكونك عبدا لغيره فاجعل محبتك لمن تلزمك عبوديته وليس ذلك الا مولاك فانه المتفرد بايجادك وحفظك ورزقك واما محبة الاخ في الله والولد والشيخ فهو من حب الله تعالى لانه تعالى أمر بذلك * والحكمة السادسة عشر * قوله (ليس الحب الذي يرجوا من محبوبه عوضا أو يطلب منه غرضا) اي ليس المحب على الحقيقة الذي يرجو من محبوبه عوضا من حبه او يطلب منه غرضه يقتضي نظره (فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له) اي فان المحب الحقيق من يعطيك ليس المحب الحقيق من تعطيه حظ نفسه فمن ادعى المحبة وهو ملتفت الى منافع نفسه ومضارها ولا يتقرب الى محبوبه الا لاغراضه فهو كاذب في دعوى المحبة قال سيدي ابراهيم بن أدهم قلت ذات يوم رب ان كنت أعطيت احدا من المحبين لك ما تمكن به فاوهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد أضرني القلق قال فرأيت في النوم انه اوقفني بين يديه فقال يا ابراهيم أما استحييت مني أن تسألني ما يمكن به قلبك قبل لقائي وهل يمكن الشتاق دون لقاء حبيبه ام هل يسترح المحب الى غير معشوقه قال فقلت يا رب تهت في حبك فرأيتما أقول فاغفر لي وعلمني كيف أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني

أي فيا مسكر الحب أي شيء حصل لعينيك حتى أنك ان قلت لهما أحبسا الدموع سالت دموعهما غاية السيلان وأي شيء حصل لقلبك حتى أنك ان قلت أفق مما أنت فيه من شدة العشق تحير غاية التحير أليس كل من سيلان الدمع وجنون القلب من آثار الحب فقال هي القطر والدمع أي سال وهو هائم فلا غذاي مجنون من العشق بهائم رجع الناظم الى تغليط السؤل في انكار الحب الذي لا ينبغي فقال منكرا أيحسب الصب أن الحب منكتم * ما بين منسجم منه ومضطرم * أي أيظن العاشق استتار

أشكر نعمائك » والحكمة السابعة عشر « قوله (كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك) اى كيف تطلب الجزاء على عمل هو تعالى متصدق بذلك العمل عليك وأنت محتاج اليه مع عجزك عن تحصيله ولولا فضله تعالى فى توفيقه ما تيسر ذلك (أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك) اى تطلب الجزاء على صدق فى العمل هو تعالى مهدى الصدق اليك فان ذلك العمل والاخلاص فيه لم يكن الا لتمسكك فتطلب العوض والجزاء على ذلك فى غاية القبح

﴿ باب الحكم فى الصلاة ﴾

وهى عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وثمرة الطاعات وهذا باب رابع وذكر فى هذا الباب ثمانى حكم « الحكمة الاولى » قوله (الصلاة مطهرة القلوب) اى من أدناس الذنوب كما فى حديث أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شئ قالوا لا يبقى من درنه شئ قال فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا (واستفتاح لباب الغيوب) اى طلب الفتح من باب الغيوب من المعارف والاسرار لان القلوب اذا طهرت رفع عنها الاستار فرأت ما يناسب عنها من الاسرار ولانه ورد أنه اذا قال المصلى اهدنا الصراط المستقيم الخ قال الله تعالى هذا لعبدى ولعبدى ما سأل وكفى بالهداية فضلا وقال تعالى فى الحديث القدسى ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة (الصلاة محل النجاة) اى محل قرب العبد من ربه ودخوله فى حضرته تعالى بلا واسطة فتجاة العبد لربه الصلاة والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك ومناجاته تعالى لعبده بما يوجهه اليه من اللطائف وبما يخصه به من الاسرار والمعارف (ومعدن الصفاة) اى موضع اخلاص الوداد ومركز تصفية القلب وافاضة المعارف فصفاة العبد لربه بتوجهه اليه بكنه وقلبه حتى لا يختلج فى سره غيره ومصفاة الرب لعبده بأن يخصه شهوده ويفيض عليه جوده (تشع فيها بوادن الاسرار) اى فيصول القلب فى الصلاة فى أما كنها المعنوية الشبيهة بباذن الخيل المتسعة لان الصلاة تأخذ بكليات العبد فان جوارحه مشغولة بالافعال الظاهرة ولسانه مشغول بأذكار الانتقال وأذكار الاركان وقلبه مشغول بالخضوع وتأمل معانى الاذكار (وتشرق فيها شوارق الانوار) اى وتطلع فى الصلاة الانوار الشبيهة بالكواكب فاضافة شوارق الذى هو بمعنى النجوم من اضافة المشبه به للمشبه اى فان الامداد من الرب على قدر الاستعداد من العبد فاذا أفيضت عليه الاسرار زهد فى الاغيار وتكون وجهته الى الواحد القهار روى أنه بات رجل عند أبى الفضل الصورى رضى الله عنه فدخل أبو الفضل فى مكان يصلى فكثرت الاصوات فى الدار فقال الضيف لابناء الشيخ أما تشغلون خاطر الشيخ بهذا فى صلاته فقال ابن الشيخ انه اذا دخل الصلاة لم يشعر بذلك فعجب الضيف من قوله فانكره فأخذ ابن الشيخ السراج وأدناه من عينى الشيخ فلم يحس به لحضوره مع مولاه وروى أنه سقط حائط المسجد ومسرجين بسارة ثم يصلى فاعلم به والحال أنه قد فزع أهل السوق لهدته « والحكمة الثانية » قوله (فاعلم الحق منك وجود الملل لون من الطاعات) أى لما علم الله تعالى منك وجود السأمة من العبادة وهى فترة تعرض من المداومة

الحب هو الباس الذى هو ظاهر بين دمع عين سائل من ذات العاشق وحر قلب ملتهب منه نار الحب ومالهم موصول بمعنى الذى فى محل نصب على أنه بدل من الحب أو صفته وصدر الصلة محذوف أى الحب الذى هو كائن بين هذين واما غلط الناظم السؤل فى انكاره الحب استدل عليه بأدلة قال لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل «

ولا أرقت لذكر البان والعلم
أى لولا المحبة الشديدة الموجودة لديك لم تصب ماء عين من أجل ذكر آثار ديار الاحبة ولم يذهب نومك لذكر البان وهو شجر طيبة الرائحة زهره والذكر الجبل

على العمل توفيك الطاعات ليرد اليه وتسهيلا عليك فان العبادة حاصلة حتى في الامور الطبيعية والعوائد والشهوات المباحة بالنية فاذا ثقل عليك نوع وخف عليك غيره فانتقل اليه حتى تكون في عبادة دائمة مع اقبال ونشاط دائمين وذلك أقرب الى الفتح حتى قيل من صار الى الله بطبعه كان الوصول أقرب اليه من طبعه ومن صار الى الله بخلاف طبعه كان الوصول يقدر بعده عن طبعه (وعلم مافيك من وجود الشره) أي مجاوزة الحد في التسارع الى العمل فيقع النقص في العمل (فحيرها عليك في بعض الاوقات) أو عين الله الصلاة عليك أوقاتا توقع فيها وأوقاتا لاتوقع فيها فالشره والمال آفتان عظيمتان قاطعتان على العبد سبيل عبوديته وتلون الطاعات وتحييرها في الاوقات لوجودهما فمنان عظيمتان أنعم الله بهما على عبده قال صلى الله عليه وسلم عليكم من الاعمال ماتطيقون فوالله لايمل الله حتى تملوا وقال صلى الله عليه وسلم أحب العمل الى الله أدومه وان قل والحكمة الثالثة قوله له (ليكن همك) اي ارادتك بالصلاة (اقامة الصلاة) لا وجود الصلاة) اي لا وجود صورة الصلاة فاقامة الصلاة كما قاله القشيري هو القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلي له وروى عن ابن عباس أنه قال اقامة الصلاة اتمام الركوع والسجود والتلاوة والاقبال عليها والخشوع وهو حالة تحل في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة الله تعالى واجلاله (فان كل مصل مقيم) بل من المصلين من هو مقيم ومنهم من هو ليس بمقيم لانه قد يصلي مع غفلته عن ربه وعدم الخشوع فالخشوع في جزء غير معين من الصلاة واجب غير شرط لابطال بتركه كما قال الفقهاء وقوله ليكن همك الخ بصيغة الامر وهو استئناف فيكون الكلام قوله تاما وفي بعض النسخ ليكون الخ وعلى هذا فيكون تعليلا لما قبله فعلل المصنف اولا تلون الطاعات بعلم المال وتحييرها في بعض الاوقات بعلم الشره اي اذا لون الله الطاعات لعلمه تعالى وجود المال منك ليمنعك مما يقتضيه المال من ترك العمل وحدد الطاعات بأوقات مخصوصة لعلمه تعالى وجود شدة الحرص منك ليمنعك مما يطلبه الحرص من التسيير في العمل وعلل ثانيا بتوجيه همك الى خصوص اقامة الصلاة لا الى مطلق وجود صورة الصلاة وذلك من ثمرات منع الحرص لانه الذي يقتضي تكثير الشيء من حيث هو فلا يكون معه اتقان ومن هنا يعلم غلط كثير من أهل الاوراد من تعلق اغراضهم بتكثير الاعداد من غير اتقان فمنهم من يقرأ في اليوم الواحد دلائل الخيرات عشر مرات فأكثر ولو قرأها مرتين قراءة متقنة لكان أحسن وقس على هذا قراءة القرآن والاذكار والحكمة الرابعة قوله (علم قلة نهوض العباد الى معاملته) اي علم الله عدم اقامة العباد العبودية المشاهدة الربوبية التي هي غاية النعيم (فأوجب عليهم وجود طاعته) فهو اعلم وخوفهم بدخول النار ان لم يفعلوها (فساقهم اليها) اي الى طاعته وفي نسخة اليه اي الى الاقبال على المعاملة بالطاعة (بسلاسل الايجاب) والباء للملابسة لان السوق يكون بالعصا اي فساقهم الى الطاعة بالعصا ملتبسين بالايجاب الشبيه بالسلاسل ويحتمل أن المراد

الذين هما في منازل الاحبة ويحتمل أن الناظم شبه المحبوب بهما في طيب الرائحة وحسن الهيئة وطول القامة ومن المعلوم أن السهر والبكاء من علامة أهل المحبة والحب لا يبكي الا الحبيب والمراض لا يشفي الا لقاء الطبيب ثم أردف الناظم الدليل بدليل ثالث على ما في بعض النسخ بقوله

وأمارتك لون عبرة ومنتي ذكرى الخيام وذكرى ساكني الخيم

وهذا لم يوجد في كثير من النسخ وهو معطوف على قوله لم ترق وقوله ذكرى فاعل أمارت اي ولولا المحبة الشديدة موجودة عندك

بالسلاسل الاعمال والمعنى فساقهم بالاعمال التى تعلق بها الايجاب فيكون من اضافة المتعلق بفتح اللام المتعلق بكسرها ويحتمل أن المراد بالسلاسل أنواع التهديد والمعنى فساقهم بأنواع التعويف التى تلازم الايجاب فالباء على هذين للآلة (عجب ربك) اى جعل الله عباده على التعجب او أظهر الله لك أن تعجب (من قوم يساقون) وفى نسخة يقادون (الى الجنة بالسلاسل) اى تعجب أيها المكلف ممن يمتنعون من الجنة حتى يقادون اليها بالسلاسل كما يقادون الى الامر المكروه والحال أن الجنة التى أخبر الله تعالى بها محبوبة بالطبع لما فيها من النعيم المقيم والعيش الدائم الذى حل من سمع به من ذى لب على المسارعة اليها والحكمة السادسة قوله (أوجب عليك وجود خدمته) فى الظاهر (وما أوجب عليك) فى الحقيقة (الادخول جنته) لانه تعالى لايحتاج اليك لا تنفعه طاعة ولاتضره معصية اى أوجب الله عليك خدمته لالغرض بل لمصالح تلحقك فايجابه عليك ايجاب فضل لانه وعد على الخدمة بالجنة ووعده لايخلف فهو يحقق الحصول فأمره تعالى بالطاعة أمر بدخول الجنة فهو تعالى أرحم بعبده المؤمن من الوالدة بولدها والحكمة السابعة قوله (فيد الطاعات بأعيان الاوقات كى لاينعك عنها وجود التسويف) فتقييد الطاعات كالصلوات الخمس بأوقات معينة يلجئ المكلف الى ايقاع الطاعات الموقتة فى أوقاتها ليفوز بثوابها ولو لاتقييد هذه الاوقات لسوف بها بأن يقول سوف أفعل ولم يعمل بها حتى تفوت فيفوته ثوابها والحكمة الثامنة قوله (ووسع عليك الوقت كى تبقى لك حصة الاختيار) اى ليبقى لك نصيب من الاختيار فيمكنك فعلها فى اول وقتها وفى وسطه او فى آخره حتى تأتى بها فى حال سكون من غير ضيق وذلك امتحان من الله تعالى لعبده ليظهر من يسارع الى رضوانه تعالى ومن يؤخر (مراسلة جواب) اى هذه مكاتبة أرسلها العبد الى السائل جوابا لسؤاله (سأل سائل عن قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة) وقد أجابه الشيخ بقوله قرة العين كناية عن غاية الفرح والسرور واللذة فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول وجعلت غاية فرحى وسرورى ولذتى فى الصلاة الشاهدة الرب فيها قرة العين بضم القاف أما من القر بفتحها وهو الثبات فان العين قارة بحصول المقصود وأما من القر بضمها وهو البرد فان دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة وغاية الفرح هو الذى تجرى معه الدمعة البادرة وقال السائل (هل ذلك) اى قرة العين (خاص به) صلى الله عليه وسلم (أو لغيره) من أمته (منه) اى من ذلك القرة (شرب) بكسر الشين اى نصيب فأجاب الشيخ مجملا ثم مفصلا فقال (ان قرة العين بالشهود) أى ان غاية الفرح والسرور بشهود جلال الله وجماله (على قدر المعرفة بالشهود) وهو الله تعالى (فالرسول صلوات الله عليه وسلامه ليس معرفة كمعرفته) صلى الله عليه وسلم (فليس قرة عين كقرته) اى ان قرة العين ليست خاصة به صلى الله عليه وسلم بل لاتكون له صلى الله عليه وسلم تكون لغيره لكن قرة عينه أعظم من قرة عين غيره لانه ليس لاحد هناك من المعرفة ماله صلى الله عليه وسلم فلا يدرك أحد مرتبته (واعلمنا أن قرة عينه) صلى الله عليه وسلم (فى صلاته بشهود جلال مشهوده) وهو الله تعالى (لانه قد أشار الى ذلك بقوله فى الصلاة) فالصلاة ظرف لسروره صلى الله عليه وسلم

(بشهود)

لم تعطك على سبيل العارية تذكر الخيام وتذكرها كتنى
الخيم نوى دموع ومرض فسيلان الدموع على الصدر بمنزلة الدر المنساق عليه وهو اون العبرة بفتح العين ورقة الجسم وصفرة اللون مثل ثوب بديع ارقة والصبغ وذلك اون المرض وكل من الخيام والخيم جمع خيمة وهى بيت من عيدان الشجر ولما أنكر الناظم على السؤل دوامه على الانكار بعد وجود الادلة على حبه فقال بصورة الاستفهام فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت
به عليك عدول الدمع والسقم
وأثبت الوجد خطى عبرة

يشهده مولاه (ولم يقل) صلى الله عليه وسلم (بالصلاة) لانها ليس سروره صلى الله عليه وسلم بنفس الصلاة (اذهو صلوات الله عليه وسلامه لاتقر عينه بغير ربه) ولاشك أنه صلى الله عليه وسلم دائم الشهود مستمر الترقي في جميع الاوقات فأوقاته كلها عبادات وانما خص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات مع أن العبادات كلها ظروف للشهود لانه كان يحصل له فيها الشهود الخاص الاعظم ثم استدل المصنف على أن لغيره صلى الله عليه وسلم نصيبا من قرة العين بقوله (وكيف لا) اى وكيف لايكون لغيره نصيب من قرة العين (وهو) اى والحال أنه صلى الله عليه وسلم (يدل على هذا المقام) اى مقام شهود جلال الله تعالى وجماله (ويأمر به اى بهذا المقام من سواه بقوله صلى الله عليه وسلم أعبد الله كأنك تراه وهذه رواية بالمعنى وقوله بقوله بدل من قوله به باعادة الباء (ومحال أن يراه ويشهد) صلى الله عليه وسلم (معه) تعالى (سواه) ومن السوى صلاته لانه اذا ظهرت صفاته تعالى اضمحلت مكونات والنظر الى ابن الاعرابي لما سمع كلام الحور العين في المنام لايستطيع سماع كلام الناس بعد ذلك وبقي بقايا من سماع كلامهم نحو شهر فكيف يطيق من يعبد الله كأنه يراه أن يشهد معه سواه (قال) له (القائل) المعترض على ذلك (فتكون قرة العين بالصلاة لانها افضل من الله وبارزة من عنده) اى ظاهرة من الله بنته لالله (فكيف لايفرح بها وكيف لايكون قرة لعين بها وقد قال سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) والصلاة من فضله تعالى ورحمته ففي هذه الآية اشارة الى أنه لامانع من أن يفرح الانسان بنفس الصلاة فالمانع من كون فرحه صلى الله عليه وسلم بها من كون قرة العين في قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة بمعنى الباء فان في قد تقع بمعنى الباء فأجاب الشيخ بأن الرحمة تكون غايتها لا بعينها وبأن التأويل خلاف الحقيقة على أنه يصير الصلاة مقصودة بالذات وأجاب ايضا بأنا لم ننف صحة الفرح بعين الصلاة من هذا الوجه لمن يليق به ذلك والانبياء بالنسبة لاهل المقام الاكمل الذين لايليق بهم الفرح بغير سيدهم وهذا معنى قوله (فافهم ان الآية قد أومأت) اى أشارت اشارة خفية (الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب) اى لمن تفكر المعنى السري يخفى على كثير من الناس (اذقال) الله تعالى (فبذلك فليفرحوا) اى بأيها الامة وهذا خاص بهم ولايتناول النبي صلى الله عليه وسلم (ولم يقل) سبحانه وتعالى فبذلك فافرح يامحمد) وثبت ان في نحو قوله تعالى يأيها الناس ثلاثة اقوال الاصوليين فقد قيل انه لايتناول الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقا وقيل لايتناوله ان اقترن بقل كما هنا المظهور في التبليغ فكأنه قيل بلغهم يامحمد فهو خاص بهم وقيل يتناوله وان اقترن بقل وهذا لايساعد هنا اذالمعنى (قل لهم) ياأشرف الرسل (ليفرحوا) أيها الامة (بالاحسان والتفضل وليكن فرحك أنت بالتفضل) وهو الله تعالى (كما قال تعالى في الآية الاخرى قل الله) ومعناه المطابق قل الله أنزل القرآن ومعناه الاشاري المراد هنا قل الله أفرح به لابغيره (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) اى أتركهم يلعبون في فرحهم بغير الله تعالى وهذا اشارة الى ان ماسوى الفرح لله تعالى كله لعب وان كان كمالا ومراتب الناس تختلف باختلاف أحوالهم فمن عظمت مرتبته كانت مواقفته في شهود التوحيد وكمال التجريد قال محمد بن علي الترمذي رحمه الله تعالى

وضمن *

مثل البهار على خديك والعنم
أي أيها المخاطب اذ قامت عليك الادلة فكيف تنكر حبا عظيما بعد أن شهد بالحب عليك دمع سائل من عينيك عند ذكر آثار ديار الاحبة وسقم قائم بجسمك لذكر ساكني الحيم وبعد أن أثبت الحزن بسبب الحب أمرين كائنين على خديك أحدهما صفرة الخدود الناشئة عن المرض وثانيهما حمرة قطرات الدموع الناشئة عن البكاء لدى حكام الحين وقضاة العاشقين وهؤلاء الشهود عدول لاترد شهادتهم فهل هذا مقام يقع فيه الانكار او يتسرب فيه الامتراء

الصلاة عماد الدين وأول شيء فرضه الله على المسلمين وفي الصلاة قال الله على العبيد ليقبلوا اليه في صورة العبيد قالا وتسليما وبذلا وتخضعا وترغبا وقلقا قالوا قوف تذللا والتكبير تسليم والثناء والتلاوة بذل والركوع تخضع والسجود تخشع والجلوس ترغب والتشهد قلت فأكبر العبيد الى الله تعالى بهذه الصور ليقبل الله عليهم بالرحم والعطف والتقبل والذكر هو التقرب فليس شيء من أمر الدين أعظم من هذه

﴿ باب العزلة والخمول ﴾

فالعزلة اعتزال عن الناس لتحصيل العبادة لا لطلب شهوة وهي ضد المخالطة (والخمول) هو ضد الاشتهار انتشار الصيت وهذا باب خامس وذكر الصنف في هذا الباب خمس حكم * فالحكمة الاولى * قوله (مانفع القلب) في مداواة أمراضه (شيء مثل عزلة) عن الناس حمية ومعونة (يدخل بها ميدان فكرة) او يدخل المريد بسبب العزلة في فكرة شبيهة بالميدان في ان القلب يتردد في فكرة كتردد الخيول في الميدان فيتذكر بالتفكر وعيد الله بالعذاب على المعاصي ووعده بالثواب على الطاعة او يتذكر به على نعم الله تعالى عليه او يتذكر به عظمة الله تعالى وبديع صنعه * والحكمة الثانية * قوله (ادفن وجودك في أرض الخمول) اي أخف نفسك في عدم الشهرة الشبيهة بالارض ولا تعتن بنفسك ولا تعظمها وفر من الخلق فمر الامكان واستراحات عنهم كيفما كان فان ايلاء مذموم الامن شره الله تعالى المنزه عنه من غير تكلف طلب الشهرة منه فكما أن البذر اذا دفن يصلح وتتم ثمرته كذلك الشخص اذا دفن نفسه في الخمول حصل له الوصول فان الخمول جالب للاخلاص واضافة الارض الى الخمول من اضافة المشبه به الى المشبه فالخمول للنفس كالارض للبيت في انحطاطية النسامة (فانبت عالم يدفن لايتم نتاجه) اي فاظهر من أعمال نشأت من شخص لم يختف في الخمول لايتم صلاحه لانه ربما صاحبه رياء او سمعة فالعمل الذي يحصل من هذا الشخص كالطلب الذي لم يدفن في الارض فانه اذا نبت لم يتم وهذا باعتبار السالك في حال بدايته أما بعد النهاية فهو مع مراد الله تعالى من ظهور او خفاء كما قال سيدي ابو العباس المرسي من أحب الخمول فهو عبد الخمول ومن أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الله كان مع مراده أظهره أو أخفاه * والحكمة الثالثة * قوله (استر أنوار السرائر بكثائف الظواهر ايلالا لها أن تبتذل بوجود الاظهار وان تنادي عليها بلسان الاشتهار) اي ستر الله تعالى ما خصه بخواصه من المعارف والكرامات بأحوال العامة من المآكل والمشارب وغيرها لاجل تعظيمها عن الامتهان بها بالاظهار ولاجل صيانتها من أن تنادي عليها بالاشتهار بين الاغيار فمثل معنى التخصيص للبعض فان أسرار الولاية رفيعة القدر جليلة الخطر فلو ظهرت واشتهرت كانت مهينة فقد يدعيها العباد بوجود الاستعداد فلا يكون لها رفعة ولا عزة وقد ينتصب حال المدعي ويها الى ذلك لضلال العامة باعتقاد التأثير * والحكمة الرابعة * قوله (سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية) اي ستر الله تعالى السر الذي خص به أولياءه من المعارف والكرامات بظهور ما يفعله العامة مما هو من أفعال البشرية فظهور بعض الاولياء بالسطوة والعزة لكون الله تعالى تجلى عليه

وقوله خطى عبرة أي خطين من الدموع وقوله وضنى عطف على خطى عبرة لكن على تقدير مضاف أي واثر ضنى وقوله مثل البهار الخ صفة لكل من خطى عبرة ومن الضنى لكن على اللف والنشر المشوش لان البهار ورد أصفر وأثر الضنا صفرة الوجه فأثر الضنا مثل البهار في الصفرة والعنم بفتح العين والنون شجر له اغصان حمراء يشبه به بنان الجواري والخطان من العبرة احمران لامتزاج الدمع بالدم فالخطان من العبرة مثل العنم في الحمرة وقوله على خديك متعلق بأثبت الوجه على خديك خطى عبرة

ذلك وهذا لانحفظ النفوس صحبته فلا يثبت معه أحد من المريدين الا من أمات نفسه وهواها ومنه كثرة التردد لأبواب الملوك والامراء في حوائج عباد الله وهذه طريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي حيث يقول في حق من هذه صفته قصير الأدرك لو كان هذا ولياً ما تردد الى أبواب الملوك جهلاً منه بسبب التردد وقال بعضهم كان في المغرب رجل من أهل الزهد والنسك وكان عيشه مما يصطاده فكان يأكل بعضه ويتصدق ببعضه فأراد بعض أصحابه أن يسافر الى بلدة من بلاد المغرب فقال له هذا الشيخ الصياد اذا دخلت بلد كذا فاذهب الى أخي فلان فاقرأه مني السلام واطلب لي منه الدعاء فانه ولي من أولياء الله تعالى فسرت حتى قدمت تلك البلدة فسألت عن ذلك الرجل فدلوني على دار لا تصلح الا لملوك فتعجبت من ذلك وطلبته فقيل لي هو عند السلطان فاردت التحيل فهممت بالرجوع ثم قلت في نفسي لا يمكنني مخالفة الشيخ ثم جاء فاستأذنت فأذن لي فلما دخلت رأيت ما أعهد الى من العبيد والخدم وغير ذلك فقلت له أخوك فلان يسلم عليك فقال جئت من عنده فقلت نعم قال اذا رجعت اليه فقل له الى كم اشتغالك بالدنيا والى كم اقبالك عليها والى متى لا تنقطع عنك فيها فقلت والله أعجب من الجميع فلما رجعت الى الشيخ قال لي اجتمعت بأخي فلان قلت نعم قال فالذي قال لك قلت لا شيء قال لا بد أن تقول لي فأخبرته بما قال فبكى الشيخ طويلاً وقال صدق أخي فلان هو قد غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده وانا اخذها من يدي ولي فيها بقايا (وظهر بعظم الربوبية في اظهار العبودية) أي وسبحان من ظهر العباد بربوبيته العظيمة في اظهار آثاره عليهم أي باظهار خوارق العادات التي توجد على يد الولي قال الموجد لها هو الله تعالى والفعل فعله ولا تأثير للولي فاذا أراد الله تعالى اظهار عبوديته الكاملة لنبي خص به بعض عباده أظهر على يديه خوارق العادات فحينئذ يعرف فخامة الربوبية فاذا ظهرت للعباد من وراء حجاب العبودية ولولا العبودية لكانت الربوبية باطنة لا تظهر ولذا قال ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لعبودية جوهرة اظهرتها الربوبية وقال العارف بالله تعالى يوسف الفاسي رحمه الله تعالى اذا رأيتم الرجل محافظاً على أداء الصلوات في اوقاتها فاشهدوا له بالقرب من الله تعالى لقوله تعالى والذين هم على صلوتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فهم لا يضرهم سوء الاعتقاد فيهم ورحم القائل من بحر الخفيف

امتلأ الرجال في كل أرض ٭ تحت سوء الظن قدر جليل
ما يضر الهلال في حندس الليل ٭ سواد السحاب وهو جليل

وقال بعض المشايخ رأيت في وسط القمر أربعة أحرف نقطة وهو جيم ولي وهاء والحكمة الخامسة هذه (سبحان من لم يجعل الدليل على اوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد أن يوصله اليه) أي تنزه الله الذي لم يجعل لاحد دليلاً على اوليائه الا من جهة الدليل عليه تعالى وأيضاً لم يوصل اليهم الا من أراد الله تعالى أن يوصله اليه تعالى اي ان الوصول الى معرفة الله تعالى الخاصة عناية من الله تعالى لا بطلب ولا بسبب ومعرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى لانه تعالى معروف بخلقه وجماله والولي مثلك يأكل ويشرب كما تشرب فاذا أراد الله تعالى أن يعرفك ولي من أوليائه لتنتفع به طوى عنك وجود بشريته

مثل العلم في الحجرة وأثر الغزال مثل البهار في الصفرة حال كون الخطين والضنا كائنين على خديك وقائدة الابيات الخمسة التي أولها فالبيك اذا اتهم الرجل زوجته او بنته او عيلته كتب هذه الابيات في ورق من ورق الاترج ووضعها على يد النهوم اليسرى وهو نائم ويجعل أذنه على فمه فانه ينطق بجميع ما فعله في غيبته خيراً او شراً وكذلك اذا سرق له شيء واتهم أحداً او شك في أحد فليكتب هذه الابيات في جلد ضفدع مدبوغ ويأخذ لسان الضفدع ويصره في ذلك الجلد ويعلق في عنق النهوم فانه يقر في ساعته لدهشته ولم يجد المسؤل سبيل الانكار أظهر الاقرار بلسان المقال كما أقر بلسان الحال فقال

نعم سرى طيف من أهوى
فأرقني ٭
والحب يعترض الذات بالالم
اي صدقت أيها السائل
فيما نسبتني اليه من الحب
فاني لما بكيت وسألت من
تذكر الاحبة الذين كنت
عارفهم وسبب ذلك التذكر
أنه سار الي ليلاق النوم
خيال من أحبه ومن أتى

وأشهدك وجود خصوصيته ويستدل على الله تعالى بأفعاله اذا فعله لا تشبه أفعال المخلوقات وذلك كرفع جرم السماء الواسع بغير عمد وتفجير الينابيع من الجبال وإخراج الانسان من النطفة وإخراج الطائر من البيضة ويستدل على الأولياء بخوارق العادات التي تظهر على أيديهم وليس المراد بخوارق العادات خصوص المشي على الماء والطيران في الهواء وغير ذلك بل ذلك وعموم خرق العوائد يحصل فيمن خالطهم بتبديل أخلاقه المذمومة كالحرص والعجب وغيرهما بالاخلاق المحمودة كالزهد والتواضع فالعرف ذلك بالله تعالى في الحقيقة هو الله تعالى الذي هداك اليه وقد سئل سيدنا علي رضي الله عنه وقيل له أعرفت الله بمحمد أو عرفت محمدا بالله فقال لو عرفت الله بمحمد ما عبدته ولكن محمد واثق في نفسي من الله والله عز وجل عرفني نفسه بنفسه اي لو عرفت الله بمحمد من غير استحضار ان الله هو الذي هداني اليه وقادني له ما عبدته

﴿ باب في رعاية الوقت واغتنامه ﴾

وهذا باب سادس ذكر المصنف في هذا الباب ست حكم * الحكمة الاولى * قوله (ما من نفس تبديه الا وله فيك قدر يمضيه) اي ما من نفس تظهره وتخرج من ذلك الا وقد تعالى فيك قدرا ينفذه فاذا كانت جزئيات العبد فد استغرقتها أحكام الله تعالى وأقداره لم يبق له اذ ذاك مجال لتدبير أمور دنياه ولا لحمل لتابعة شهوته وهواه فلا يستغني العبد في حاله من اللحظات عن مولاه فلا يليق بالعبد الا الاستسلام والنفس أمانة لله تعالى عنده وهو مطالب بها ومسؤل عنها فكل نفس طرف تقدر من أقدار الله تعالى فالقدر فيه اما طاعة او معصية او نعمة او بلية فجميع ذلك يقتضي من العبد حقوقا لازمة من حقوق الله تعالى فمنه تعالى عليه في الطاعة شهود المنة وفي المعصية التوبة وفي النعمة الشكر وفي البلية الصبر فلا فراغ له اذا من الحقوق * والحكمة الثانية * قوله (لا تترقب فروغ الاغيار فان ذلك يقطعك من وجود المراقبة فيما هو مقيك فيه) اي اذا كان لله تعالى فيك قدر ينفذه عند كل نفس فلا تشغل قلبك بانتظار انقطاع العادات والشهوات فانك اذا اشتغلت بذلك شغلك عن مراقبته تعالى فتقع في سوء الادب فاذا أقامك الله في سبب من الاسباب فلا تنظر وقتا ثانيا تكون فيه فارغا من ذلك السبب فان انتظارك الوقت الثاني يمنعك من القيام بحق الوقت الاول فيما أقامك الله فيه فعليك بآداب الوقت يسلم وقتك وتتزادف عليك البركات في جميع الحالات وسئل سهل رضي الله عنه متى يستريح الفقير فقال اذا لم يروا غير الوقت الذي هو فيه * والحكمة الثالثة * قوله (أحالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس) اي اذا كان العبد متلبسا بحال من أحوال الدنيا وكان له في ذلك الحال شغل يمنعه من العمل بالاعمال الصالحة واحال ذلك العمل على فراغه من ذلك الاشغال وقال اذا فرغت عملت فذلك من رعونة نفسه لايثار الدنيا على الآخرة وتسويفه بالعمل ورؤيته حوله وقوته في جميع الاحوال فان اشغال الدنيا لا تنقضي قال بعضهم من بحر القارب

بموت مع المرء حاجاته * وحاجة من عاش لا تنقضي

* والحكمة الرابعة * قوله (حقوق في الاوقات يمكن قضاؤها) اي الحقوق التي في الاوقات

رؤياه بعد ما كنت متلذذا بالمشاهدة والوصال فانتبهت لذلك فزال ما كنت أجده من الفرح بسبب لقائهم فشاورني أن ذلك في اليقظة فلا تبين لي أنه حزن عادلي ما كنت تسليت عنه ببعض التسلي فأثر ذلك عندي تأثيرا قويا فان الحب يدفع اللذات التي هي النوم والتسلي عن المحبوبين بانشأ عن الحب من شدة الحزن وقال ان الحب يحول بين المحب ولذاته بسبب الالم من عدم الوصل من المحبوب فيصير الالم كالخشبة المعترضة في النهر وقال فان الحب يزيل اللذات بسبب الالم كالبلة السببية لمداومة المدة هذا البيت أن من كرره بعد صلاة العشاء حتى يغلب عليه النوم فانه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه ان شاء الله تعالى تم رجع المؤلف على السائل يوبخه في لومه عليه في الحب فقال

يا لائمي في الهوى العذري معذرة * مني اليك ولو أنصفت لم تلم
عدتك حالي لا سري مستتر * عن الوشاة ولا دائي بمنكتم
أي بأن يلومني بسبب الحب

من صلاة وصيام وغيرهما من العبادات الظاهرة اذا فاته شيء منها في وقته المعين له يمكن قضاؤها في وقت آخر (وحقوق الاوقات لايمكن قضاؤها) اى والحقوق المتعلقة في الاوقات وهي المعاملات الباطنة التي تطلبها احوال العبد من شكر على نعمة او صبر على بلية او شهود منة على طاعة او توبة من معصية لايمكن قضاؤها في وقت آخر اذ الوقت (اذ هو من وقت) اى حال (يرد الاوقه عليك فيه حق جديد وأمر أكيد) اى لانه تعالى على كل عبد عند كل حال ينزل عليه حق لازم لايجوز له الأن يأتيه تاما في وقته لانه في الوقت الآخر مطالب بوفاء حقه (مكلف تقضي فيه) اى في ذلك الوقت (حق غيره) اى حق غير ذلك الحق (وأنت لم تقض حق الله فيه) اى والحال انك لم تقض حق ذلك الوقت وهو مايطلب منك فيه والحكمة الخامسة قوله (مافات من عمرك لاعوض له وماحصل لك منه لاقيمة له) وعمر العبد ميدان لاعماله الصالحة المقربة له من الله تعالى ومن جعل في الدنيا لايضيع عمرك بدون طاعة لان مافات منه لاعوض له يرجى اكتساب ذلك فيه وماحصل لك من الطاعات ومابنشأ منها من الجزاء في جزء من عمرك لاقيمة له لانه في غاية الشرف والنفاسة فكل وقت يجدد على العبد بمنزلة ياقوتة نفيسة جداً لاثمن لها لانه يمكنه أن ينال فيه سعادة الابد التي لاقيمة لها ولاجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح لأنفاسهم وبادروا الى اغتنام أوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم في التقصير ولم يقنعوا من أنفسهم لولا علمهم الاباتشمير والحكمة السادسة (الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لاتتوجه اليه) والخذلان بكسر الخاء عدم النصرة اى من الخذلان الاعظم فراغك من الاشغال بأن يكون عندك مايكفيك من النفقة ثم لاتتوجه الى حضرة مولاك بقلبك ولم تملأ أوقاتك بعبادته (وتقل عوائقك ثم لاترحل اليه) اى ومن الخذلان قلة الاشغال التي تمنعك عن السير الى حضرة الله تعالى بأن يكون عندك مايكفيك من القوت مع الضيق ثم لاتسير الى حضرة الله تعالى باشتغال مايقربك منه تعالى فالواجب على كل أحد أن يرمي بالشواغل والعوائق خلف ظهره ويقبل على ربه وقد قيل سيروا الى الله عرجا وتكاسير ولاتقفوا البتة فان انتظار الفرصة تعطيل

﴿ باب الذكر ﴾

قال أبو مدين الذكر شهود المذكور ودوام الحضور اه وهذا باب مابنى ذكر المصنف في هذا الباب ثلاث حكم والحكمة الاولى ، قوله (لاتترك الذكر) بالسان (لعدم حضورك) اى حضور قلبك (مع الله فيه) اى في ذلك الذكر فان قدره عظيم وصاحبه جليس الرب الكريم والذكر يشمل مذاكرة الاحكام كما نقل عن الامير (لان غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره) اى لان الغفلة من وجود الذكر وهو ترك الذكر بالمرة مذمومة بكل اعتبار ومن كل وجه والغفلة مع وجود الذكر مذمومة محمودة فهي مذمومة للغفلة بالكلية ومحمودة للغفلة عن الحضور في الذكر فيها حضور لمدته تعالى وتزين جارحة بالعبادة فالاقبال مع ضعف خير من الادبار رأساً ويجب على من أعله الله لهذه الغفلة أن يعرف قدرها ويشكر مولاه على هذا اليسير فان أقل

المنسوب الى بني عذرة بضم العين وهم قوم مشهورون في اليمن يؤدي العشق بهم الى الموت لصدقهم في الحب ورقة قلوبهم وكان أكثر موتهم بداء العشق لانه مايعيش أحدهم في عشق مات والمقصود من التسمة التشبيه فالمراد أن هواه مشبه لهوى بني عذرة قوله معذرة اى اعذر في معذرة او حذفني معذرة مقبولة عند من اتصف بصفة الانصاف ونزه عن طريق الاعتساف وهي ان هذه الحسنة خلق جبلي ولايلوم عاقل أحدا على مالا اختيار له فيه واصح رفع معذرة على أنها خبر مبتدأ محذوف اى هذه معذرة او على انها مبتدأ ومني صفته والبك خبره اى معذرة صادرة مني وصلت اليك ولو كان ذلك انصافا لم يكن منك ملامة لانه قد وصلت اليك حالي فليس مري بمستتر عن الناظرين وليس مرضي الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل المحبوب ومؤانسته والانصاف هو اعطاء الحق من نفسه وعدم التجاوز في أخذه قيل ان غلاما تأمل

القرب وأدنى الحظوظ من ملك الملوك كبير كثير واذا شكر مولاه زاده وهذا معنى قول المصنف (فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة) اى فعسى يبركة ذكر اللسان أن يرقيك من ذكر مع وجود غفلة عن الاولى الى ذكر مع وجود انتباه لمعانى الذكر ولو بوجه اجمالى (ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور) وهو تمكن معانى الذكر من القلب وارتسامها فيه ولو اجمالا بسبب كثرة استحضارها وانشأ عن ذلك تعظيم المذكور جل وعلا وهذا هو الذكر المنور للقلب الكثير النفع الفاتح لباب الحضرة وهو الذى يطرد الشيطان ويذهب وسوسته بالكلية ولا يبقى له الاطوارق حول القلب خارجة كالسارق الخائف وقد ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من آدمى الا وفى قلبه بيتان فى أحدهما ملك وفى الاخر شيطان فاذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر ذلك الشيطان واذا لم يذكر الله تعالى وضع الشيطان منقاره فى قلبه ووسوس له أى وخنوس الشيطان اذا كان الذكر مع حضور القلب مع الله على الدوام فى أكثر الاوقات وهذا هو المقدم على العبادات وهو ثمرتها وبهذا تشرف سائر العبادات وقيل اذا تمكن الذكر من القلب فان دنى منه الشيطان صرع كما يصرع الانسان اذا دنى منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقولون مالهذا فيقال قد سه الانسان (ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور) سببها تعالى بأن يغيب فى المذكور عن الذكر وعن الروح والقلب فضلا عن الجسد والجوارح فيكون غائبا فى ذكره بذكره وفى هذه الحالة تنعدم الاحوال وتقع حركات جسمانية من غير شعور ولا اختيار وعلى هذا حمل بعض العلماء قوله صلى الله عليه وسلم اذكروا الله حتى يقولوا مجانين أى هؤلاء أى لا تتركوا الذكر ولو أدى الى ما يشبه حال المجانين فى ظاهر الامر بحركة الجسم وارتفاع الصوت فيظن ما لا علم عنده أن صاحبه مجنون لخفاء السبب عليه فمقام ذكر اللسان فقط مقام أهل الغفلة من العوام ومقام ذكر اللسان بيقظة القلب مقام أهل السلوك ومقام ذكر الحضور فى حضرة المذكور مقام أهل الخواص ومقام الغيبة بالمذكور عن الذكر مقام خواص أهل الفناء عن الفناء وهذا أعز من الكبريت الاحمر لانه مقام العارفين واذكر ربك اذا نسيت أى اذا نسيت ما دون الله فعند ذلك تذكر الله تعالى وفى هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا فى وجود العيان (وما ذلك على الله بعزيز) أو وليس ذلك المذكور بممتنع فى قدرته تعالى ولا يبعد عن كرمه تعالى والمتعالى العبد الاسباب وعلى الله فتح الابواب ﴿ فائدة ﴾ الرقص والتصفيق وهز الرأس والتحرك ان كان ذلك بغلبة فالمغلوب معذور وان كان بغير غلبة فان كان لا يهتم الناس أنه من أهل الفناء فى الله فهو حرام لانه من الرياء والتصنع والتظاهر بما ليس له حقيقة عنده وان كان لارادة اراحة نفسه بذلك فهو باطل أقرب وليس من الحق فى شئ وان كان للفرح بالانتساب الى الله ورسوله ويلحظ عندهما والقرب منهما كالشيخ الذى رؤى يرقص وهو جزأ فقيل له ما هذا فقال فى نفسى عبد من انا وكلام من أقرأ وكالمرأة التى ضربت الدف عليه صلى الله عليه وسلم فرحا برجوعه من بعض غزواته فلم ينكر صلى الله عليه وسلم عليها فى ضرب الدف فكأنه بأذنه وقد ورد فى الحديث رقص

الجسم فدعلت على وجهه الصفر فوقف على سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال له من بالباب فقال من قوم اذا أحبوا ماتوا فقال عذرى ورب الكعبة فقال الغلام فهمت فقال له ولم ذلك فقال لرقة فى قلوبنا ورقة فى نسائنا ويجوز أن يكون الهوى العذرى مبارزة عن الحب الشديد الذى من حقه أن يقبل العذر من صاحبه كل أحد وبقال يجوز ذلك حالى بفتح فأنت لم تصب بصبابتى حتى تعلم مقدار ما أنا فيه ولو أصبت بها ما عذلتنى ولعذرتنى وقائدة عذل الباين لك اذا رأيت منكرا ولم تقدر على ازالته فاكتبهما فى ورقة زعفران ومسك وماء ورد ويكون تفصيل الورقة دائرة ثم اجعلها بين عينيك تحت العمامة فتقوى على ازالته باذن الله تعالى واذا أردت ان تقهر نفسك على اقامة شعائر الدين فواظب على قراءتهما خلف كل صلاة ولما كان العاذل انما أنكر عليه فى صورة الناصح وكان العذل على أى حال كان أبغض شئ الى المحب

جعفر بن أبي طالب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له اشبهت خلقي وخلقي وذلك من لذة سماع هذا الخطاب ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم عليه رضي الله عنه ذلك فكان هذا أصلا رقص الصوفية للمجد وتمزيقهم لذة الوجد والحكمة الثانية قوله (أكرمك كرامات ثلاثا) جعلت فيها كل المفاخر أولها أنه تعالى (جعلك ذاكرا له) باجراء ذكره بلسانك (ولولا فضله عليك لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك) لان من اسمائه تعالى ما وضع على الظهار فأضاء وعلى الباطل فأظلم وعلى العيون فحجبت الى غير ذلك فأسماؤه سر القادر ومن أين للعبد الحقير أن يجري على لسانه ذكر به الا بفضله تعالى فلما عد فضله تعلق بآلائه بلسان القال وبظواهره بلسان الحال والمقربون يزيدون عن هذا الوصف ويتفاوتون فمنهم ذاكر باللسان ومنهم ذاكر بالقلب ومنهم ذاكر بالروح الى غير ذلك (و) ثانيها أنه تعالى (جعلك مذكورا به) تعالى عند الخلق فيقال هذا مؤمن بالله هذا عبد الله هذا ذاكر الله الى غير ذلك وذلك به أكرمك الله به من تحقيق النسبة اليك كما قال (اذا حقق نسبته لديك) اى لانه تعالى أثبت خصوصيته لك وهي ما أظهره الله عليك من أنوار الذكر الى استنارت بها ظاهرك وباطنك (و) ثالثها أنه تعالى (جعلك مذكورا عنده) حيث قال تعالى اذكروني اذكركم اى اذكروني بالصلاة والتسبيح ونحوهما اجازكم في الحديث عن الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه (فتم نعمته عليك) بذكرك عنده حيث قال تعالى ولذكر الله أكبر اذ معنا ذاكر الله عبدا أكبر من ذكر العبد لله لان ذكره تعالى بلا علة ولا تصور به العقول ولا يعرف قدره ، والحكمة الثالثة ، قوله (ما كان ظاهرا ذكرا لا عن باطن شهود وفكر) او ما كان ذكر ظاهر الا ناشئا عن شهود باطن وفكر باطن فان صلاح الظاهر مرتبط بصلاح الباطن فان القلوب ملوك والجوارح رعاياها طيعة تابعة لمرادها لو كها والقلوب كالارض فاذا صبت فيها ماء من سحائب القربة وفجرت فيها عيون البصرة أنبتت المعرفة فاخضرت القلوب بزينة المعرفة فأثمرت عنب الحكمة ورطب المحبة فهامت الى سيدها واشتاقت الى ربها

﴿ باب الفكرة ﴾

وهذا باب ثامن ذكر المصنف في هذا الباب ثلاث حكم ، الحكمة الاولى ، قوله (الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار) أي في الاغيار التي هي المخلوقات الشبيهة بالميادين والمعنى الفكرة التي أمر الله بها العبد هي جولان القلب في صنوف المخلوقات لاستخراج ما فيها من العلوم وما انطوت عليه من الآيات التكوينية الموصلة الى العلم بالله تعالى وما به من صفات الكمال والجمال وغير ذلك وفي حال الوقت يتضح جميع وهذا باعتبار العامة والسالكين و المجذوبين الآن المجذوبين يكشف لهم عن كمال الذات العلية أولا ويترقون الى شهود الآثار والسالكون يكشف لهم أولا عن الآثار ثم فكر العامة في وجود المخلوقات ثم عداها ذلك التفكر الى وجود موجدهم وفكر العابدين في جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفي فعل الحسنات وفكرهم أيضا في قبح العذاب فيمتنعون من السيئات وفكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالفكر زهدا فيها وفكرة المحبوبين في آلائه فيزدادون محبة في المنعم اجل وعلا

قال له
محضتني النصح لكن لست
أسمعه ،
ان الصب عن العذال
في صمم
اني اتهمت نصيح الشيب
في عذل ،
والشيب أبعد في نصح عن
التهم
أي أخلصت لي النصح
عن الاغراض كالالتفات
الى المحبوب لكني من علم
محبتي لست أقبل نصح
ناصح لان العاشق أصم
عن استماع نصح الآثمين
في الحب فاني اتهمت كل
ناصح حتى اتهمت الشيب
في نصحه لي وفي عذله على
ما في شأن الحب ودواعي
الشباب والحال أن الشيب
أبعد النصحاء عن مواقع
التهم لانه لا يمكن أن يحصل
منه حسد ولا طمع ولا غيرة
ولا غيرها بخلاف العاذل
وغيره والمراد بنصح الشيب
دلالته على قرب الموت
المقتضي للاستعداد
وباتهامه وقوعه على غير
أوانه لئلا يستعد للموت
فهو ناصح بلسان الحال
وفائدة هذين البيتين أنك
اذا أحببت تخلص للحلال
وتسخى منه ومن الناس

أن تكلمه فاكتبهم في
ساعة الزهر في صحيفة من
نحاس واحمها بالنار
واشربه فانك تقوى على
المحبوب وتجمع به وتبلغ
منه مقصودك ان شاء الله
تعالى ثم عمل الناظر عدم
قبول موعظة الشيب بقوله
فان أمارتي بالسوء ما تعظت
من جهلها بنذير الشيب
والهرم
ولا أعدت من الفعل الجميل
قرى
ضيف ألم برأسي غير محتشم
لو كنت أعلم أني ما أقره
كتبت سر ايعالى منه بالكتم
أي فالعالم أقبل نصح الشيب
في عذل الحب لان نفسي
الامارة بالسوء لم تقبل
الموعظة من أجل جهلها
المفرط بانذار الشيب وبانذار
كبر السن فان الشيب نذير
الموت وكبر السن دليل
القرب ولاعجب أن تلك
النفس من الاعمال الصالحة
ضيافة للقدوم ضيف كريم
نزل في رأسي غير مقضي
او غير محترم بحاسن الخصال
والشيب اذا نزل لا يخرج
الا بالموت فهو غير مستحق
وقوله غير محتشم بالجر
صفة ضيف وبالنصب حال
من ضيف او من فاعل ألم

وأما العارفون فلا فكرة عندهم لانهم فنوا عن سائر الاغيار ولم يشهدوا سوى الله تعالى أما الفكرة في ذات الله تعالى فانه منهي عنه ولا سبيل اليه قال صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلقه تعالى ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره اي لا تعرفون الله معرفة تامة والحكمة الثانية قوله (الفكرة سراج القلب) اي مصباحه الذي يمشي العبد به في ظلمات الاغيار فيظهر به الحق والباطل والنافع والضار ويعرف به عظمة الله تعالى وكماله في العلم والقدرة (فاذا ذهبت) اي الفكرة (فلا اضاءة له) اي للقلب اي من لا فكرة له لا قلب له لان القلب الفاقد للنور كالا قلب فهو مثل بالجاهل والحكمة الثالثة قوله (الفكر ثلاثة افكار ان فكرة تصديق وايمان) اي فكرة ناشئة من أصل التصديق الذي هو الايمان لاجل زيادة اليقين ولهذا تسمى هذه الفكرة فكرة الترقي وهذه للسالكين (وفكرة شهود وعيان) بكسر العين اي وفكرة ناشئة من ذلك وتسمى فكرة التدلي وهي للمجذوبين (فالاولى لارباب الاعتبار) الذين يعتبرون في خلق السموات والارض ويستدلون بالآثار على المؤثر (والثانية لارباب الشهود والاستبصار) فهم يستدلون بالمؤثر على الآثار وهذان النوعان بالنسبة للمشتغلين بالله أما غيرهم وهم العامة ففكرتهم لتحصيل التصديق والايمان لا لزيادته

﴿ باب الزهد وفضيلته ﴾

وهذا باب تاسع ذكر المصنف في هذا الباب احد عشر حكمة والحكمة الاولى قوله (ما قل عمل برز من قلب زاهد) اي غير متعلق بالدنيا (ولا كثر عمل برز من قلب راغب) في الدنيا لان الزاهدين سلموا من الآفات التي تقدح في اخلاص اعمالهم كالرياء والتصنع للناس وطلب الاعراض الدنيوية عليها منهم وأعمالهم يكثر قليلها الغفلة والوساوس الشيطانية الناشئة عن حب الدنيا وفي الحديث العمل الصالح بعد التوحيد الزهد وبه يعظم عند الله وان قل عمله وأما الراغبون في الدنيا فتطر أعليهم الآفات المبطلة لاعمالهم بسبب رغبتهم في الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من أعمالهم لوجود النقصان فيها وقوله قلب زاهد وقلب راغب لوجود النقصان فيها وقوله قلب زاهد وقلب راغب بالاضافة وعدمها والحكمة الثانية قوله (ليقل ما تفرح به) من المال والجاه (يقل ما تحزن) لان دار الفاسد عند العقلاء أعم من جلب المصالح فمن زوى الله عنه فضول الدنيا فرضي بذلك واكتفى منها باليسير ولم يتطلع الى زيادة من مال أو جاه فهو كامل العقل حسن النظر لانه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن بترك مصلحة الفرح الذي يزول عن قرب لانه على قدر فرح الانسان بمتاع الدنيا يكون الحزن لانه لا بد من فقد تلك الاشياء اما بهلاكها واما بالانتقال عنها بالموت والحكمة الثالثة قوله (ان أردت أن لا تعزل فلا تتول ولا بد لا تندم لم تت) وكل ولاية الدنيا لا تدوم لانك اما أن تعزل في الحياة وهو أشر او بالموت وهو أمر اما ولاية العبودية وهو انابة الله والتجأ اليه وشاهدته في كل شيء فهي ولاية لا تزول والحكمة الرابعة قوله (ان رغبتك البدايات زهدتك النهايات) اي ان رغبتك بدايات الامور الدنيوية كالولايات بحلاوة فوائدها بعد ضنك نهايتها بمرارة عزلها في حياة او موت والحكمة الخامسة قوله (ان دعاك اليها ظاهرها نهاك عنها باطنها) اي ان دعاك الى الدنيا ظاهرها من حسنها كتشييد المآكل والملابس عند التلبس بها نهاك عنها باطنها من أكدارها وكونها شاغلة عن الله تعالى

والحكمة السادسة » قوله (فاجعلها محلا للاعتبار وممدا للوجود الاكدار زهيدا ثابتها) أي فانا جعل الله تعالى الدنيا محلا للاعتبار المفيدة عن الله تعالى وموضعا للاكدار من أمراض وفقدان أحباب لاجل أن تزهد فيها وتتباعد عنها قال أبو هاشم الزاهد رضي الله تعالى ان الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريد به تعالى دونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها فأهل المعرفة بالله تعالى مستوحشون من الدنيا مشتاقون » والحكمة السابعة » قوله (انك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذوائها ما يسهل عليك وجود فرائها) أي اعلم ان من تمكن منه حب الدنيا لا يقبل الوعظ المجرد وهو الاعلام بعقبة وبطلان الباطل وقد أعطنا الله تعالى على لسان نبيه بعقبة الآخرة ودوامها وبطلان الدنيا وزوالها زاد الله تعالى على النصح لمن أنس بلذات الدنيا بايجاد امتحانات الدنيا من البلايا والمحن والامراض فاذا ذاق من ذكر من تلك الامتحانات سهل عليه فراق الدنيا والرجوع الى الآخرة فذلك نعمة من الله تعالى عليه وان لم يعرف ذلك لغلبة طبعه عليه » والحكمة الثامنة » قوله ﴿ العلي الحقيق أن تطوي مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك) أي العلي الحقيق أن تطوي مسافة الدنيا منك بالزهد فيها بأن لا تشتغل بلذاتها وشهواتها ولا تركن اليها فحينئذ تنعدم الدنيا في نظرك فترى الآخرة أقرب اليك منك بأن تكون الآخرة نصب عينيك ليست غائبة عن قلبك فهذا هو العلي الحقيق لمسافة الدنيا الذي يكرم الله تعالى به أولياءه وبه تتحقق عبوديتهم لربهم لأطي مسافة الارض وهو قطعها في خطوة أو خطوتين لانه ربما يكون استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والايام بالصلاة والصيام وترك الطعام والشراب فلا يكون ذلك طيا حقيقا اذا لم يتمحض للطاعة بان قارنه رياء أو عجب فيكون باقيه الخسران » والحكمة التاسعة » قوله (لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت عليها صفة الفناء عليها) اي لو أشرق في قلبك نور اليقين الذي تتراءى به حقائق الامور على ما هو عليه فيحق به الحق ويبطل به الباطل في الآخرة حق والدنيا باطل لابصرت به الآخرة التي كانت غائبة عنك حاضرة لديك حتى كأنها لم تزل فكانت أقرب اليك من انتقالك اليها لان في الانتقال الى الحاصل تحصيل الحاصل لان الآخرة محققة الحصول في المستقبل والمحقق الحصول ينزل منزلة الحال ولابصرت به الدنيا الحاضرة لديك قد بعيرورها وأسرع اليها الذهاب فغابت عن نظرك فظهرت بطلانها حتى كأنها لم تكن فعليك بتحصيل اليقين فانه مكتسب بمخالطة أهله وتعاطي حديثهم وأصل تعليمه النظر في السوابق فكيف ارتباط الخلق بالمقادير وباليقين يرتحل القلب من الدنيا ويقبل على الآخرة ولا يفر من الموت ويحب لقاء الله تعالى » والحكمة العاشرة » قوله (الاكوان) وهي زهرة الحياة الدنيا (ظاهرها غرة) أي سبب في الاغترار بها لحسنها (وباطنها عبرة) أي سبب في الاتعاظ بها والامتناع عنها لقبحها ودلالتها على الفناء (فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها) أي الى زينة الاشعة الظاهرة فتغتر بها وتهلك صاحبها لان من طبع النفس الميل الى الشهوات والغفلة عن العواقب فانها اذا تعلقت بشهوتها لم تصغ الى شيء يحذرها كالموت

وعدمتم اما بصيغة اسم الفاعل او اسم المفعول فلو كنت قبل نزول الشيب عالما بأني لا أحترمه بأن لم أترك فعل القبيح لاخفيت الشيب الذي ظهر او لا بالكتم بضم التاء وهو نبت يخالط بالحناء يخضب به الشعر والقاسمي الشيب سرا لانه قبل ظهوره يكون خفيا كحديث النفس الذي لم يظهر فان قيل اضافة أمارة الى ياء المتكلم تقتضي اتحاد الامر والمأمور لان نفس الشخص هي هو فأجيب بأن النفس باعتبار تعلقها بالعاصي آمر وباعتبار تعلقها بالصواب على فعل شيء وتركه مأمورة بالصواب منهم النفس المطمئنة وهي المأمورة بمخالفة النفس الامارة فهما مختلفان بالاعتبار وأجيب أيضا بان الامارة هي النفس وياء المتكلم هي البدن وهو المأمور وذكر بعضهم أن النفس تنقسم ثلاثة أقسام ثلاثة أحوال أمارة وهي التي تأمر بالمعاصي فلا تبرز لها شهوة الا صادتها فلم تسلك سبيل الرشاد ولم تستضيء بنور السداد ولوامة وهي التي ترجع

وأهوال يوم القيامة وعذاب النار ما يغلب عليها من كثرة ما يقع فيها بما نصه حتى أنه روى أن بعض الملوك كان يولي الحكومة سنة وبشرط من وليه قطع يده بعد السنة واذا قطع أمر برميها في الهواء وينادي مناديه من أراد الولاية فلينظر الهواء إن سقط ولاية الحكومة في الارض مدة خلافته بل يتسابق كثير من الناس فان أردت الخلاص من شر النفس فكن صادقا في الانابة الى الله تعالى بالاستعانة به عليها (والقلب ينظر الى باطن غيرها) أي الى قباحتها الباطنة فيحفظ بها ويسلم من شرها فان القلب لما كان متعلقا بادراك الاشياء على ما هي عليه فلا يحجبه ظاهر الاكوان من كل متباع دنيوي عن باطنها فيترك ما فيها لما يتسابق ويزهد في التافه القليل لما يتسابق اليه الكثير الجليل والحكمة طاعة عشر مقوله (ان أردت ان يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى) أي ان أردت أن يكون لك عز باق وهو التعلق بالله تعالى فلا تطلب عزا بعز فان وهو التعلق بالاسباب مع الغيبة عن مسببها وان أردت العز بالاسباب خذ لك وأسلك أحوج ما تكون اليها وكنت في غاية الذل والهوان وان اخترت العز بالله لم يقدر أحد أن يذلك قال الفضيل رضي الله عنه من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء وبقدر ما يعظم الرب في القلب يصغر المخلوق في العين ويحكى أن رجلا أسر بالعروف لهرون الرشيد فأمر هارون بربط ذلك الرجل بغلة نفور لاجل أن تقتله بنفورها وركضها ورمحها فعملوا به ذلك فلم تضره فأمر بطرحه في بيت وسد بابه عليه ففعلوا ذلك فرؤي في بستان وباب البيت مسدود على ما هو عليه فأخبر هارون بذلك فأتى بالرجل فقال من أخرجك من البيت قال الذي أدخلني البستان فقال ومن أدخلك البستان فقال الذي أخرجني من البيت فقال ركبوه دابة وطوفوا به البلد وقيل قال الآن هارون الرشيد قد أراد أن يذل عبدا أعزه الله فلم يقدر

﴿ باب الفقر والقناعة ﴾

وهذا باب ما شرد ذكر المصنف في هذا الباب سبع حكم فالحكمة الاولى قوله (ورود الفاقات أعياد المريدين) أي ان المريدين يشهدون أن الحاجات والبليات مرادات سيدهم فهم يفرحون بمراده اذ لا غرض لهم دون مراده فورود الحاجات والبليات أعيادهم لكونها تجمعهم على مولاهم تارة بالرغبة وأخرى بالرهبة وطورا بالسكون تحت الجلال وأما العارفون فهم مع الله لا يالون بفقر ولا غنا بل يفرحون بكل منهما والحكمة الثانية قوله (ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة) اي قد يحصل المريدين بسبب ورود الفقر والبلاء من زيادة طهارة السر ومعارف ما لا يحصل لهم بسبب الصوم والصلاة لانه قد يكون قيامهم بهما لشهوة أنفسهم فلا يؤمن من دخول الآفات فيهما أما الفاقات فهي مباينة للهوى والشهوة على كل حال فربما ورد معها المزيد الكثير من الاحوال والانوار وطهارة السر فكلما ازداد المريد بلاء ازداد قربة والحكمة الثالثة قوله (الفاقات بسط المواهب) البسط بضم الباء جمع بساط والمراد به المحل اي ان الفقر والحاجات محال المواهب الربانية والنفحات الرحمانية لانها تحضر قلبك مع الله تعالى وتجلسك على بساط الصدق والحكمة الرابعة قوله (ان أردت ورود المواهب عليك فصحح الفاقة والفقر لديك) بأن ترى نفسك فقيرا محتاجا لا تملك شيئا وأن لا تستغني

(يتبع)

باللائمة على صاحبها ان وقع في معصية بسابق القضاء وتلك حالة جيدة تولها عاقبة جيلة ان شاء الله تعالى ومطمئنة وهي التي اطمأنت للايمان واذكر الله والتصديق بوعد الله وهي التي ثبت لها العصمة من الله تعالى وسبقت لها السعادة منه تعالى وهذه الآيات الثلاثة خاصيتها أن من كانت نفسه غالبة عليه وامتنعت من التوبة وعجز عن مخالفة النفس فليكتبها يوم الجمعة بعد الفراغ من صلاة الجمعة وليمحها بالماء الورد ويشربه فاذا شربه استقر جالسا مستقبل القبلة حتى يصلي العصر والمغرب وذاكر الله تعالى ومكررا لهذه الآيات فانه لا يفارق هذا المجلس الا وقد انقادت نفسه وحسن حالها ووفقه الله للتوبة النصوح الى الله تعالى والله يحفظ النفس بنصيحة الشيب استفهم الناظم عن تكفل له برد جماحها بالواسطة السابقة فقال من لي برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل بالفعم فلا تزم بالمعاصي كسر شهوتها

ان الطعام يقوي شهوة النعم

بغيره تعالى بوجه من الوجوه ومن كان بهذه الصفة فهو جدير بأن يسعف بالطلب وترد عليه صدقات سيده لانه قد تحقق بصفات العبودية لقوله تعالى ﴿ انما الصدقات للفقراء ﴾ وقال بعضهم صدق الفقير أخذه الصدقة من يعطيه لا من يقبل اليه على يديه فالله تعالى هو المعطي على الحقيقة لانه جعلها لهم فان قبلها من الله تعالى فهو الصادق في فقره لما وهبته ومن قبلها من الوسائط فهو المتوسم بالفقر مع زيادة همته وهو الحكمة الخامسة عشرة قوله (فانك ان ذاتية) أي احتياجات الى المولى لازمة لان ذلك تقتضي الفقر المطلق كما أن ذاته تعالى تقتضي الغناء المطلق لكن هذا الاحتياج يخفى على غالب الناس ويغفلون عنه اذا دامت عليهم صحة أبدانهم وكثرة أموالهم فيغيبون حينئذ عن صفتهم الذاتية وعن مولاهم فيورد الله تعالى عليهم أسباب الاحتياج ليذكرهم ذلك كما قال (وورود الاسباب) اى أسباب الاحتياج من مرض وجوع وعطش وحر وبرد وغير ذلك (مذكرات لك ما يخفى عليك منها) اى الفاقة اى الحاجة الى الله تعالى قال سعيد بن جبير ومحمد بن الكدر كان ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش مائة سنة وعشرين لم ير مكروها قط ولو حصل له في تلك المدة جوع يوم او حمى ليلة او وجع ساعة لالهى الربوبية (فالفاقة الذاتية لا تدفعها العوارض) اى ان الامور الذاتية لا تزيلها الامور العرضية فما يحصل للعبد من الغنى والقدرة حتى تصير الاشياء كانها طوع يده لا يزيل الفاقة الذاتية لان ذلك من العوارض وقد دل حضورها وغيبتها على تلك الفاقة والحكمة السادسة عشرة قوله (خيرا وقتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك فترد فيه الى وجود ذلتك) بكسر الذال اى اذا علمت ان الفاقة ذاتية لك فخير اوقاتك وقت تذكر فيه احتياجك لرب تعالين بأن يزوى عنك الدنيا وهو عبدك فترجع في ذلك الوقت الى وجود ذلتك وانكسارك وبهذا يحصل لك الغنى بالله وهو الغنى الحقيقي الذي لا غنا بعده او وجود حضورك في ذلك الوقت مع ربك وانقطاع نظرك عن الاسباب الموجبة لبعدك عنه فلا شك أن ذلك خير أوقاتك وحري من عطا الله تعالى انه يبقى سبعة ايام لم يذق شيئا من الطعام ولم يقدر على شيء فسر فايه بذلك غاية السرور فقال يارب ان لم تطعمني ثلاثة ايام أخر لاصلين لك الف ركعة والحكمة السابعة عشرة قوله (لا تدعن بدك الى الاخذ من الخلائق الا) بشرطين الاول (أن ترى) اى تشاهد (ان المعطي فيهم مولاك) من غير ركونك الى الخلائق لانهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا مع مشاهدة ان الخلق محل فقط سواء كان الاخذ منهم بسبب او بلا سبب وبهذا يصح للعبد مقام القناعة والتوكل فيسقط من قلبه هم الرزق وتزول به عنه علاقات الخلق وان لم يكن على هذا الوصف كان عبدا للناس فيكثر طمعه فيهم ورغبته فيما في أيديهم فيقع بسبب ذلك في كبائر الذنوب من معاصي القلب والجوارح مثل المداهنة والنفاق والرياء والغش وغير ذلك من الصفات المذمومة المنافية للعبودية لله تعالى والتباعي موافقة على الشريعة على أخذ ذلك العطاء فتكون جامعا بين الشريعة والحقيقة كما قال المصنف (فاذا كنت كذلك) اى مشاهدا أن العطاء لا يكون الا من مولاك (فخذ ما وافق العلم) الظاهر والباطن على أخذه بان لا تأخذ الا من يد مكلف رشيد تقي وان لا تأخذ الا ما أنت مفتقر اليه في الحال لتنفقه في حاجتك من غير اسراف ولا اقتار

والنفس كالطفل ان تهمله شب على ٠
حب الرضاع وان تفطمه ينفطم
اى من تكفل بصرف قوة الشهوة من ضلالة النفس بالمواعظ السنية صرفا مثل صرف جاح الطبيعي عن انطباق الى الجادة بلجامها والغواية بمنع العين وفي هذا البيت اشارة الى أن السلوك الى الله تعالى لا يتم الا الشيخ عارف الى النفس ربما تتضمن أمرا يكون الهلاك فيه فالشيخ العارف كالطبيب الماهر فلا ترج أيها المخاطب تزكية النفس من المعاصي دفع شهواتها لانها اذا أحبت المعاصي قويت شهواتها فان الطعام يزيد في شهوة شديد الشهوة قال الطعام فيزيد منه يزيد في شهوته ابدا فان العادة تتبع أبدا فالذي فيها من الطعام الا نافع وقوتها الجائز بلا تزال وان امتلأت لاسيما معتادا طريق على الطعام قوله النهم بكسر الهاء وهو منع الحريص على الطعام نفسه عن الطعام لامتنعت كان النفس كالطفل الرضيع في عدم الملل بالاستمرار على العادات أن تتركه على

وهذا حال اهل التجريد فان حالهم تحقيق التوحيد وتخليص التجريد والحاصل ان ارزاق العباد المعتادة لهم تنقسم الى قسمين احدهما رزق يصل اليهم على أيدى الخلق من غير عمل وهذا حال أرباب التجريد والثانى رزق يصلون اليه باسباب واعمال وتصرف .. كالتجارات والصناعات وغيرهما وهذا حال اهل الاسباب فيجب على من دخل منهم فى شئ من الاسباب ان يتعلم احكامه ليسلم من الربا وغيره وقال أبو العباس المرسى رضى الله عنه الناس أسباب وسببنا نحن الايمان والتقوى قال الله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض

﴿ باب رياضة النفس والتحذير عن دسائسها ﴾

اى خديعاتها وهذا باب حادى عشر ذكر المصنف فى هذا الباب خمس عشرة حكمة الحكمة الاولى قوله (تشوفك الى ما بطن فيك من الغيوب خير من تشوفك الى ما يجب عنك من الغيوب) اى تطلعك الى ما خفى فيك من الامراض القلبية ككبر وعجب ورياء ومداهنة وحب جاه وغير ذلك من النقائص فى الاخلاق بأن توجه همتك الى زوال ذلك بالرياضة خير لك من تطلعك وطلبك المعرفة الى الغيوب المحجوبة عنك من خفايا القدر ولطائف الحكم وعجائب الملكوت لان النظر فى العيوب حق الادب وطلب الغيوب يجر الى العطب فان البحث عن معايب النفس سبب التوبة وطلب الغيوب سبب قاطع عن الله تعالى وطريق معرفة الانسان عيوب نفسه أربعة الاول أن يجلس بين يدى شيخ بصير بالعيوب فيتبع اشارته فيما يشير به عليه والثانى مصاحبة صديق صدوق يجعله رقيبا على احواله ينبهه على ما يخفى عليه من عيوب صفاته والثالث ان يعلم عيوبه من اعدائه اذ لابد من جريان ذلك على ألسنتهم والرابع ان يعلم ذلك من مخالطة الناس اذ يطلع بذلك على مساوئهم فاذا اطلع عليها منهم علم انها لا تنفك هو عن شئ من المساوئ منها لان طباع البشرية متقاربة فيطالب نفسه حينئذ بالتنزه عنها ، والحكمة الثانية ، قوله (اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف منافض لعبوديتك) قوله من اوصاف بيان لكل وصف مقدم على الذى منوب بتبعيض لان الاوصاف التى ليست منافضة للعبودية غير مجاب اى اخرج بالرياضة عن أوصاف بشريتك المنافضة لعبوديتك من معانى صفات الربوبية وأخلاق الشياطين وطبائع البهائم القائمة بالجوارح والقلب كغيبة ونميمة وتعاظم وكبر وعجب ورياء وسمعة وحقد وحسد وحب جاه ومال الى غير ذلك وابدل ذلك بصفات العبودية وأوصاف المؤمنين والروحانيين من تواضع واخلاص وصدق وذلة وافتقار وعفة واذكار وعلوم (لتكون انداء الحق مجيبا) اى لتكون مجيبا لنداء الله تعالى العام بقوله تعالى عند الامر والنهى يا بنى آدم يا أيها الناس يا أيها الذين آمنوا فان العبد لا يكون مجيبا من غير توقف عند زوال الاوصاف المنافضة للعبودية لانه عند زوالها يدخل الحضرة فيصير عند الله فيناديه نداء خاصا لا ان العبد اذا قرب من سيده صار عبدا على الحقيقة فيناديه نداء معنوية باسم العبد فيقول له يا عبدى فيجيب حينئذ مولاه باسم رب فيقول لبيك يا رب فيكون صادقا فى اجابته متحققا فى تلبيته (ومن حضرته قريبا) اى لتكون من دائرة ولايته لوجود

ما اعتاده من الرضاع كبر على حبه وان تنحه عنه امتنع ولم يصبر طلبا لله ولم يتضرر من الفطم وسئل بعضهم عن الاسلام فقال هو ذبح النفس بسيف المجاهدة ومدى المخالفة وفائدة هذه الايات الثلاثة أن من أكثر تلاوتها عند شروعه فى ازالة منكر منعتهم تلاوتها عشر مرات فانه يرى الهيبة والقبول بالكمال باذن الله تعالى قوله والنفس الاولى أن يقرأ منصوبة بالعطف على الطعام ليكون فى جانبان داخلا على العامل ويجوز أن يقرأ مرفوعة عطفا على ان فاصرف هواها وحاذر ان توليه ، ان الهوى ما تولى يصم او يصم وراعها وهى فى الاعمال سائمة ، وان هى استحلت المرعى فلا تسم كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر أن السم فى الدسم اى داعيات ذلك أيها المحقق بنار الهوى فاصرف هوى النفس عما هى عليه من طلب اللذات والانهماك

بعدك عن نفسك التي من شأنها الفرار منها فن أجاب الشارع في الافعال قرب من حضرة ذي الجلال ، والحكمة الثالثة ، قوله (أصل كل معصية وغفلة) من الرب (وشهوة) اي تعلق بما يشغل عن الله تعالى (الرضى عن النفس) لانه يوجب اتباع امرها وتغطية أمرها (وأصل كل طاعة ويقظة) اي فيه لما يرضي الرب (وهفوة) اي كف الشهوات (عدم الرضا عنك منها) لانه يكون سبب البعد عن اقتراف الآثام ولانه الباعث على تنقيش عيوبها فن رضي عن نفسه استحسن حالها ومن استحسن حال نفسه غلبت عليه الغفلة عن الله وبالغفلة ينصرف قلبه عن رعاية خواطره فتغلب عليه حينئذ دواعي الشهوة اذ ليس عنده من المراقبة ما يدفعها ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها فكان منتبها للعوارض وبالتنبه يتمكن من مراعاة خواطره فتضمحل تيران الشهوة فلا يكون لها قوة عليه فيتصف حينئذ بالعفة فاذا صار عفيفا كان مجتنبا لكل ما نهاه الله عنه محافظا على جميع ما أمر الله به وهذا معنى طاعة الله تعالى ، والحكمة الرابعة ، قوله (ولان تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما لا يرضى عن نفسه) أي والله تصحبك جاهلا بالعلوم الظاهرية من شيخ أو قرين أو خادم أو زوجة أو شريك لا يرضى عن نفسه بأن يعتقد نقصها خير لك في تحصيل فائدة الصحبة من صحبتك عالما بذلك يرضى عن نفسه (فأي علم لعالم يرضى عن نفسه) أي فلا علم له يفيده لان رضاه عن نفسه صيره بمنزلة الجاهل لعدم فائدة يقتضي علمه (وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه) أي لا جهل له يضره لان عدم رضاه عن نفسه صيره كأنه غير جاهل فرضى العالم عن نفسه مانع له من ان يعمل بما علم وعدم رضى الجاهل عن نفسه مانع له من ان يعمل بغير علم بل لا يعمل الا بما علم ويسأل عما لا يعلم مما يحتاج اليه وعلى هذا حمل قولهم ما اتخذ الله وليا جاهلا الا علمه أي أرشده للسؤال وأفاض عليه العلم النافع والحاصل أن المدار في الانتفاع بالصحبة انما هو على العلم بعظمة الله تعالى وجلاله واحسانه وافضاله لا على العلوم النقلية والعقلية وقد قال العارف بالله شهاب الدين السهروردي وقد يكون العبد عارفا بالله تعالى ذاتين وليس عنده علم من فروض الكفايات وقد كان علماء التابعين فيهم من هو يعلم الاحكام من الفتوى من بعض الصحابة وكان العلماء الزاهدون يعدون الاخذ عما لا يدوم منه من فروض الدين أقبلوا على الله وانقطعوا اليه ، والحكمة الخامسة ، (قوله كيف تخرق تلك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد) قوله تخرق اما بضم التاء الفوقية فهو مبني للمجهول والعوائد نائب الفاعل واما بفتح الياء التحتية فهو مبني للفاعل وهو الله تعالى والعوائد مفعول وكيف اسم استفهام انكاري أي كيف يكشف الله تلك الاسرار من الغيوب المكنونة بالحجب ويظهر على يدك الكرامة كطي الارض وغيره مما يخالف العادات والحال أنك لم تخالف عاداتك وخرق العادات من نفسك هو ان تترك الكبر والعجب وان لا تشهد لنفسك حولا ولا قوة ولا ترى عندها غنى ولا قدرة فتكون بمولاك في كل شيء وان تترك الشهوات وتميت نفسك حتى ترى أهليتها فان لم يصل الى هذا المقام فاذا رأى ما صورته صورة كرامة فينبغي له أن يخاف عند ذلك ان يكون استدراجا وان لا يحبه ولا يطلبه فانه ان أحبه وطلبه كان دليلا على بقائه مع ارادته لانه لم يخرق العادات من نفسه ، والحكمة

على الشهوات اي لا تتبعها في ذلك قوله ما تول امابضم التاء والواو وكسر اللام المشددة مبني للمجهول او بفتحات مبني للفاعل قوله يصم بضم الياء جواب الشرط مجزوم بحذف الياء وقوله يصم بفتح الياء وكسر الصاد والميم مضارع وصم اي واحذر أن تجعل الهوى أميرا او يروى توليه بالف بعد الواو اي احذر أن تنصره وتجعله حبيبا ان الهوى ان جعله الشخص أميرا عليه او ان صار اماما له يقتله في مكانه الذي ضربه فيه او بجعله ذا عيب واحفظ النفس من الفاسد وانظرها والحال أنها في رياض الاعمال الصالحة رائعة وفي حياض الاحوال السنية كارعة وان هي وجدت المرعى حلوا فانها ممكنة الا تخرجها الى ذلك المرعى اي وان أعدت النفس بعض التطوعات حلوا وأحبته فاجتهد في أن تقطع نفسك عنها واشتغل بما هو أشق عليها الآن اعتبار العبادة انما هو بمفارقتها عن العادة وانما أمر الشخص بصيانة النفس وهي مشتغلة بالطاعة لانه قد يكون لها

السادسة ۞ قوله (تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال) والهوى هنا بمعنى الهوى وهو الشهوات أى تمكن حلاوة ما تحبه النفس وتميل اليه شهوات الدنيا هو الداء الذى لا علاج له لانه اذا تمكن الداء من القلب لم يبق الدواء محل فلذلك تعذر برؤه وأدوية هذه الداء هى الايمان والمعرفة واليقين وانما تمكن لذة هذه الحظوظ من القلب بالرضى من النفس والاسترسال مع مرادها واذا كان هذا الداء معضلا لانه لازم للنفس ملازمة الوصف لموصوفه ولما كانت هذه الشهوات راسخة من القلب احتاج السالك المجاهد الى من يعاونه من شيخ أو أخ صادق وأصعب الشهوات على صاحب الرياسة وهو آخر ما يخرج من قلوب الصديقين ۞ والحكمة السابعة ۞ قوله (لا يخافن عليك أن تلتبس الطرق عليك وانما تخاف عليك من غلبات الهوى عليك) اى لا يخافن عليك اشتباه طرق العبودية التى توصلك الى ربك عند تلبسك بحال من الاحوال كطاعة او معصية او نعمة او بلية لان الشريعة مبينة لذلك فتعود تلك الطاعة ان تشهد منة بها عليك وفى المعصية الاستغفار والتوبة منها وفى النعمة الشكر عليها وفى البلية الصبر عليها وانما تخاف عليك فى هذه الاحوال من غلبة حب الدنيا وشهوات النفس واذا غلب عليك ذلك رضيت عن نفسك فتصدك عن سلوك طريق الى الله تعالى ۞ والحكمة الثامنة ۞ قوله (الناس يمدحونك فيما يظنونه فيك فكن أنت ذاما لنفسك) اى الناس يمدحونك اعتمادا على الظن الحسن وأنت تعلم عيوبك على اليقين فاعتمد على يقينك ولا تغتر بمدح الناس عليك والغ ظنهم وقد خرج البزار عن بريدة باسناد حسن ان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم أجعلنى شكورا واجعلنى صبورا واجعلنى فى عينى صغيرا وفى أعين الناس كبيرا اه واى شئ يضرك من كونك فى اعين الناس كبيرا اذا كنت فى نفسك صغيرا غاية الامر انهم يوفون حقوقك ويخالطونك بسلامة الصدر وتجو من شرهم واسقاط الجاه ليس مطلوبا بالذات لانه لابد للانسان من جاه ما لئلا يضيع حقوقه وتنتهك حرمته ۞ والحكمة التاسعة قوله (المؤمن اذا مدح أنقبض من الله تعالى ان يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه) اى المؤمن الحقيق هو الذى لا يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها ان يثنى عليه والا يشهد ذلك من ربه فاذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه انقبض من الله استحياء لتعظيم قدره ذلك مقت النفسه واحتقارها وتنوى عنده رؤية احسان الله تعالى وشهود فضله فى اظهار المحاسن عليه اى ان المراد من هذه الحكمة ان المؤمن الكامل لا يغفل مع اثبات الكسب له عن الحقيقة التى هى أن الفعل كله لله تعالى وهو الذى خلق ونسب اليه تفضلا منه ومنة واذا كان الامر كذلك فينبغى من سيده ان يثنى عليه باعطاء مولاه ۞ والحكمة العاشرة ۞ قوله (أجهل الناس من ترك يقين ما عنده) من عيوب نفسه وتقصيره مع ربه (لظن ما عند الناس) أى لاجل الظن الذى عند الناس من صلاح حاله حتى اعتقدوا اتصافه لما مدح به واغتر بشهادة الخلق فيه بذلك الظن وقد شبه الحرث المحاسبى رضى الله عنه الراضى بالمدح بالباطل بمن يهزؤ به ومثاله ان العذرة التى تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالعذرة به ۞ والحكمة الحادية عشرة ۞ قوله (اذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فاثن عليه بما هو أهله) اى اذا اطلق الله ألسنة الناس بالثناء عليك

شهوة فيها كريه وحب محمدة وشهرة تكاثر زينت النفس لها أى كثيرا أعدت النفس لذة فانه لشخص حسنة من جهة كونها يعزان السم مدسوس فى الدهن فلذة مفعول حسنت وفاعله صفته والسم بفتح السين اما مصدر او معنى حاصل به وبكسرها شئ تودسم والكل هنا صحيح والمراد بالسم هنا ما يضر النفس وبالدسم هنا الطاعة وفائدة هذه الآيات الثلاث أن من واظب على قراءتها خلف صلاة مكتوبة عشرين مرة استقام أمره على الكتاب والسنة وجعله الله آمنا من الاهوال والبدع واخش الدسائس من جوع ومن شبع ۞ قرب مخمصة تشر من التخم واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت ۞ من الضار هو لازم جهة الدم اى خف المكايد التى تخفيها النفس فى الجوع والشبع المفرطين دون المعتدلين والمراد بالدسائس الآفات الكامنة الناشئة من كل من الجوع والشبع فمن الجوع الحقد وسوء الخلق والخمول والذبول فى الشقوة والهوان

والحال أنك لست أهلا لذلك ولم تفز بذلك فأين على الله باسم هو لائق به واشكر الله الذي أشهدك عدم أهليتك لمدح لائق من المناصب التي لا يعطيها الا الله تعالى وهو الحكمة الثانية عشرة (حط النفس في المعصية ظاهر جلي وحطها في الطاعة باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه) اي فمضاشهوة النفس ظاهر في المعصية لان عادتها الميل الى الشهوة والفرار من الحقوق الواجبة فهي لا تسعى الا في ذلك والسعي في علاجها بالطاعة وقضاء شهوتها في الطاعة خفي على فاعلها لا يعلمه الا الناظر لانه لا يدرك الا بدقة نظر ولذلك كان علاجه صعبا فأهل البصيرة يتهمون أنفسهم اذا ألفت بابا من العبادات فقد حكي عن ابي محمد المرتعش رضي الله عنه أنه قال جعت كذا وكذا يوما على التجريد فبان لي أن جميع ذلك كان مشوبا بحظي وذلك ان والدتي سألتني يوما ان أستقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت أن مطاوعة نفسي في الجلسات كانت مخلوطة بشهوة نفسي اذ لو كانت نفسي قانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع وروي عن أحمد بن أرقم البلخي قال حدثتني نفسي بالخروج الى السياحة فعزمت فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تأمرني بالخير فريد لقاء الناس ليتسامع الناس بها فليستقبلوني بالبر والتعظيم والاكرام فقلت لها أسألك بالله العمران ولا أزيل على معرفة فأجابت فأسألت على بها وقلت والله أصدق قولا فقلت لها أتقابل المدو حامرا فتكون أول قتيل فأجابت وعددت أشياء مما أردتها به فأجابت الى كل ذلك فقلت يا رب نهتني لها فانى لها شهم ولقولك مصدق فأنعمت فصارت كأنها تقول لي انك تقتلني كل يوم مرات بمخالفتك اياي ومنع شهواتي ولا يشعر بي أحد قال قالت فقلت كانت قتلي قتلة واحدة فخجلت منك ويتسامع الناس فيقال استشهد أحمد فيكون الاستشهاد شرفا لي وذكرا في الناس قال أحمد فتعبدت ولما أخرج ذلك العام * والحكمة الثالثة عشر * قوله (اذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا) هذا ميزان صحيح باعتبار غالب الانفس لانها مجبولة على الجهل والشر فاذا أشبه عليك أمران واجبان او مندوبان فبادر أيها اولى بالاشتغال فابتدء في أوامر الله تعالى بالاوجب فالاوجب والافضل فالافضل فان لم يتبين لك في أمرين أيهما اوجب او أيهما أفضل فانت الذي هو اثقل على نفسك من جهة الطبع لانها لا تقبل الا الى ما فيه مكرها فان لم تقدر على معرفة اثقلهما فانظر على أيهما تحب ان يأتيك الموت فأحبته فانه يلزمه لان النفس المؤمنة وان كانت غافلة عاصية لا تحب لقاء الله الا على الخير الصالح لانه لا هوى لها عند الموت في الدنيا وهذا هو الغالب والا فقد يكون الاخف على النفس اولى وذلك اذا كان الاثقل يفضي الى الملل * والحكمة الرابعة عشر * قوله (المؤمن يشغله الثناء على الله تعالى عن ان يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا) فالكمال اي فالمؤمن الكامل لا يلتفت الى نفسه في نسبة شيء من المحاسن اليها وهو الافعال الجميلة والاحوال السنية لعلمه أن جميع محاسنه من الله فلا يقول انا صليت ولا أنا صمت لانه مشغول بالثناء على الله تعالى وهذا تواضع السالكين والمؤمن الكامل لا يعتقد ان له حقا على نفسه من الطاعات وهو بعد الله تعالى لذاته لا الطمع في الجنة ولا الهرب من النار فان الثناء على الله تعالى والحرص على توفية جميع حقوقه تعالى يشغله عن

وحدوث الكلال والملال وتولد الخيالات الفاسدة وغير ذلك ومن الشبع القوة والغفلة والكسل وغلبة الشهوة واظلام القلب وغير ذلك وكل من هذه الامور أمور مشوشة للعبادة فقوله قرب الغذاء للتقليل اي لا تستبعد مكابدة الجوع اذ رب مجاعة مفرطة شر من فساد المعدة بالطعام فقد لا تحصل العبادة بالكلية مع الجوع المفرط وتحصل مع كثرة الاكل وان كان فيها كسل فترك العبادة بالمرة شر من الكسل فيها ويحتمل أن يراد بالجوع قلة العبادة وبالشبع كثرتها لان قلة العبادة تؤول الى الجوع في الآخرة وكثرتها تؤدي الى شبعها فالمعنى واخش المكر الذي تخفيه النفس حال تلبسها بقليل العبادة وكثيرها فلا تستبعد ذلك اذ رب عمل قليل شر من عمل كثير فان النفس قد تزين لصاحبها قليل العبادة كان تقول له داوم على القليل من العبادة لان الكثير يضر البدن فيؤدي الى الضجر بالكلية ويؤدي الى الرياء ويكون قصدها الراحة وقد تزين

جميع ذلك وهذا تواضع العارفين الكمل وذلك لان في الثناء على الله تعالى نفعا عاجلا وآجلا فالعاجل زيادة الخير والآجل كثرة الثواب وان في الثناء على النفس ضررا عاجلا وآجلا فالعاجل اعراض عن شكر النعمة وهو بودي سلبها والآجل الرضى عن النفس وهو أصل المفاسد الاخروية وهذا اذا لم يقصد التحدث بنعمة الله تعالى أما اذا قصد ذلك وان مافيه من المحاسن منة من الله عليه وانه لا يستحق شيئا منها فلا بأس به ولكن أهل الارادة لا يرون أنفسهم فكيف يرون نسبة المحاسن اليها ورؤية هذه النسبة تسمى شكر النفس وقد تقدم أن القضاء عندهم لا يمكن لا تمام وقت يرد الا وهو فيه حق جديد فهم مشغولون بحقوق الله دائما في كل وقت فتشغلهم عن ذكر حظوظهم * والحكمة الخامسة عشر * قوله (لولا مبادين النفوس ما تحقق سير السائرين اذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطيعة بينك وبينه حتى تحسوها وصلتك) والمراد بالمبادين دعاوى وبالسير قطع عقبات النفس ونحو آثارها والمسافة الحسية التي يطويها السير هو البعد الحسي فلا تكون الاين متباينين يصل أحدهما الى صاحبه صاحبه والعداوة وهي انقطاع الوصلة هي البعد المعنوي ولا تكون الاين متضادين فيحتاج أحدهما على المودة وهما محالان في حقه تعالى لنفي المثلية والمعادية بينه تعالى وبين غيره والقطعة بضم القاف معناه العداوة والمعنى لو لا دعاوى النفس وشهواتها للوجد السير الى الله تعالى وهو قطع عقبات النفس ونحو آثارها دعاويها حتى تطهر النفس من حظوظها وتحصل لها أهلية القرب من الله تعالى فعند انتفاء الشهوات لا حاجة للناس الى قطعها لانه هو السير اليه تعالى لانه لا مسافة بينك وبين الله تعالى لانه ليس في جهة ولا في سماء ولا في أرض ولا عداوة بينك وبينه تعالى لان العداوة من صفات الحوادث وهي محالة في حقه تعالى لانه تعالى لا يتأثر بشيء وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك وانما ثرات الاعمال عائدة على العباد فلا معنى لسير الله تعالى الا الخروج عن صفات النفس ولذلك قال بعضهم ما الحياة الا في الموت اي اي ما حياة القلب الا في اماتة النفس وقيل النعمة العظمى الخروج عن النفس لان النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى

﴿ باب الخوف والرجا وأعتدالهما ﴾

وهذا باب ثاني عشر ذكر المصنف في هذا الباب تسع حكم * الحكمة الاولى * قوله (من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل) اي ان العابد يعتمد على عمل الجوارح من صلوة وأذكار وأوراد وغيرها في دخول الجنة والتنعم فيها والنجاة من عذاب الله تعالى فان صدر منه معصية كزنا نقص رجاؤه في الله تعالى أن يدخله الجنة ويجيره من العذاب والمريد يعتمد على العمل في الوصول الى الله تعالى وكشف الاستار عن القلوب وفي حصول المكاشفة والاسرار فان صدرة منه زلة كغفلة عن الله تعالى وترك اوراد نقص رجاؤه في الله تعالى أن يوصله الى مطلوبه وكلاهما ناقص مذموم فان الاعمال غير موجبة لشيء ولانه فيه نسبة الاعمال الى النفس أما قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وقوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له فذلك أظهر

له كثير العبادة كأن تقول له الزم الكثير من العبادة ليكثر ثوابك ويكون قصدها بذلك الشهرة عند الناس فمعظم عندهم وهذه مفسدة عظيمة لكن مع الاستكثار من العبادة قد يسلم له كثير منها بل قد يتصلح باطنه في آخر أمره وقد كان بعض المشائخ يقول عليكم باصلاح ظواهركم فانه يوشك أن تتصلح بواطنكم * انظر في مصلحتك وصب الدمع بالبكا من عين قد امتلأت من المأثم من أجل النظر الى الاشياء التي حرم الله النظر اليها وازم مع التوبة اياك من الوقوع في المعاصي أو بقال وازم التوبة النادمة لك عن عقاب الماضي والمراد من الندم التوبة المستكملة الشروط الشرعية وانما عبر عنها بالندم لانه العمدة فيها وهذان البيتان خاصيتهما أن من قالهما قلبه وغلبت عليه نفسه وكررهما الليلة الجمعة عند السحر فانه لا يصبح الا وقد رأى رقة في قلبه وكسرا في نفسه ونهوضا في أعضائه في العبادة وخالف النفس والشيطان

لالازم فالعبد لايدرى على يختم له باى يدع الآن ام لا والعارفون وهم الذين خرجوا عن دائرة أهل الغفلة لايمنون على الاعمال فرجاؤهم وخوفهم فى حالتى الطاعة والمعصية على حد سواء لايزيدان ولاينقصان لانهما تابعان لما لهم من الله تعالى من تجلى التجليات الجمالية والجلالية وهم لايرجون لانفسهم ولايخافون عليها لعلمهم ان الله تعالى أولى بها منهم لانه تعالى خلقها أولا واشتراها آخرا فخرجت عن ملكهم وصارت فى ملكه تعالى يفعل بها مايشاء فرجاؤهم انما هو الانس بالله والوصول اليه وشهوده به فذلك عندهم هو النعيم وخوفهم انما هو هيبة واستحضار عظمة وحكى ان حاتما الاصم قال كنت فى بعض الغزوات فأخذنى تركى وأضجعنى لاذبح فلم يشتغل به قلبى بل كنت انظر ماحكم الله بنا فبينا هو يطلب السكين من خلفه اذا أصابه سهم فقتله وطرحه عنى * والحكمة الثانية * (لانهاية لمداك أن ارجعك اليك ولافرغ مداتحك ان أظهر جوده عليك) اى ان الله تعالى اذا وكلك لنفسك بأن تركك بينك وبينها ولم يعنك بظهر قباتحك فذمها لانهاية لها واذا أظهر فضله وكماله عليك تقلب صفات الذم صفات مدح ويظهر عليك من الفتح العجب العجاب فتصير مداتحك لانهاية لها فأنت من حيث نفسك مظهر كل نقص وعيب ومن حيث فضله تعالى مظهر كل خير ولذا ينبغى للانسان أن يكون بين الخوف والرجاء والحكمة الثالثة * قوله (من عبر من بساط احسانه أصبته الاساءة مع ربه ومن عبر من بساط احسان الله اليه لم يصبه اذا أساء) قوله عبر بتشديد الباء اى من دل على الله وتكلم بالموعظة لعباد الله اذا حدثته نفسه بانه أفادهم الهم مستمدا من بساط احسان نفسه بما حصل منه من التوافل والاذكار فهذا ان وقعت منه اساءة يصعب عن التعبير لايطرأ عليه من الخجل ومن دل على الله وتكلم بالنصيحة للمريدين مستمدا من بساط فضل الله لم ير لنفسه حالا فهذا اذا حصلت منه زلة لايصعب عن الدلالة على الله لعدم انقطاع ما استمد منه أو بتخفيف الباء والمعنى من دخل طريق الحق وعمل بطاعة ربه ورى أنه عامل بطاعته فان حصل منه مخالفة لأمر ربه فلا ينطق لسانه بالطلق اذا تكلم بالنصيحة للعباد ومن دخل الطريق وعمل الطاعة وغاب عن رؤية احسانه تاظرا ان الله من عليه بذلك العمل فلا يحتشم عند الزلل بل ينطق لسانه عند التعبير بالنصيحة لعباد الله والحاصل ان الناس على ثلاثة أقسام قسم من يكون الغالب عليه شهود تقصيره فيقوم مقام المعتذر بين يدى الله تعالى وتلازمه الاحزان كما بدت منه سيئة فهذا حال العباد والزهاد وأهل اليقظة وشأن أهل التكليف فهؤلاء لم يخرجوا عن باطن الشرك وان خرجوا عن ظاهره لانهم أقبلوا على أنفسهم موبخين لها شاهدين لتقصيرهم فلم يشهدوا الفعل لها أو منها ما توجهوا لها بالتوبيخ اذا قصرت والذى ينبغى للعبد أن يذم النفس حيث ان الله أمره بذمها من غير ان يشهدها قدرة ومن غير ان ينسب اليها فعلا وقسم من يكون الغالب عليه شهود ما من الله عليه من الفضل والاحسان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح بنعمة الله وهذا حال أهل العناية والوداد وشان أهل التعريف وحال أهل المعرفة وصاحب هذا الحال لم يسلم من اثبات لنفسه اذا رأى نفسه مهداة اليها هدايا الله تعالى فلولا اثباته لنفسه ماشهد ذلك وقسم من هو يشهود ما من الله الى الله وهم أهل التوحيد والداخلون فى ميدان

واعصها *
وان هما عصاك فاعص النصح
فانهم
ولاتطع منهما خصما ولا
حكما *
فأنت تعرف كيد الخصم
والحكم
أى اذا أمرتك نفسك
والشيطان بشئ أو نهياك
عن شئ فخالفهما فيه
لانهما عدوك واعصهما
فى الحرم فان مخالفة النفس
رأس العبادة وترك شهواتها
أول مراتب السعادة قال
سهل بن عبد الله ماعبد الله
بشئ مثل مخالفة النفس
والهوى وان أخلصالك
النصح فالسبها الى الخيانة
لان مرادها بالخديعة
وذلك كأن تقول النفس
متعنى بهذه الشهوة لاتملى
منها ثم أتوجه الى الطاعة
فارغة أو تقول لن نوى
الجد فى العبادة ان الله غنى
عنك وعن عبادتك فحافظ
على أصل الايمان ويكفيك
أو تقول لها منهمك فى
العصيان انك قد أذنبت ذنوبا
عظيمة لاتقبل لك معها
توبة فاترك دنياك ولاتطع
من النفس والشيطان
خصما فى ابداء الامر ولا
حكما بعد الاشتغال بالمعاصى

الفريد ، والحكمة رابعة ، قوله (اذا أردت أن ينفتح لك باب الرجاء فاشهد مامنه اليك) أي اذا أردت أن ينفتح لك باب الرجاء فاحضر في نفسك ما أنعم الله به عليك من الفضل والكرم والاسعاف والالطاف من حين كونك في بطن أمك الى الوقت الذي أنت فيه فيغلب عليك حينئذ حال الرجاء ويذهب عنك خوف اليأس (واذا أردت أن ينفتح لك باب الحزن فاشهد مامنك اليه) أي واذا أردت أن ينفتح لك باب الحزن فتذكر بقلبك مامنك الى الله من نقص الزال أو قبح العمل بان تتذكر العصيان وسوء الأدب مع الله فيغلب عليك حينئذ الخوف أو تتذكر أنك ترى استحقاق الثواب على أعمال الطاعة وتضع في نفسك الاعجاب وغير ذلك فيضاف عليك حينئذ أن تحيط بطاعاتك معاصي فينفتح لك باب الحزن ، والحكمة الخامسة ، قوله (الرجا ما قارنه عمل والا فهو أمنية) الرجاء انتظار حصول المحبوب في المستقبل بشرط مقارنة العمل فان لم يقارنه عمل فان لم يعلم حصول الاسباب وعدمه فهذا الانتظار تمن وان علم انتفاء الاسباب فغرور وحق أن الرجاء الحقيقي المطلوب هو ما قارنه عمل لان الاعمال علامات وكل ميسر لما خلق له ومن أحسن ظنه بالعمل أحسن به الظن والرجاء الصادق لا يتوقف على تحصيل جميع الاعمال الصالحة والالم يتصور وجوده من أكثر الخلق بل الغالط الذي يطيع تارة ويعصي تارة أخرى يصح منه الرجاء والخوف ولا يصح الرجاء من غير العامل فالواقع منه اما أمنية أو غرور واذا لم يصح الرجاء من المهمل وان كان عنده الايمان لانه مشغول بتخريب اتيانه ومع هذا لا يجوز له أن ييأس من روح الله وبهذا يظهر حصول مطلق الرجاء لاكثر الامة فان شعب الخير كثيرة وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني لا أصوم الاشهر رمضان لا أزيد عليه ولا أصلي الا الخمس لا أزيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع فان انا مت فقال عليه السلام في الجنة فقال يارسول الله معك فنعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم أنت معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينيك من اثنين النظر الى ماحرم الله تعالى وأن تزدري بهما فسألا دخلت الجنة على راحتي هاتين اه قال معروف الكرخي رضي الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وخذلان ، والحكمة السادسة ، قوله (ان لم تحسن ظنك به لاجل حسن وصفه حسن ظنك به لاجل معاملته معك فهل عودك الا احسنا وهل أسدى اليك الا منا) أي ان لم تحسن ظنك بالله تعالى لاجل صفات كرمه الجليلة من مغفرته ورحمته ورأفته وفضله ومنه الى غير ذلك فحسن ظنك بالله لاجل شمولك بفضله وكرمه وايساغه النعم عليك فما جعل الله العادة لك الا احسنا من نعمه وما أحسن اليك الا عطاياه من كرمه فهو المحسن لك في كل حال والاول نظر العارفين الخاصة فهم يحسنون الظن برهم دائما لانهم مع كل نفس يرتقبون الحضور معه الحضور المولى ويحسنون بالله الظن لما هو عليه من النعوت السنية وهذا لا ينافي خوفهم من مولاهم لان من خافه انما خافه ومن فر اليه حسن الظن به فالتعلق به أصل حسن الظن وأصل ذلك المعرفة لصفات الجمال والثاني نظر العامة اي فان لم تقدر على مقام الخاصة

فصورة كون أحدهما خصما والآخر حكما أن أحدهما يزين لك الاقدام على المعصية وأنت تمتنع من ذلك لما تعلم من سوء العاقبة فقد صار خصماك ثم بعد الاقدام على المعصية يزين أحدهما لك البقاء عليها وأنت تريد الخروج منها فيضرب لك أجلا بعد أجل فقد صار حكما في ذلك ويقال اذا تخاصم العقل مع النفس وجعلا الشيطان حكما أو تخاصم العقل مع الشيطان وجعلا النفس حكما فلا تطع واحدا من النفس والشيطان في الحالين لان كلا منهما يدعو الى الشر وأما العقل فيدعوا الى الخير والصلاح فأنت تعليلية أي لانك تعرف مكر الخصم وجور الحاكم من الناس فالمكر منهما أشد وخاصة هذين اللذين أن من واظب عليهما غلب نفسه وشيطانه ورزقه الله الحفظ منهما ان شاء الله تعالى والحاذر الناظر من خديعة النفس وأمر بصرف الهوى عنها ومخالفتها ومخالفة الشيطان خاف على نفسه الزيغ فأخذ يطلب مغفرة الله تعالى فقال

فتلبس بمقام العامة فالمقام الاول ينتج محبة الله وصحة التوكل عليه والمقام الثاني ينتج شكر النعمة تعالى وحسن التوكل من العرفين له تعلق بالله وأما غير القول على الله اذا قال (أي أحسن الظن بالله فقد اثبتت عليه الامنية بحسن الظن والحكمة السابعة بقوله) من استغرب ان ينفذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استبعد القدرة الالهية) اي من اعتقد بعده من أن يخلصه الله من شهوته المكبلة له عن القيام الى حضرته ومن أن يخرجه من وجود غفلته التي شغلته بكلية حكم بعجز قدرة الهية فالوصول الى الله تعالى ليس مشروطا بحصول الاستقامة من اول وهلة وعن مغيث ان عيسى قال كان رجل من بني اسرائيل يعمل بالخطايا فيبتلى وهو يسير ذات يوم ذكر ما سلف من عمله فقال اللهم غرائك فاستجاب على ذلك المقال فغفر له وروى عبد الصمد بن معقل عن عمه وهب بن منبه رضي الله عنهم أن رجلا قتل تسعة وتسعين انسانا ثم عاد الى سائح من سائحي بني اسرائيل فسأله عن ذلك فرفع له السائح من الارض عرجونا أبيض قد بدا عليه الحول ثم قال له اذا انخضر هذا العرجون فتبت توبتك واراد السائح بذلك أن يزيده من التوبة لعظم ذنبه فأخذ الرجل العرجون وهو يطمع في التوبة ويعزم في شباب وجعل يعبد الله تعالى زمانا وبعد حين اخضر ذلك العرجون باذن الله تعالى وقدرته (وكان الله على كل شيء مقتدرا) اي قادرا فلا تقنطن من رحمة الله وقد بابه بذل واقتدار فعسى أن يسهل ما استصعبته وبظهر ما استغربته وما ذلك على الله بعزيز والحكمة الثامنة بقوله (لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف من مزعج او شوق مفلق) اي لا يخرج الشهوة المتمكنة من القلب الا وارد قوي قاهر لها شيء من خوف مزعج او شوق مفلق فيتوصل الشخص الى الاسراء المخرج لحلاوة الشهوات بالمواظبة على حضور مجالس الذكر ومخالطة اهل التذكير والوعظ فلا يزال ذلك يعمل في القلب شيئا فشيئا الى ان يسكن قلبه فمن تذكر أحواله عند نزول الموت به وعند دخول القبر وحيدا وسؤال الملكين وتذكر الساعة وأهوالها حصل له من الخوف ما يزجره ومن تذكر ما أعد الله تعالى لاوليائه من الاجر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر حصل له من الشوق ما يقلقه والحكمة التاسعة بقوله (لا يأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فرب قبول من العمل ما أدرك ثمرته عاجلا) اي لا تقطع رجاءك من قبول عمل لم تجد فيه في ذلك العمل وجود الحضور مع الله بقلبك لانه تعالى كريم قد يقبل من العمل ما لم تدرك حلاوته حال فعله لان الحضور ليس شرطا في قبول العمل ولا في صحته وانما الشرط مطلق الاخلاص وهو قصد وجه الله وثمرة العمل وجود الحلاوة والحلاوة فرع الحضور وهو دليل على القبول ولا يلزم من فقد الدليل فقد المدلول

﴿ باب آداب الدعاء ﴾

وهذا باب ثالث عشر ذكر المصنف في هذا الباب أربع عشرة حكمة ، الحكمة الاولى بقوله (لا يكن تأخر أمد العطاء مع الالحاح في الدعاء موجبا لياسك فهو ضمن لك الاجابة فيما اختاره لك لا فيما اختاره لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد) اي لا يكن تأخر زمن العطاء مع الاكثار والمداومة في المسئلة سببا لقطع رجائك من اجابة الدعاء لانه تعالى قد ضمن لك الاجابة بنحو قوله تعالى ادعوني أستجب لكم في شيء يختاره لك فانه يعلم ما يصلح

استغفر الله من قول بلا عمل
لقد نبهت به تعلا لذي
عقم
أمرتك الخير لكن ما ائتمرت
به *
وما استقمت فما قولي لك
استقم
ولا تزودت قبل الموت
نافلة *
ولم أصل سوى فرض ولم
أصم
أي فاني استغفر الله من اجل
قول صدر مني بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر
متلبس بعدم عمل موافق
لما قلت فكأني قد نبهت
بهذا القول ولدا لهم اي لمن
لا يقبل الواعظ قوله عقم
بضمتين فقد امرتك
بفعل العمل الصالح
اكثر مما فعلت أنا ما امرتك
به وما اعتدلت بفعل
المأمورات وترك المنهيات
فائدة قولي لك اعتدل
أنت اذا لم أعتدل أنا والنون
في نافلة ما لتعظيم أو التصغير
وفي فرض التصغير اي وما
تزودت قبل نزول الموت
نافلة عظيمة تعتد بها ولم اصل
ولم أصم سوى فرض حقير
لا يعتد به لكونه غير مشتمل
على خشوع وتوجه تام
وبقالوما تزودت نافلة

لك لا في شيء تختاره لنفسك رجوتك لانك لا تعلم ما يصلح لك فقد تحب ما يضرك وتكره ما يسرك وفي الوقت الذي يريده لا في الوقت الذي تريده فالاجابة المطلقة حاصلة لكل داع الا ان الاجابة أمرها الى الله تعالى يجعلها متى شاء وقد يكون المنع وتأخر العطاء اجابة وعطاء لمن فهم عن الله تعالى ذلك وقد يكون تأخير ذلك الى الآخرة خيرا له فلا يأس العبد من فضل الله تعالى اذا رأى منعا أو تأخيرا وان الح في سؤاله وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أحد يدعو بدعوة الا آتاه الله ما سأل وكف عنه من السوء مثلها مالم يدع بأثم أو قطيعة رحم وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من داع يدعو الا استجاب الله له دعوته او صرف عنه مثلها سوء أو حط من ذنوبه بقدرها مالم يدع بأثم أو قطيعة رحم وقال سيدي زروق الناس ثلاثة رجل قصد مولاه بالتفويض ودوام التعلق به في الوجود والعدم فحصل له الرضى عنه تعالى ورجل وقف بباب مولاه والقاه وعده ناظر الحكمة فهو يرجع على نفسه برؤية التقصير فقد الشروط عند التأخير فيؤديه ذلك الى اليأس تارة والى ريبة تارة أخرى وان تيسر مراده عظمت الشريعة في قلبه ورجل وقف بالباب مصورا بالعلل ملفوفا بالغفلة طالبا للغرض دون اقامة على الحكم وهذا ربما تشكك في الوعد ووقع في الحيرة او وقع في اليأس لغير سبب ﴿ تنبيه ﴾ شروط لاجابة الاضطرار وعدم الاستعجال وعدم التلبس بالحرام أكلا وشربا ولباسا والحكمة الثانية قوله (لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود وان تعين زمانه) أي لا يوقعنك في الحيرة عدم وقوع الموعود بسبب الوعد وان تعين زمن الموعود والوعد هو اما ان نجد من بعض الاحاديث أنه من قرأ هذا الورد حصل له كذا مثلا واما ان نخاطب في سرك وتوعد كما هو شأن أرباب القلوب (لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك واخذا لنور سريرتك) أي لئلا يكون ذلك التعيين قادحا في معرفتك وعينك ومخدا النور عقيدتك لان التعيين في وجه ذلك اذا حصل في القلب اخل اليقين واذا اخل ذهب نور العقيدة والمراد بالشك التحير لان المسلم لا يشك في صدق وعد الله تعالى وكون التحير قادحا في البصيرة لعدم انتفاعها وكونه اخذا لنورها فلان نور العقيدة مستفاد من اتساع النظر والوقوف مع ظاهر الوعد مذ ذاك والبصيرة كالبصر فأي شيء يجمع فيها يمنع النظر ويشوش الفكر ﴿ والحكمة الثالثة ﴾ قوله (طلبك منه اتهام له) اي سؤالك منه تعالى ما تريده من الحوائج تهمة لله تعالى لكفالة التقة به اذ لو وثقت به في ايصال منافعه اليك من غير سؤال فاطلبت منه شيئا هذا اذا اعتقدت أنه لولا سؤالك ما حصل له الرزق كما هو الغالب على من اشتغل بعلم الطرق واستعمل اسم لطيف أما من طلب منه تعالى امتثالا لامره واظهارا لحاجته الى مولاه فلا ذم فيه (وطلبك له غيبة منك عنه) اي وطلبك للوصول اليه تعالى علامة على أنك غائب عنه اذ لو كنت مستحضرا لقربه منك وحضوره معك لما طلبته (وطلبك لغير ما هو حياتك منه) او قصدك غيره تعالى في قضاء حوائجك فهو جهل منك لان الطلب من خادم الملك في حضرة الملك قلة أدب وهذا اذا قصد الغير من حيث أنه غير أما اذا قصده ليدله على الله عملا بقاعدة الاسباب الظاهرة مع عدم احتجابه عن المؤثر الحقيقي معتقدا أن كل شيء منه تعالى فلا نقص فيه بل هو الكمال ويقال في معنى كلام المصنف وطلبك لحصول المناصب الدنيوية

حقيرة فضلا عن العظيمة بل اقتصرت على الفرض من الصلاة والصوم وانفاق الناظم النوافل تنزيلا لما فعله منها منزلة العدم لانها مع نفسه في الاخلاص فهو خاصية هذه الابيات اللائق ان من دخله العجب او الرياء في عمل أو عمل كتبها عند طلوع الفجر وكررها وهي مكتوبة في القرطاس احدى وسبعين مرة ثم علق ذلك المكتوب على عضده الايسر مائلا جهة جنبه فانه يتواضع حينئذ ويصير آمنا من العجب والرياء شرع الناظم في المقصود وهو مدح سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم بقوله

ظلمات ما لم تحيا الظلام الى ﴿

أن اشتكت قدماه الضر من ورم

وشد من سغب أحشائه وطوى ﴿

تحت الحجارة كشحا مترف الادم

وراودته الجبال الشم من ذهب ﴿

عن نفسه فأراها ايما شمم

واكدت زهده فيها ضرورته ﴿

ان الضرورة لا تعد واعلى
العصم
وكيف تدعو الى الدنيا
ضرورة من *
لولا لما تخرج الدنيا من
العدم

ارالحصول لكرامات والاحوال والمقامات والمكاشفات فانه حجاب منه تعالى لانواعطيت منه تعالى حتى الجنة لمتلفت الى غيره تعالى (وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه) اى طلبك من غيره تعالى ليعطيك لوجود بعدك عنه لانك لوكنت قريبا منه لم تطلب غيره فانك لو كنت قريبا منه لكان غيره تعالى بعيدا عنك وهذا اذا طلبت من الغير من حيث أنه غير أما اذا طلبت منه معتقدا أن المعطى هو الله تعالى وما طلبت الغير الا من حيث أنه سبب فلا تكون بعيدا عنه تعالى فالطلب كله عند الموحدين العارفين معلول سواء كان الطلب متعلقا بالحق او بالخلق الاماكان من الطلب على وجه التأدب والتعبد واتباع الامر واظهار الفاقة والفقر فحينئذ تزول العلة عنه والحكمة ازالته قوله (لاتعدن همتك الى غيره الكريم لاتخطى الآمال) قوله لاتعدن بنون التوكيد الثقيلة وفى نسخة لاتعد بحذف نون اى لاتجاوز همتك اى قصدك الى غيره لتحصيل حاجتك لان الكريم لاتجاوز مأرجية الراجين لان من قواعد العقل ان الطوائح لاتنزل الا بساحة الكرماء فالله تعالى هو الكريم ذاتا وصفة وفعلا فكرم الذات كونه تعالى رفيع القدر كبير الشان ولزم الصفة حكمه تعالى موصوفا بالصفات الجليلة وكرم الفعل البداية بالنوال قبل السؤال والاعطاء بلا حد ولا زوال والاوان كان من العطاء المقصرين لترجو نوال رب العالمين لاسيما عند قدوم يوم الدين وجاهلى العبد عن اختيار الى غيره واحسانه بصرف الوجه له دون غيره والخلق ليس الا سائرا على العقول حاجبا عن مشاهدة الله تعالى وهو خالق هذه الستور فلا يشهدون بأن الله هو الفاعل وهم المعتزلة وقوم يشهدون الفعل لله وحده من غير اضافة العبد وهم الجبرية وقوم يشهدون الفعل لله اتحادا ولعبد اسنادا وهم أهل السنة فلا يشهدون الا الحق خالقا وكاسبا وهذه الحكمة الخامسة قوله (لاترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان له واضعا) اى لاترفعن الى غيره تعالى نازلة من مرض وفقر وغير هما هو تعالى منزلها عليك فكيف يستطيع ان يرفع غيره تعالى أمر اهو تعالى مقدرا وقوعه لانه لا فاعل سواه (من لا يستطيع أن يرفع عن نفسه حاجة فكيف يستطيع ان يكون لها من غيره رافعا) أى والذى لا يستطيع ان يرفع عن نفسه أمرا نزل به استحيل ان يرفعه عنك لثبوت عجزه فلا تنزل حاجتك بغير مولاك فهو وليها فى دنياك وأخراك فاستعن بالخالق لا بالمخلوق كاستعانة المحبوبين المحبون والمذموم القادح فى العبودية هو الطلب من الخلق على وجه الاعتماد عليهم وعدم احتضار كون الامر فى قبضة الله حال الطلب أما الطلب منهم من حيث ان الله جعلهم اسبابا مع الاعتقاد فى نيل المطلوب على الله لانه القادر على ذلك فهو طلب غير محمود فى الكمال * والحكمة السادسة * قوله (متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم انه يريد ان يعطيك) اى متى حرك الله لسانك بالطلب على وجه العبودية وهو الرجوع الى الله على حد الاضطرار فاعلم انه تعالى يريد ان يحصل مطلوبك لصدق الوعد باجابة دعاء المضطر والله لا يخلف الميعاد وفى الحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اذن له فى الدعاء منكم فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئا أحب اليه من أن يسئل العفو والعافية فى الدنيا والآخرة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى الدعاء لم يحرم الاجابة اى اما بعين المطلوب أو بغيره عاجلا او آجلا وقال صلى الله عليه وسلم

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولا لما تخرج الدنيا من العدم

اى ظلت على طريقة نبى أمار الليل المتلفع بالصلاة ولا يسأم القيام فى الظلام حتى ظهر الورم والورم على قدميه الكريمتين من شدة القيام والناس نيام وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد فى الليل على اثنتى عشرة ركعة لكن كان يطيل القيام فيها ورد بطوسطه المبارك من أجل جوع والف تحت الحجارة حاضرة ناعمة الجلد تعومة مفرطة تخيلها الناظر لالم الجوع لا العجز عن تدبير ما لابد منه من المعيشة فانه قد ثبت انه صلى الله عليه وسلم جاءه ملك المرفقه أن تكون من ذهب خالص من اجل نفسه صلى الله عليه وسلم على مراده فجعلها تبصر منه صلى الله عليه وسلم اعراضا شديدا والمعنى وظلت سنة من غادته الجبال الشوامخ حيث تزينت له فى حسد العين وأعرض صلى الله عليه وسلم عنها اعراض الممتنعين

زهدا منه صلى الله عليه وسلم في الدنيا وعلما منه بأن ما عند الله خير وأبقى وأكدت عدم رغبته صلى الله عليه وسلم في الجبال التي تكون من ذهب شدة حاجته صلى الله عليه وسلم قوله زهدا مفعول مقدم وضرورة فاعل مؤخر لا أكدت ان شدة الفقر لا تجاوز على ذوي العصم وهم الانبياء عليهم السلام ويحتمل أن يكون المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه ذو عصم جمة وقوله العصم حذف مضاف ان قرئ بكسر العين وفتح الصاد جمع عصمة كما هو المشهور فان قرئ بفتح العين وكسر الصاد كما ارتضاه ابن مرزوق فلا حذف في كلامه على ان أصله عصم حذفت تاؤه لضرورة الوزن فهو بمعنى معصوم قوله وكيف استفهام انكاري بمعنى النفي اي ولا تقبل الى زينة الدنيا ضرورة اني لو لا لم تخرج الدنيا من العدم الى الوجود بنا تخرج المفعول او الفاعل اي لو لا وجوده صلى الله عليه وسلم لا ستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد

ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة * والحكمة السابعة * قوله (لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك) اي لا تطالب ربك بتغيير ما طلبته بسبب تأخره ولا تسيء ذلك ربك فانه يفعل ما يشاء ولكن طالب نفسك بحسن الادب وارجع باللوم عليها فان تأخير الاجابة انما هو بسبب عدم الادب منك فاستحيت لك فالادب لانه تعالى ضمن الاجابة على ما يريد لا على ما تريد * والحكمة الثامنة * قوله (ما الشان وجود الطلب انما الشان أن ترزق حسن الادب) اي ليس الشان المعتبر عند القوم وجود طلب خرق العوائد بنفس انما الشان المعتبر عندهم أن ترزق حسن الادب في الظاهر بامتثال الاوامر وفي الباطن باستحضار الحاطة علمه تعالى بك وكمال اطلاعه عليك وانه لا تخفى عليه خفايا أمورك والطريق كله أدب والآداب ثلاثة ادب الشريعة وادب الطريقة وادب الحقيقة فادب الشريعة امتثال الاوامر واجتناب النواهي وأدب الطريقة شهود المنة وادب الحقيقة معرفة مالك وماله تعالى فالك الفقر والضعف والعجز والذلة وله الغنى والقوة والقدرة والعزة (باستحضار الحاطة علمه تعالى بك وكمال اطلاعه عليك وانه لا تخفى عليه خفايا أمورك) والادب ناشئ عن شهود عظمة الرب واستحضارها وذلك روح العبادات حتى قيل اجعل عملك علما وأدبك دقيقا واكثر الاعمال مقيد بالاوقات بخلاف الادب فانه مطلوب في جميع الاوقات اذ العبد بين يدي سيده دائما وغالبه الغفلة * والحكمة التاسعة * قوله (ما طلب شيء مثل الاضطرار) وطلب شيء فعل وفاعل وفي نسخة ما طلب منك شيء وعلى هذا فطلب مبني للمجهول فالاضطرار اظهار غاية الاحتياج لتحصيل المطالب (ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار) والمعنى اذا اردت الطلب السالم من الاعتراض المتضمن للاجابة فعليك بحسن الادب والتأدب لا يكون الا متواضعا منذلا بصفة العبد الفقير وهذه الجملة معطوفة على الجملة الاولى عطف اللازم على الملزوم لان الذلة والافتقار لازمان للمضطر وهما سببان لاسراع مواهب الله تعالى الى العبد المتصف بهما وصاحب الاضطرار يجدر بأن يسعف بمطلبه لصدق الوعد باجابة دعوة المضطر وفي الحديث القدسي من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أكثر مما أعطي السائلين اي من شغله تذكر عظمتي وعظم مواهبي عن الاعتماد على سؤاله اياي أعطيته أكثر مما أعطي السائلين * والحكمة العاشرة * قوله (ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته) اي قد يغلب على اهل الشهود ما قدره الله والرضى على قسمته واستغراقه في الاذكار فيدلهم الادب على ترك الطلب ويقال ينبغي العدد ان لا يكون ساهيا عن شهود ربه ثمان كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم فالدعاء اولى لانه عبادة وان كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال فالسكوت اولى وما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله تعالى فيه حق فالدعاء أولى وما كان لنفسك فيه شهوة فالسكوت أتم واولى (فائدة ذكر من يجوز عليه الاغفال وما ينبه من يمكن منه الاهمال) اي فائدة ذكر من يجوز عليه السهو وعدم علم بحال السائل فيذكره بالسؤال وما ينبه من يمكن منه عدم الاعتناء بحال السائل مع علمه بحاله لان في الطلب اشعارا بجواز السهو على الله فيقع بذلك التذكير له ونبه بما احتمال وجود الاهمال منه فيكون ذلك الطلب تنبيها له وجميع ذلك

مستحيل على الله تعالى فلاجل هذا العلل كان ترك الطلب عند هؤلاء ادبا والله تعالى لا يغفل عن شيء ولا يهمل شيئا فلا تطلب منه تعالى شيئا مع اعتقاد تأثير الطلب * والحكمة الحادي عشرة * قوله (ربما يقضي العارف ان يرفع حاجته الى مولاه فكيف لا يقضي أن يرفعها الى خليقته العارف ينظر لما يرد عليه من الواردات فقد يقتضي الوارد ارسال اسانه وقد يقتضي عدم السؤال لاكتفائه بمشيئة ربه ورضاه بسابق قسمه فيستحيل عليه ان يظهر حاجته لمخلوق قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه ما من نفس ولا قلب الا والله مطلع عليه في ساعات الليل والنهار فأيما نفس او قلب رأى فيه حاجة الى سواه تعالى سلط عليه ابليس وقال ابو بكر الجوهري رحمه الله تعالى كنت بعسقلان فرأيت رجلا عليه جبة صوف مخرقة فقمت اليه مسلما وعانقته وأجلسته وجاريت معه في فنون من العلم وكان قد ماه حافيتين فقلت له لم لا تسأل أصحابنا في نعل يقيك من الحفاء فقال يا اخي ارد أمس بالجبال وحبس عين الشمس بالعقال ونقل ماء البحر بالغربال اهون علي من موقف السؤال وارتجائي من المخلوقين النوال ثم أخرجني من باب المدينة فانتهى بي الى صخرة منقورة فاذا عليها مكتوب كل من كد بيديك وعرق جبينك فلا ضعف يقينك فاسأل المولى بيمينك * والحكمة الثانية عشرة * قوله (لا تسأل منه الوالي ولكن اسأله من نفسك وجود الاقبال) اي لا تعتقد وجود بسط العطاء من الله تعالى ولكن اعتقد بسط وجود اقبال نفسك عليه لان الاقبال بساط النوال ومن أتى باب الكريم بادب حصل له الارب لان اتيانه الامر من بابه وتوسله بأسبابه ورحم الله من قال من بحر الوافر

ومازمت الدخول عليه حتى * حملت بحالة العبد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها * وصنت النفس عن قال وقيل

* والحكمة الثالثة عشرة * قوله (خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك) أي خير المطالب أن تطالب منه تعالى أن يوزعك الطاعة والغنى بالله عنها فانه دعاء مختصر جامع فالاشتغال بالدعاء خير ولكن هذا أفضل لانه غاية الادب ومطلب الله تعالى من عبده ومن احتاج شيء من الدنيا فليطلبه من الله تعالى ليستعين به على اداء الحقوق وفعل الخير ونحو هذا من المقاصد الحسنة لا لمجرد قضاء الشهوة فانه مذموم واذا طلب من مولاه فليظهر الاحتياج الى الله والعجز عن ذلك بنفسه ومن هذا يظهر لك قول سيدنا موسى عليه السلام انه لما عرض له الحاجة من الدنيا فاسئلك ان اسألك يارب فقال الله تعالى سلني حتى تملح عجينك وعلف شاتك وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه رأيت في المنام قائلا يقول لي ان الله اختارلك أن تقول اللهم أوسع علي الرزق من دنياي ولا تحجبني بها عن أخراي واجعل مقامي بذلك دائما بين يديك وناظرا منك اليك وأراني وجهك ووارني عن الرؤية وعن كل شيء دونك وارفع البين فيما بيني وبينك انه هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم * والحكمة الرابعة عشرة * قوله (لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه ولكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحق الربوبية) أي لا تظن أن دعاءك سبب الى العطاء من الله تعالى فليذهب عن ذلك أن يقل فهمك عن الله حيث طلبت منه وعبدته لنيل شهوة ونفع نفس وجعلت نفسك مستحقة العطاء بدعائك وعبادتك مع أنه تعالى أجرى عطاءه

فوجوده صلى الله عليه وسلم علة في وجودها فلو كانت شدة حاجته تميل الى متاع الدنيا لكان وجوده معلولا لوجودها والفقر عرفي وجوده الى وجودها وذلك فاسد وخاصية هذه الآيات الخمسة أن من تلا عليه قيام الليل وغلب عليه النوم والكسل ولم تزل نفسه تمنيه براحة الدنيا فليكتب هذه الآيات في لوح ويجعله عند رأسه في محل الزفاد فيزين له حينئذ العمل الصالح وتحدث نفسه بأمور الآخرة محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم نبينا الآمر الناهي فلا أحد أبر في قول لا منه ولا نعم قوله محمدا ما بارز يعد بدل من فاعل أحبا أو من ضمير تولاه على أنه متصل اذ بهذا يحصل الايضاح بعد الابهام أو خبر مبتدا محذوف أي الممدوح محمدا وهو محمد أو مبتدأ وخبره الآمر الناهي وسيد نعته أو خبره واما بالنصب مفعول لفعل محذوف أي امدح محمدا واما بالجر بدل من الموصول الذي في قوله ضرورة من

عليك فان ذلك ان الطلب سبب العطاء وكانت اليه وحينئذ فاما أن يرد الله طلبك فلا تجاب واما أن تجاب على قدر طلبك ان اجمل طلبك لاظهار له وعناية من الفقر والحاجة طالبا منه شيئا وأبيت ان ذلك فيه مصلحة من غير ان تدعي استغناء عن ذلك ولا مضاهاة نفسه ومن غير ان ترى أن دعاءك سبب موجب لحصول ذلك الشيء المطلوب دون الحكم الأزلي واجعل طلبك أيضا قياما بحقوق الربوبية أي بأمر الله عباده بالدعاء لإظهار افتقارهم اليه بتضرعهم وخضوعهم بين يديه فحينئذ تفهم عنه وتسمع العطاء (كيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق) أي أن العطايا سوابق أزلية والدعاء امتثال للأمر فلا يكون الدعاء سببا مقتضيا للعطاء ولا موجبا له ذاته ولكنه سبب شرعي جعله الشرع علامة على العطاء بمنزلة التأنس بها كالطاعة للثواب في استعمال الطلب لمجرد العطاء من غير تعويض ولا رجوع الى اختيار الله تعالى فهو منصرف (جعل حكم الأزل ان يضاف الى العلل) أي تنزه حكم الله بالعطاء في الأزل وتنزه تعلق ارادته به عن أن تنسب الى علة أو سبب ومن العلل الطلب وأفعاله تعالى لا تعلل فلم يحكم الله تعالى بكذا لاجل كذا لان ذلك يقضي الى الافتقار وهو مفض الى الحدوث وكلاهما مستحيل على الله تعالى ثم تبنى على أحكامه تعالى حكم ومصالح راجعة الى العباد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى لا يكن همك في دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا عن ربك ولكن همك مناجاة مولاك

﴿ باب التسليم لأمر الله تعالى وترك الاختيار ﴾

وهذا باب رابع عشر وذكر المصنف في هذا الباب تسع حكم ، الحكمة الاولى "قوله (ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفية) أي ارادتك التخلص من الاسباب والانقطاع للعبادة مع اقامة الله اياك في الاسباب من بيع وشراء واشتغال بعمل هي من شهوة النفس الخفية وانما كانت تلك الارادة شهوة لان ميله الى العبادات والكمالات يطلب تفسه وانما كانت تلك الشهوة خفية لان ذلك التجريد في الظاهر كمال وفرار الى الله تعالى وفي الباطن انتقال من مراد الله وهو سوء الأدب لعدم الرضى على ما أقامه الله تعالى فيه ولتطلعه الى مقام ربما لا يليق به في ذلك الوقت وعلامة اقامة الله اياه في الاسباب وجود سلامة في الدين وحسن تيقظ في صلة رحم وسلامة قلب وانقطاع مطمع مما في أيدي الناس عند تشاغله بالاسباب (وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية) أي ارادتك الاسباب الشاغلة عن خدمة رب الارباب من تحويج وشراء مع اقامة الله تعالى اياك في اشتغال العبادة نزول عن الارادة العلية لانك أعرضت عن مقام الخواص وأقبلت على منازل أهل الانتقاص والاعراض عما أقامك الله فيه عند رضى مراد الله وذلك من مكايد الشيطان والنفس قال سهل بن عبد الله التستري كل فعل يفعله العبد غير الاقتداء فهو هباء النفس وكل فعل يفعله بالاقتداء فهو عذاب على النفس وعلامة اقامة الله اياه في التجريد تيسير القوت له من حيث لا يحتسب وطمأنينة النفس عند تعذر القوت لتعلقها بالله تعالى وفي بعض النسخ المرتبة بدل الهمة والهمة قوة ارادة الى نيل مقصود ما وتكون عالية ان تعلقت بأمور الآخرة وسافلة ان تعلقت بأمور الدنيا ثم ان التسبب والتجرد اذا استوى

(تفاوتهما)

الخ وقوله نبيا يجري فيه أوجه الاعراب الثلاثة كما في عمدة قوله سيد الكونين أي أشرف أهل الارض والسماء وأهل الدنيا والآخرة وأشرف الثقلين الانس والجن سموا بذلك لاثقالهم الارض وأشرف الفريقين من عرب وعجم والعرب بضم وسكون لغة في العرب بفتحتين ويراد بالعجم جميع غير العرب قوله الآمر أي بالمعروف والناهي أي عن المنكر وهو يستلزم كونه رسولا فهو في معنى قوله نبيا الرسول عن الله تعالى قوله فلا أحد أبر في قول لا منه ولا أصدق أي فلا أحد ألطف منه في قول لا عند المنع ولا في قول نعم عند السؤال فلا توجد منه فلظة بل هو ألين الناس بالشفقة وقد يعبر عن النهي بقول لا وعن الامر بقول نعم فلا أحد أصدق منه في النهي والامر وقد يكنى عن النفي بلا وعن المثبت بنعم فلا أحد أصدق منه في الخبر الا في واحد اما باعتبار الخبر بالاطلاق أو باعتبار الخبر عن الثواب والعقاب فاذا أخبر عن ثواب أو عقاب فهو أصدق الناس في خبره

مفادهما من حيث المعرفة بالله فالتجرد أفضل فان الدخول فى الاسباب يستلزم مباشرة أهل الغفلة وأشد مايعين الانسان على الطاعة رؤية الطيعين وأشد مايدخله فى الذنب رؤية المذنبين كما قال النبى صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال الشاعر من بحر الطويل

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

فان كان ذا شر فجانبه سرعة ... وان كان ذا خير فقارنه تهتدى

﴿ والحكمة الثانية ﴾ قوله (لاتطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أراد لاستعملك من غير اخراج) أى لاتطلب من الله أن يخرجك من حالة موافقة للشرع غير موافقة لغرضك الى حالة توافقه سواء كانت الحالة التى لاتوافق غرضك متعلقة بالدنيا أو بالآخرة فان طلب الانتقال من اتساع دائرة الوهم لان الله اوراد جملك على أمر تريده مع بقائك على حالتك التى أنت عليها بان يحصل لك فوائد التجريد مع الاسباب وفوائد الاسباب مع التجريد وذلك على الله يسير أما لو كان على حالة لاتوافق الشرع فيجب عليه المسارعة الى الانتقال الى ماوافقه ﴿ والحكمة الثالثة ﴾ قوله (سوابق الهمم لاتخرق أسوار الاقدار) والاضافة فى قوله سوابق الهمم اما من اضافة الصفة للموصوف أى الهمم السريعة فى التأثير الاشياء واما من اضافة الشبيه الى المشبه كاضافة أسوار الى أقدار أى الهمم الشبيهة بالخيل الشديدة الجرى فى السرعة لاتخرق أقدار الله الشبيهة بالاسوار الضخمة بالمدن فى القوة على المنع والمعنى أن العزم على المراد لايؤثر ولايقع ذلك مراد الا اذا أراده الله تعالى فالشئ المراد يحصل عند ارادة الشخص لابه ثم العزم تارة يكون صادقا وتارة يكون قاصرا أو تارة يكون بينهما فالعزم الصادق يقتضى الفعل والانفعال والمتوسط يقتضى الفعل لاالانفعال والقاصر لايقتضى شيئا فقال الصادق قول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أقدم فتضرب عنقى فى غير حد أحب الى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر الصديق وقد يقتضى العزم الصادق عدم الانفعال اذا انحل ذلك العزم ولهذا أثنى سيدنا عمر فقال لهم الا أن تسول لى نفسى عند القتل شيئا لاأجده الآن ومثال العزم القاصر قول ثعلبة بن حاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لئن رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى حق حقه ولاكونن من الصالحين وهو قد سأله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له أن يرزقه الله مالا فدعا له فوسع الله عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة والعزم المتوسط ارتفع عن القاصر وانحط عن السابق وكالايجوز للانسان أن يعتمد على عمد غيره وهو قوله لايجوز أن يسيء الظن به كما اذا توسل الانسان بولى فى حاجته فلم يحصل مراده فلايسىء الظن به لاحتمال عدم الاهمية وهى لا تأثير لها والمؤثر هو الله وحده ﴿ والحكمة الرابعة ﴾ قوله (أرح نفسك من التدبير) وهو النظر فى عواقب الامور لتقع على الوجه الاصلح (فاقامه غيرك) وهو الله تعالى (عنك لاتقسم به لنفسك) أى أرح نفسك من كل تدبير ولاتغلط لسانك من الكسب فان الله تعالى قائم بجميع مصالحك فتدبيرك لنفسك لا تطيقه على أن غاية التدبير الظاهر تحصيل الطعام والشراب وادخالهما فى الباطن وبعد ذلك لاقدرة لك على تدبير هما فى الباطن

قوله فلا أحد الخ فلا حرف نفى عامل عمل ليس وأحد بالرفع اسمها وأبر بالنصب خبرها ويجوز رفعهما على اهمال لا ورفع مابعدها على الابتداء والخبر وهذان البيتان خاصيتهما أن من واظب على قراءتهما خلص من الوقوع فى الشدائد ومن وقع فى شدة وكرر قراءتهما فى جوف الليل وتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم رفعت عنه تلك الشدة هو والطبيب الذى ترجى شفاعته ﴿ لكل هول من الاهوال مقتحم

بفتح الحاء اسم مفعول أى هو الحبيب لله ولامتعالى تؤمل شفاعته عند كل أمر مخوف مدخول فيه كرها حال كون ذلك الامر بعض الامور المزعجة فهو صلى الله عليه وسلم محب لله أفضل محبوب له وهو أيضا محب لامته ومحبوب لها فالحب اسم فاعل واسم مفعول قال بعضهم من كانت له حاجة فصلى ركعتين بنية قضاء الحاجة فبعد السلام قرأ هذا البيت مرة واحدة وألف مرة تقضى حاجته بالمرة عند ثلاث الله

من التفريق على الاعضاء وحسن الطبع قال بعضهم من بحر البسيط

اصبر قليلا فبعد العسر تيسير ۞ وكل أمرله وقت وتقدير

واعجبن في حالاتنا نظر ۞ وفوق تدبيرنا لله تدبير

وعايبين على ترك الاختيار والتدبير النظر الماضي الحكم والتقدير قال سهل بن عبدالله رضي الله عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس معيشتهم والتدبير على قسمين ممدوح ومذموم وكلام المصنف محمول على المذموم شرعا فالمذموم هو تدبير الدنيا بأن يدبر في أسباب جمعها افتقارا بها واستكثارا وكما أزداد فيها شيئا أزداد غفلة واغترارا وأن يدبر معتمداً في الجلب والدفع على حوله وقوته غافلا عن عجز وجهله وامارة ذلك أن يشغله عن الطاعة ويؤديه الى المعصية والممدوح على قسمين تدبير الآخرة للآخرة بأن تدبر فيما يقربك الى الله تعالى كتدبير الاوراد والتدبير في براءة الذمة من حقوق المخلوقين اما وفاء واما اضمحلالا وفي تصحيح التوبة الى رب العالمين وانكرة فيما يؤدي الى قمع الهوى الردي والشيطان الغوي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة وتدبير الدنيا للآخرة بان يدبر افعاله في المتاجر والمكاسب معتمدا في الجلب والدفع على الله تعالى اياكل منها حلالا وينم بها على ذوي الحاجات افضالا وليصون بها وجهه عن الناس ابتغاء وامارة ذلك الاعفاف منها والاثار وعدم الاستكثار والادخار قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واجملوا في الطلب وقال صلى الله عليه وسلم التدبير نصف العيش رواه القضاعي عن علي رضي الله عنه أي النظر في عاقبة الانفاق وبذل المال نصف مدة الاجل فان كان مقترا أو مسرفا أجتنبه وان محكما متوسطا لازمه والقيا كان التدبير نصف العيش لان العيش يطلق على مدة الاجل وحسن الانفاق فيه كذا قال الحلبي وليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وعيب روي أن سيدنا عمر رضي الله عنه لما اراد الرجوع بالناس من أجل طاعون عواس قال له ابو عبيدة أفرار من قدر الله قال نعم نفر من قدر الله الى قدره أشار الى ان المذموم الفرار الى تدبير النفس واما تعاطي الاسباب مع استحضار ان ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ففرار من الله الى الله * والحكمة الخامسة * قوله (اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك) البصيرة ناظر القلب كالبصر ناظر العين وقوله ضمن وطلب مرتبان للمجهول اي اجتهادك فيما ضمنه الله لك من الرزق وتقصيرك فيما طلبه منك من الاعمال دليل على عماعين قلبك والاجتهاد المذموم هو مايؤدي الى التقصير في العمل اما الذي لا يؤدي الى نقص في الايمان فغير مذموم وعما عين القلب هو اجتماع الاجتهاد فيما ضمن والتقصير فيما طلب اما الاجتهاد في طلب الرزق مع القيام بحقوق الله من غير تقصير فليس دليلا على عما عين القلب بل هو اجلاء الاكبر في الحديث اتقوا الله واجملوا في الطلب وقد أخرج ابن عساكر من حديث انس ابن مالك رضي الله عنه من بات كالا من طلب الحلال بات مغفورا له وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا فباعه بسعر يومه كان عندالله من الشهداء ثم ان ما عندالله من الارزاق لا تنال بحيلة ولا بسبب بل ما قدر لعبد يكون ولو قعد عن الاسباب

تعالى والاولى أن يقرأ عقب كل مائة مرة مولاي صل وسلم دائما أبدا على حبيبك خير الخلق كلهم

دعا الله فالمستكون به مستكون بحبل غير منقصم

أي دعا صلى الله عليه وسلم الانس والجن الى دين الله أي الى توحيده وطاعته والاقرار له صلى الله عليه وسلم بالرسالة فالمستكون به صلى الله عليه وسلم بأن آمن بما جاء به مستكون بحبل غير منكسر والمنقصم بالقاف الموحدة هو المنكسر من غير فصل وأما المنقصم بالفاف فهو المنكسر مع الفصل وفي الاضعف يستلزم في الاقوى فكون الحبل غير منكسر يستلزم كونه غير منقطع وفائدة هذا البيت حفظ الايمان وحصول الامان من مايه بأن يقال بعد كل صلاة عشر مرات مشتملة بالصلاة والسلام على النبي بصيغة وهي اللهم صل وسلم على تلك البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير فاق النبيين في خلق وفي خلق *

ولم يدانوه في علم ولا كرم وكلهم من رسول الله ملتمس

ومالا فلا ولو بالرزق في تعاطيها وذلك ظاهر في الصبيان والبله فانظر الى نفسك كم مرة تأكل طعاما تدعى اليه ولم يخطر لك ببال وكم مرة ترزق من حيث لا تحتسب وكم من فقير صار غنيا واعلم أن الله تعالى قدر وصول اشياء الى عبده بغير طلب فهي واصلة اليه دون طلب وقدر وصول اشياء أخر بعد الطلب فلا يصل العبد اليها الا بعد ده فالطلب من التدبير كما ان الامر المطلوب كذلك قال الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا واذا كان الله هو القاسم لم يكن الا ما أراد فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط ولكن قسم الله بينهم على طريق التفاوت اذ لو سوى بينهم وكان ما عند هذا عند غيره لم ينتفع بعضهم ببعض ولم يرغب بعضهم في خدمة بعض فتفاوت بينهم ليتعارفوا فيستعمل الاغنياء الفقراء في الاعمال الشاقة بالاجرة ويستعمل الفقراء الاغنياء في جلب السلع التي يحتاج اليها الفقراء من بعيد الاقطار وارتباط الرزق بالسبب الذي هو تسخير لان الله تعالى امر بعمارة هذه الدار عبودية وعبادة لينظر كيف يعملون فكان منهم الهندي الذي علم ان الله هو الفاعل لما يشاء والحاكم بما يريد وأن ما عنده لا ينال بحيلة ولا سبب فلاحظ ما أقامه فيه من اسباب ان كان من أهلها فقام اليها عبودية وامتثالا وأجل حينئذ في الطلب وان كان من أهل التجريد لاحظ ما أقامه فيه من تجريد فاغتنم وقته وعمره بطاعة مولاه حالة كونه ثابت القلب مطمئن النفس واثقا بضمان الله ومنهم الضال الذي لم يستحضر ذلك وغلبت عليه الغفلة والشهوة فطلب الرزق من غير وجهه معتقدا الفرائض متعديا الحدود كأنه لم يخلق الا لذلك والتوكل مع السبب لا منافاة بينهما لان التوكل محله القلب والسبب محله الجوارح ومعنى حديث من استرقى واكتوى فقد برىء من التوكل اى اذا كان معتقدا عليهما وهاهنا نكتة جليلة عن أبي حازم سلة بن دينار قال له عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يوما اني لاجد شيأ يحزنني قال وما هو يا بن اخي قال حبي لهذه الدنيا فقال العلا يا بن أخي اني لاعاتب نفسي على شيء حبه الله الى وان الله ليحبب هذه الدنيا الينا ولكن لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا وهو أن يدعونا حبها الى أن نأخذ شيأ من شيء يكرهه الله ونمنع شيأ من شيء أحبه الله فاذا نحن فعلنا ذلك لم يضرنا حبنا اياها وأما حديث من أحب دنياه أضر بآخرته وقول الحسن البصري مر ملاحب الدنيا رأس الخطيئة فالمراد الحب الذي يحمل على ارتكاب نهي او تضييع امر أما مطلق الحب فهو كالامر الجبلي والله أعلم * والحكمة السادسة * قوله (ما ترك من الجهل شيأ من لزم أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه) وقوله يحدث بفتح الياء وضم الدال وفي نسخة يظهر وفي نسخة أخرى يدرك أي من أراد أن يتغير شيء من أحوال واسباب غير ما اراده الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه اى فاذا اقامك الله تعالى في حال سالم من مخالفة الشرع فلازم حسن الادب في رضاك بها وراقب الله تعالى في مراعاة آدابها ولا تطلب من الله تعالى أن ينقلك الى حال اخرى بل وافق مراد الله تعالى في ذلك حتى يكون هو الذي ينقلك عنها وقيل أن يحدث بضم الياء وكسر الدال فالمعنى من أراد أن يوجد في ذلك الوقت حالا غير ما أظهره الله بأن تطلع الى الانتقال الى الحال التي هو فيها بنفسه الى حال أخرى فقد بلغ غاية الجهل بربه واساء الادب في حضرته وهذا أسوء حالا وادباعا قبله وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة فالواجب على العبد في ذلك الوقت الاستسلام

غرفا من البحر او شفا من الدم
ووافقون لديه عند حدهم * من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
أي عملا صلى الله عليه وسلم جميع النبيين في كل خلق بفتح الخاء وسكون اللام أي في كل خاتمة صورة وشكلا ولونا وغير ذلك وفي كل خلق بضم الخاء واللام اى في جملة من الخصال الحميدة والصفات الرفيعة ولم يغادروه في علم وجود وحياء وشفقة وحلم وعدل وعفو أمثال ذلك واذا اقتصر الناظم على العلم والكرم لان العلم رأس الفضائل والكرم رأس الفواضل وجميع النبيين آخذ مقدار نرفة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم أو مقدار مصة من أمطار كرمه صلى الله عليه وسلم قوله من رسول الله متعلق بالتمس وقوله غرفا وشفا اما مفعول به للتمس أو حال من الضمير في التمس والمفعول محذوف للتعميم أي التمسون كل شيء من الكمالات الصورية والمعنوية غارفين راشفين أو منصوب على المصدر فهو صفة لمصدر

لكم الله تعالى فهو أدب العبودية قال أبو عثمان المغربي رضي الله عنه منذ أربعين سنة ما تمنى الله في حال فكرهته ولا تخلى الى غيره فكرهته * والحكمة السابعة * قوله (ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) أي لا تقل كيف يتيسر الاقبال على الله والاشتغال بعبادته وكيف يتحصل سلوك الطريق الى حضرته مع كثرة القواطع لانك ان صدقت في اللجأ الى الله تعالى كفاك جميع ذلك لانه لا يتعسر مطلب دنيوي أو ديني أنت طالبه من الله معتمدا عليه متوسلا اليه متمسكا بقدرته وقوته ولا يتيسر مطلب ديني أو دنيوي مالت في ذلك المطلب بحولك وقوتك معتمدا على علمك وعملك ملتفتا الى تدبيرك وهذا معلوم على القطع من نصوص الشريعة وأنواع التجارب فمن أطاع الله أطاعه كل شيء ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع عمه أبي طالب في بعض الاسفار فعطش أبو طالب وشكا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فضرب يده على الارض وأخرج منها ماء فسقاه فقال ما أطوع ربك لك يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم وأنت يا عم لو أطعته لاطاعك * والحكمة الثامنة * قوله (الى المشيئة يستند كل شيء) أي ان كل موجود يستند الى مشيئة الله تعالى فانها تعلقت بكل شيء في الأزل ثم أبرزه الله تعالى الى الوجود بحكمته وذلك لان الرجاء التي وسعت كل شيء استندت الى المشيئة فيكون كل شيء مستندا اليها فوقوع ما يشأ الله تعالى محال (ولا تستند هي الى شيء) اي من الموجودات لان مشيئة الله لا تعلل بعلة لاستحالة وجود النقص فيمن يجب له الكمالات لانه الغني على الاطلاق فطلب العباد لمطالب بالدعاء وبالاعمال الصالحة ليس سببا مؤثرا في حصولها فيجب على العبد ان يبني على المشيئة احواله وأحواله وان يلزم العبودية والافتقار ويترك التدبير والاختيار لان في قبضته ذلك وهذا هو أدب التوحيد * والحكمة التاسعة * قوله (العاقل اذا أصبح نظر فيما يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به) أي أول خاطر يرد على العبد هو ميزان توحيده فالعاقل من التوحيد وأن كل شيء بقضاء الله وقدره يسبق نظره أولا التدبير نفسه فيقول اذا دخل وقت الصباح ماذا افعل اليوم وأما العاقل فيسبق نظره لتقدير مولاه وتدبيره فيقول ماذا يفعل الله بي قال عمر بن عبد العزيز أصبحت وما لي سرور الا في مواقع القدر ولكن من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته لو افق عقده قوله في جميع تصرفاته الدعاء المروي عن الامام الشافعي رضي الله عنه وهو اللهم اني اصبحت لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان آخذ الا ما أعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم وفقني لما تحب وترضاه من القول والعمل في عافية انك ذو الفضل العظيم ويقال أيضا ما هو مروي عن الامام الشاذلي رضي الله عنه اللهم ان الامر عندك لا هو محجوب عني ولا أعلم امرا اختاره لنفسي فكن أنت المختار لي وأجلني في أجمل الامور عندك وأحمدها عاقبة في الدين والدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير

﴿ باب الصبر على البلاء والشدائد ﴾

وهذا باب خامس عشر ذكر المصنف في هذا الباب أربع حكم * الحكمة الاولى * قوله (اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك) قوله وجهة بكسر الواو

محذوف أي ملتمسون التماسا مثل الغرف أو الرشف وقوله من البحر متعلق بغرفا ومن الديم رشفا وهو بدل اشتمال من رسول الله بأل نائبة عن الضمير الرابط بين البدل منه والتعبير عن أخذ بعض بالغرف من البحر وعن أخذ بعض بالرشف من الديم اما باعتبار حال الآخذين قربا وبعدا من كمال صلى الله عليه وسلم فان مراتب الانبياء متفاوتة أو باعتبار حال المأخوذ بأن يكون الغرف ما يؤخذ منه من العلوم الظاهرة والرشف ما يؤخذ منه من العلوم الباطنة هذا ان جعلنا البحر والديم عبارة عنه صلى الله عليه وسلم فان جعلنا البحر عبارة عن بحر الذات والديم عبارة عما يفاض من بحر الصفات كان المعنى أن كلا منهم يغترف من بحر الذات والرشف من ديم الصفات وان قلنا البحر النبوة والديم الولاية كان المعنى أن كلا منهم يغترف من بحر النبوة ويقتبس من ديم الولاية بتوسط صلى الله عليه وسلم وانما كان صلى الله عليه وسلم

وصيلة فيما لا يقطعه دائرة السوء ومركز الولاية بل هو علة الوجود وكلهم تابعون عنده صلى الله عليه وسلم في العلم والحلم عند غايتهم الكائنة من نقطة علمه صلى الله عليه وسلم ومن شكاة حكمه صلى الله عليه وسلم فلا يجاوزونه وأما هو صلى الله عليه وسلم فلا يزال يترقى بعد ذلك فغاية مراتبهم في العلم والحكم مبدأ أولية صلى الله عليه وسلم منها وأو بمعنى الواو للتقسيم قوله من نقطة العلم صفة لعلمهم أو حال منه والخاص الفقيه بالعلم والشكاة بالحكم لان الدقة في الحكمة أكثر والاعراب في الحركة أكثر من النقطة ولان النقطة تميز الحروف المشبهة الصور والعلم خاصة التميز والحكمة علم وضع الشيء في المكان الذي يستحقه على أكمل وجه لئلا يختل النظام هو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا باري النسم منزه عن شريك في محامده * بفوه الحسن فيه غير منقسم الفاء مفرع على قوله ذي التبيين الكن قوله معناه يرجع للخلق بضمنين وقوله

وضعها ومعناها الجهة والمراد هنا السبب والطريق وقوله ان قل بفتح همزة ان المصدرية المجرورة بالباء المقدرة لانها صلة قوله تبال ويجوز كسر الهمزة على ان شرطية فعينئذ كان صلة تبال قوله معها وفي نسخة وان بالواو على انها للغاية والمبالغة والمعنى اذا وجهك الله في طريق معرفة ذاته تعالى فلا تكترث مع تلك الطريق بقلة عملك واذا فتح الله لك سبب معرفته تعالى كانزال الامراض او البلايا عليك فلا تهتم ولا تغتم معها بقلة عملك فالمعرفة هي غاية المطالب ونهاية الامال والمآرب (فانه ما قصدك الا وهو يريد أن يتعرف اليك) وهذه الجملة تعليل للنهي اي لانه تعالى ما وجهك الى ذلك الطريق وان قل عملك الذي عملته فيها وما يسر لك حصول تلك الاسباب الا وهو تعالى يريد أن يحملك على المعرفة به تعالى والاتجاه اليه والاحتياج الى فضله (ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والاعمال أنت مهديها اليه) اي ألم تعلم أن سبب معرفة الله تعالى من العمل القليل ومن المصائب هو منزله عليك وما منه لا يدخله الخلل ولا يبطله الزلل وان الاعمال التي أنت مهديها اليه تعالى وما منك محل كل عيب ومعدن كل ريب (وأين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك) فان هدية العبيد وان كانت جليلة هي حقيرة بالنسبة الى هدية السيد وان كانت قليلة فقليل العمل مع المعرفة خير من العمل بغيرها وان ما جاء من حضرة الله تعالى من البلايا والامراض فيه السعادة السرمدية لانه تعالى يريد بذلك تطهير عبده من أخلاقه الخسيسة وصفاته الذميمة وورد في الحديث ان الله يكتب للمريض الصابر أجر العمل الذي نقص عنه بالمرض وروى عن سعيد المقبري قال سمعت أبا هريرة رضي الله يقول قال الله تبارك وتعالى اني أبتلي عبدي المؤمن فاذا لم يشك الى عواده حللت عنه عقدي وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت له استأنف العمل * والحكمة الثانية * قوله (لا تستغرب وقوع الاكدار مادمت في هذه الدار) أي لا تعد ما يقع في الدنيا من الاكدار غريبا اي لا تعجب من وقوع مكدرات القلوب ما بقيت في الدنيا (فانها ما أبرزت الا هو صفتي وصفها واجب نعتها) اي لان الدنيا ما ظهرت الا هو وصفها المستحق ونعتها الواجب من وجدان المكاره التي هي ذاتية لها وانما كانت الاكدار من أوصاف الدنيا لانها بنيت على الشقاق قال ابن مسعود رضي الله عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها في سرور فهو ريح وقال أبو حازم من عرف الدنيا لم يفرح فيها برخاء ولم يحزن على بلوى وقال أيضا ما في الدنيا شيء يدرك الا وقد ألصق به شيء يسؤك أي يحزنك وقوله فانها تعليل للنهي وقوله مستحق بفتح التاء وهو مضاف الى الموصوف * والحكمة الثالثة * قوله (لتخف عنك آلام البلاء عليك علمك بأنه صنعه هو البلي لك فالذي واجهتك منه الاقدار هو الذي عودك حسن الاختيار) وقوله لتخف مجزوم بلام الامر وقوله علمك فاعله وقوله ألم البلاء مفعول مقدم اي اذا استحضرت في قلبك ان الله تعالى هو البلي لك فقد خفف ذلك الاستحضار عنك ألم بلائك فهو سبب لتسليك لان الذي أنزل الامور المقدرة عليك من المرض وذهاب المال والولد ونحوهما هو الذي جعل عادته معك اختيار الامر الحسن الذي يناسبك من النعم الظاهرة والباطنة التي لا عد لها فهو وان ابتلاك مرة فقد أحسن اليك مرارا لا تحصى اي ان ألم البلاء يخف على الناس على قدر استحضارهم حتى ان بعضهم لا يجده اصلا بل منهم من يتلذذ به قال الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد

الحب أم البلاء. قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف مبعضين ضربة على ضربت وعن أبي عمران أهل مصر مكثوا اربعة أشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فيشغلهم جماله عن الاحساس بألم الجوع * والحكمة الرابعة * قوله (من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره) اى ان مع كل قدر لطفا فمن ظن انفكاك لطف الله عما قدره من مرض ونحوه فهو ناقص النظر ضعيف اليقين قليل حسن الظن بالقدير الحكيم اذا وكل نظره رأى في ذلك من الفوائد مالا يحصى وما غاب عنه أكثر ويكون قصور نظره في أمور ثلاثة عقليات وعاديات وشرعيات أما العقليات فمن بلاء الا والعقل قاض بامكان ما فوقه فالاقتصار على ما حصل لطف وأما العاديات فلو جدت بلية قط لشخص الا وجد لشخص آخر ما هو أعظم منها ولا تجتمع البلايا على شخص واحد أبدا فان من اعظم المصائب الفقر في الشيب والموت في الشباب ولا يمكن اجتماعهما وأما الشرعيات فمن مصيبة الا وهو مكفرة من ذنوب صاحبها او موجبة له اجرا او محققة عنه عقابا او مبشرة له بمنفعة دنيوية أو معرفة جلالية أو حقارة نفس

﴿ باب في ذكر خفايا الطافه تعالى ومنه على العباد ﴾

وهذا باب سادس عشر ذكر المصنف في هذا الباب احدى وعشرين حكمة * الحكمة الاولى * قوله (انما يعجل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولانه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها) أي الظاهر لنا انما جعل الله تعالى ثواب المؤمنين في الدار الآخرة لوجهين أحدهما أن الدنيا لا تسع ما يريد أن يعطيهم من أنواع النعم حسا ولا معنى أما الحس فلان الدنيا متقاربة المساحة ضيقة النواحي فتضيق مساحتها عن كلية جزائهم لما في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آخر أهل الجنة دخولا في الجنة واهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا فيقول له ربه ادخل الجنة فيقول يا رب الجنة ملأى فيقول ان لك مثل الدنيا عشر مرات وخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية واما ان الله تعالى أجل أقدار عباده المؤمنين فلم يجعل لهم الجزاء على طاعاتهم في دار فانية لان كل ماض وان طالت مدته كلا شيء وعاقبته الحزن بل اعطاهم الخلود في النعيم والبقاء في الملك المقيم * والحكمة الثانية * قوله (ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك) قرب بالنسبة الى العطاء الدنيوي القليل اى يمنع كثيرا عند العطاء الدنيوي وهي زخارف الدنيا المنع عن مشاهدة المعطي الكريم والسكون الى ما أعطاه فان الغالب اذا كثرت على الشخص الارزاق الدنيوية صرفته عن القرب من الله تعالى وبالنسبة الى العطاء الاخروي من انواع الطاعات والبر القليل اى يمنع قليلا عند العطاء الاخروي منع مشاهدة المعطي ويمنع كثيرا عند منع العطاء الاخروي الاقبال على الله تعالى بالتوبة ويمنع قليلا عند منع العطاء الدنيوي الجأ الى الله تعالى والاعتماد عليه فادام العبد يطالب معرفة الله تعالى فهو مأمور بترك الاختيار فاذا صار عارفا قيل له ان شئت اختر وان

وصورته ترجع الخلق بضم فسكون وقوله حبيا حال من الهاء وقوله منزلة خبر بعد خبر أو وقوله من شريك متعلق بمنزلة وقوله في محاسنه متعلق بشريك وقوله فيه خبر المبتدأ وغير بالرفع خبر بعد خبر وبالنصب حال من ضمير مستتر في الجار والمجرور ويصح أن يكون الجار والمجرور صفة الحسن وغير خبر المبتدأ والمعنى فهو صلى الله عليه وسلم الذي كمل الانسانية الباطنة في الباطن وصفاته الظاهرية في الظاهر ثم اختاره خالق الانسان حبيبا وآدم بين الماء والطين أو بين الروح والجسد مبعد عن وجود شريك في محاسنه صورة ومعنى فحقيقة الحسن الكائن فيه غير منقسم بينه وبين غيره لاختصاصه به صلى الله عليه وسلم واتخاذه خليلا به صلى الله عليه وسلم كما أتى يوسف عليه السلام لان جماله صلى الله عليه وسلم مستور بجلاله فلم يكن أحد أن يتأمل فيه بخلاف يوسف فان جلاله مستور بجماله فاذلك أفتن به

شئت لاتخبر ولما كان الكثير عند اقبال الدنيا المنع عن الله كان السلف الصالح اذا اقبلت عليهم يقولون ذنب عجلت عقوبته واذا أقبل الفقر عليهم قالوا مرحبا بشعار الصالحين * حكاية * رأى شخص ابراهيم بن أدهم وهو برفع ثوبه فقال له ماعوضك الله يا ابراهيم عن ملك الخ قال شيء لايصل اليه عقلك ولكن اظهر لك شيأ مما تفهمه فرمى بإبرته الى البحر ودعا الله أن يردها عليه فاذا كل حوتة في فمها ابرة من ذهب فقال يارب ماأردت الابرتي والتفت الى ذلك الشخص وقال له هذا مما اعطاني الله مما تفهمه * والحكمة الثالثة * قوله (متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطاء) اي اذا فهمت ان المنع رحمة من الله لانه يريد أن يبقيك واقفا ببابه منتظرا له صار ذلك المنع عين العطاء وأما اذا فتح لك باب الفهم في العطاء فقد يكون العطاء عطاء ما اذا نشأ منه القناعة ورفع الهمة وكفاية هم الطمع والضجر والشكاية والتظلم وما اذا صحبه رؤية المنة وتفضل من الله تعالى والشكر والتوصل الى انواع البر وقد يكون ذلك العطاء منعا وهو ما اذا نشأ منه الحرص والسعاية في الاستكثار بغير قانون الشرع والشره والبخل بأداء الحقوق والاشتغال من الواجبات الى غير ذلك * والحكمة الرابعة * قوله (العطاء من الخلق حرمان) في الحقيقة اذا أخذته غافلا عن مولاك لانه حجاب عن الله واشتغال بغيره فينشأ عن ذلك مفاسد كراهة الخلق ومدح من لايستحق المدح منهم وبالعكس والخضوع لمن لايستحق الخضوع منهم وبالعكس واشتغال القلب بهم والخوف من سقوط المنزلة في قلوبهم والتظاهر بالباس فيه عندهم أما اذا شاهد ان العطاء من الله ليس بحرمان (والمنع من الله عزوجل احسان) لانه انما يمنعك من العطاء لتلجأ اليه وتعتمد في الطلب عليه ولانه تعالى حبيبك وكل مايفعل الحبيب محبوب وقال سيدنا علي كرم الله وجهه لاتجعل بينك وبين الله متهما واعتد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء جل المنن أثقل من الصبر على الغرم وقال آخر عز النزاهة أشرف من مرور القائمة * والحكمة الخامسة * قوله (متى أعطاك اشهدك بره) اي متى اعطاك الله عطاء دنيويا او دينيا أشهدك خيره وفضله وانعامه واحسانه لانه اعطاك لاحتياجك لذلك ولو عبدته بعبادة الثقلين (ومتى منعك اشهدك قهره) اي متى منعك من حظ دنيوي او ديني اشهدك عدله ومشيئته لانه منعك ذلك من جهة عصيانك ونقض عهدك ولو عصيته بمعاصي الثقلين ومعنى قوله اشهدك جعل لك سبيلا الى شهود ذلك فان سلكتها وشهدت ذلك كان لك به حظ من معرفته تعالى فحصل لك مع العطاء عطاء آخر ومع المنع عطاء اذ المنع فتح من الفتوحات القلبية لمائبه من اللجأ الى الله تعالى (وهو في كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك) اي وهو تعالى في كل ماذكر من الاعطاء والمنع حاملك على المعرفة به تعالى في الاعطاء بالبر وفي المنع بالقهر لتعلم انه لاضار ولانافع ولامعطي ولامانع غيره ومقبل عليك بلطفه تعالى لان مشاهدتك لصفات بره وقهره نعمة منه تعالى عليك فينبغي لك ان تشكره عليها وكان هذا اشارة الى الطريقة القائلة بالافضلية بين الغني الشاكر والفقير الصابر لان الكل من الله ومن شهد ذلك كان الامران عنده سواء ثم اذا تحقق عندك شهود البر في العطاء

دع ماادعته النصارى في نبيهم *
واحكم بماشئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ماشئت من شرف *
وانسب الى قدره ماشئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم
أي أترك ماقالته النصارى في نبيهم عيسى عليه السلام فبعضهم يقول أن عيسى الله ورأمه الله والله وبعضهم يقول أن عيسى بن الله واحكم له صلى الله عليه وسلم بماشئت مما يدل على علو شأنه وعظم جاهه من المدح فيه صلى الله وسلم ذاتا وصفات وراع الحكمة في مدحك له صلى الله عليه وسلم بأن تأتي بالمدح أوصاف الكمال اللائقة بجلال قدره وشرفه وجمال وخاصم في اثبات فضائله صلى الله وسلم من شئت من الخصماء اه وانسب الى ذاته الشريفة الذي شئته من صفات الشرف كتناسب الاعضاء ونظافة الجسم وطيب العرق وفصاحة اللسان وبلاغة القول ونور العقل وغير ذلك وانسب الى كماله الذي

وشهود القهر في المنع كنت مع الله بقلبك ناظرا الى فعله بصيرتك راجعا اليه متبرأ من حولك وقوتك وبهذا الاعتقاد السني يحصل لك التنزه عن مجانبة أهل الاعتزال من اعتقاد الاستحقاق بالاعمال فان الله تعالى لايجب لاحد عليه تعالى شيء بل هو الموجب بوعده * والحكمة السادسة * قوله (انما يؤلمك المنع بعدم فهمك عن الله فيه) اى ان كان منع العطاء يؤلمك فانما هو من عدم فهمك لانك لو فهمت ان المنع من الله لرضيت به ولم تألم لانه اذا منعك فتارة يشهدك انه يريد ان يدوم جؤك اليه وتوقك ببابه فيصير المنع عندك من أعظم العطاء وتارة تذكر قوله تعالى لجبريل عليه السلام ياجبريل أخر حاجة عبدي فاني احب أن أسمع صوته فترجو أن تكون من هذا الفريق فتتلذذ بالمنع وتارة تذكر جهلك بعواقب الامور وان علمها عند الله فتقف مع اختياره تعالى وهو معنى قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وتارة تذكر طغيان النفس بالنعمة فترى المنع حينئذ عطاء لانه تعالى منعك مايطغيك وحالك عن مايلهيك وتارة تشهد في المنع محبته تعالى لك فان الله تعالى اذا أحب عبدا حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه شهوته محبة فيه وفظرا لما يصلحه وتارة ترى انه سلك بك مسالك المقربين من عباده وتارة تشهد أن الدنيا فانية ومستلذاتها منقضية فتفرح باد خار ذلك لك في الدار الآخرة الباقية * والحكمة السابعة * قوله (ربما فتح عليك باب الطاعة ومافتح لك باب القبول) لان القبول غير واجب عليه (وقضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول) اى فالطاعة التي يحبها كبر وعجب ورضى عن النفس واحتقار للغير عطاء في الصورة ومنع في الحقيقة والمعصية التي يحبها توبة وخضوع واحتقار للنفس وانكسار قلب والتجاء الى الله واعتذار اليه منع في الصورة عطاء في الحقيقة فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول لاقترانها بآفات قادحة في الاخلاص كالتعزز بحصولها ورؤيتها ووجود صورة الذنب لايقتضي الطرد بل قد يكون سببا في الوصول الى الله تعالى وكان فيمن قبلكم ملك متمرد على ربه فقراء المسلمون فأخذوه فقالوا يأتي تلة نقتله فاجتمع رأيهم على ان يجعلوا له قفيزا عظيما وأن يغذوه وأن يجعلوا تحته نارا حتى يذيقوه طعم العذاب ففعلوا فجعل يدعو آلهته واحدا واحدا ويقول يافلان كنت أعبدك وأصنع وجهك فما تغني عني أنا فيه فلما رآهم لم يدفعوا عنه ذلك العذاب رفع رأسه الى السماء وقال لااله الا الله ودعا الله تعالى مخلصا فنصب الله عليه من السماء ماء فأطفأ تلك النار وجاءت ريح فحمل ذلك القمقم بقمل يدور بين السماء والارض وهو يقول لااله الا الله فقد فقد الله عز وجل الى قوم لايعبدون الله وهو يقولها فاستخرجوه وقالوا ويحك مالك فقال أتاني بني فلان وأخبرهم فآمنوا قال الشيخ زروق رحمه الله تعالى باب القبول ثلاثة احدها اشقى الثاني الاخلاص الثالث اتقنها الاعمال بالسنة فمن وجد هذه الثلاثة فليبشر بعمله والا فليبك على تعبه * والحكمة الثامنة * قوله (متى كنت اذا اعطيت بسطك العطاء واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك) اى متى كان يحصل لك انشراح الصدر عند العطاء ومتى اقبال الناس مع المدح وظهور الكرامات واجابة الدعوات وكان يحصل لك قبض الصدر عند المنع ومتى ادبار الناس مع الذم وعدم اجابة الدعوات فاستدل بذلك على ان مقامك مقام

شئنه من صفات العظم كالكرم والعفو والحلم والعز وأمثال ذلك فقد وجدت المقول بايوائها فان فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له غاية يوقف عندها فتبينها ناطق بلسان فمآوصافه لاتحصى وفضائله لاتستقصى لانه صلى الله عليه وسلم لم يزل يترقى في الكمال كل لحظة قوله فيعرب بالنصب في جواب النفي وعنه متعلق به والضمير راجع لفضل رسول الله قال الشاعر هو البدر الا انه غير ناقص * هو الشمس الا انه غير منكسف هو البحر الا انه غير هائج * هو الطود الا انه غير منتسف لو انا بلغت قدره آياته عظما * أحيا اسمه حين يدعى دارس قوله قدره مفعول مقدم وآياته فاعل مؤخر وعظما تمييز أو منصوب على نزع الخافض ويدعى مبني للمفعول ونائب الفاعل عائد على اسمه ودارس مفعول أحيا والمراد من قدره كمال قربه من الله تعالى والمراد بآياته اعلام نبوته كالمعجزات والمعنى لو بلغت علاماته الدالة على

(الطفل)

الطائل الذى يفرح بالعطاء ويحزن لعدمه وانك لم تصل الرجولية لانه مناقض للعبودية عند العارفين اوان المراد فاستدل بذلك على ان مقامك مقام الطفيلى بين اهل الله فى ادعائك مقاماتهم وانت لم تؤهل لها فعالك حال ضعفاء اليقين والطفيلى هو الذى يدخل وليمة لم يدع اليها والعرب تسمية الوارش اما اذا كنت من العارفين اولياء اليقين الصادقين فى العبودية فلا يضيق فقد العطاء ولا تخوفك الخوانق ولا تزعجك المصائب وكان العطاء والمنع عندك على حد سواء لان الامر كله من الله تعالى وهو الحكمة الدامغة * قوله (نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد) اى نعمة الايجاد ونعمة الامداد لازمتان لكل مخلوق موجود لانه فى ذاته معدوم فنعمة الايجاد ازالت العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة الامداد ازالت العدم اللاحق ولولا ذلك لفنى وهذه الحكمة بيان لغلط من تعزز فى نفسه بالطاعة وبيان لاصابة من تذلل بالمعصية لان العبد فقير ذاتى له وكان اولا نطفة ثم مضغة ثم عظاما ثم كساها الله عظاما لحما ثم نفخ فيه الروح فكيف يتكبر من هذا اصله وكيف يفتخر من لا تفارقه عذرته وبوله وكيف يتكبر من كان لا يفهم ثم أمده الله بعد ذلك بمعرفة اليسير الكثير وأمده بزيد الانعام وبالسلامة من البليات فان السلامة من كل بلية نعمة وقد أشار الله تعالى الى نعمتى الايجاد والامداد بقوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم فمعنى رب العالمين اى موجدهم فهو اشارة الى نعمة الايجاد وقوله تعالى الرحمن الرحيم اشارة الى نعمة الامداد فمعنى الرحمن المنعم بالنعم الجليلة العظيمة ومعنى الرحيم المنعم بالنعم الدقيقة القليلة والامداد المستفهم من الرحيم خاص بالمؤمنين كما يشير اليه قوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما فهو امداد خاص وهو نعم التوفيق وأما مطلق الامداد المنتفع به الدنيا فهو عام المؤمن والكافر اذ الكافر منعم عليه فى الدنيا بما يتلذذ به (انعم عليك اولا بالايجاد وثانيا بتوالى الامداد) اى أنعم الله عليك بوجودك وبدوام وجودك بالامدادات المتوالية عليك وهى ما يكون غذاء لشبح العبد تقوم به بدنه كالاقوات وما يكون لروحه كالايمان بالله والمعرفة وهذا أفضل النعم اذ هو أصل الاعمال التى هى بمكان النوال فلو قلب الله قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا فى الذنوب فأى شئ كنا نصنع ولو قلب قلوبنا فى الشك والضلال كما يقلب بيانا فى الاعمال فعلى اى شئ كنا نعتمد وبأى شئ كنا نطمئن ونرجو فهذا من أعظم النعم ومعرفته هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة وادعاء الايمان انه عن كسب معقول او استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان ويخاف على من توهم ذلك أن يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا * والحكمة العاشرة * قوله (متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانس به) اى متى أوجدك فى نفسك نفرة من الخلق وعدم ركون اليهم فاعلم ان الله تعالى يريد أن يفتح لك باب الانس به تعالى لان اقبالك اذا نفر من الخلق تعلق بالحق وأقبل عليه بظاهره وباطنه كما حكى عن ابراهيم ابن ادهم أنه لما نزل من الجبل قيل له من اين أقبلت فقال من الانس بالله وذلك ان الانس بالله تعالى يلازمه التوحش من غير الله * والحكمة الحادية عشر * قوله (اذا اراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسبك اليك) اى اذا اراد الله أن يظهر احسانه

نبوته كتسبيح الحصى فى كفه وتسليم الاحجار والغزالة عليه وانشقاق الشجرة كل قربه من الله تعالى من جهة العظم او فى العظم لا نحبا الله بسبب تسمية العظام البالية حين ينادى به كان يقال يا الله بحمد أحى هذا الميت الكن لم يكن من آياته ان يحيى الله بذكر اسمه ذلك وقت يذكر هو اذ لو وقع ذلك الاحياء لنقل الينا فلم نقل آيا نه قدره فى العظم لان قدره صلى الله عليه وسلم أعظم من آياته حتى من القرآن المتلو بخلاف القرآن غير المتلو وهو المعنى القائم بذاته تعالى فانه أعظم منه لان القديم افضل من الحادث ويصح ان يكون دارس مرفوعا على انه نائب فاعل لينادى ودارس بمعنى مدروس والمعنى لو ماثلت علاما ته الدالة على النبوة غايرة فمنه فى العظم لكان من جملة علاماته احياء الله تعالى العظام الدارسة اى البالية الى زيد فى بلاد نهاوند بل بركة ذلك الاسم الشريف كأن يقال يا ميت عش باسم محمد والكلام فى احياء اسمه العظام الذاهبة حين يذكر ذلك الاسم وهذا كله لم يجعل

من آياته صلى الله عليه وسلم لم يجعل من آيات عيسى عليه السلام وإنما الذي جعل من آيات عيسى إحياؤه الموتى بإذن الله وخاصية هذا الآيات التي أولها محمد بن الكونين إلى آخر البيت أن من كتبها بماء ورد وزعفران وشربها فإن الله يبيّنه عند سؤال منكر ونكير وكذلك من كتبها وبخرها بالماء الموجود في شهر برموده وتسمى عند الافرنجي شهر أوقوستوس وشربها فإنه يشتد قلبه عند الغزو في سبيل الله ولا يخاف من الحرب ولا يزول

لم يخصها بالنبي المقول به حرصا علينا فإن ترتب ولم تهم أي لم يخبر تأصلى الله عليه وسلم في التكليف بخط ساب فجزعه عقولنا لأجل شدة رغبته على هدايتنا فإن تشك فيما لبق البنا ولم تصبر في ذلك والمعنى الظاهر من هذا البيت أن عدم ارتيابنا في الأحكام الشرعية وثباتنا على ما جاءنا به صلى الله عليه وسلم من الاعتقادات الدينية متفرع على ما أتانا به من الملة السهلة حيث لم يكلفنا بالتكاليف الشاقة مثل ما كلفت به الأمم السابقة

عليك خلق الطاعة ونسبها إليك ويجازيك عليها قال الله تعالى تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون مع أن الله تعالى هو الذي أعانهم فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم فعقد أن لا ينسب إلى نفسه شيأ من محاسن الأعمال والصفات لاحقيقة ولا ادبا فالأدب فيذلك وأما مساوي الأعمال والصفات فالأدب أن ينسبها إلى نفسه وان يعترف بأنها من ظلمه وجهله * والحكمة الثانية عشرة قوله (لو لا جبل سترلم يكن عمل أهلا للقبول) اي ان الأعمال الصادرة منك لا تصلح لوصيلك اليه تعالى لما بلزمها من التقصير والآفات فانت لا تعظمه تعالى بما حق تعظيمه ولا تؤدي بها شكر ما لكنه تعالى بستره عليك ويقبلها منك فلو لا وجود ستر الجبل لم يكن عمل العبد صالحا للقبول وذلك لان العبد جسم معيب وقالب معيب فكيف يخرج من معيبين عمل بلا عيب فمهما كان بهذه المثابة لم يكن فيه لوجود القبول أهلية فحصل فضله هو الذي يوصلك اليه فليعتمد العبد على فضل الله تعالى وكرمه * والحكمة الثالثة عشرة قوله (من أكرمك فانما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن ستر ولبس الحمد لمن أكرمك وشكرك) اي ان العبد محل العيوب وستر الله الجميل هو الذي يحجب الناس الى الناس فاذا أكرمك أحد فلا يذهبن ذلك بك الى ان ترى لنفسك وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك فلولا وجود ستره ما جرى لك تعظيم من غيره فلا تحمدن احدا على ما تفضل به الله عليك ولا تذمن احدا على مالم يؤتك الله تعالى وشكر من أجريت النعمة على يديه من الخلائق مطلوب من حيث أنه مأمور به فالشكر الجازي ان له الاحسان المجازي والشكر الحقيقي لمن له الاحسان الحقيقي وهو الله تعالى فالحب والمعظم لك من الخلائق لو اطلع على ما أنت عليه من العيوب لاستقذرك ونفر منك فالكرم والحب والمعظم لك على الحقيقة هو الذي علم ما أنت عليه وستر عليك وقاد الخلق اليك فستر الله عليك هو سبب الاكرام من الخلق لا أعمالك فالحمد الحقيقي ان ستر على عيوبك لا لان اكرمك باعطائي محبة ولا لان عظمت بذا ونحوه * والحكمة الرابعة عشرة قوله (الشهد لك من قبل ان يشهدك فنطقت بآلهيته الظواهر وتحققت باحدية القلوب والسرائر) اي اطلعك الله على عظيم الوهيته يوم أخذ الميثاق في عالم الارواح يوم قال لهم الست بربكم فالحاصل الكشف للارواح شهدت بربوبيته اذ ذاك من قبل ان يطلب منك الشهادة في الدنيا فوقعت الاجابة اذ ذاك حيث قالوا بلى اي أنت ربنا فاثبت جنة تعالى على الجميع فالعلم بوجوده تعالى مركوز في الجبلة قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقد اظهر الله الارواح المتجسدة بالاجسام طلب منها الشهادة له بالآلهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت الشهادة من الارواح حين طلبت منها الشهادة في الدنيا بعالم الشاهدة يوم أخذ الميثاق اي نطقت الظواهر بألسنة المقال في الموحدين وبلسان الحال في جميع الموجودات فالركوع والسجود والقيام والجلوس والاصفاد للتلاوة والذهاب الى البيت الحرام ومنى وعرفة ومزدلفة واخراج الزكاة وقتال الكفار والنظر في كتب العلم وغير ذلك من الافعال والحركات التي يقصد بها التقرب الى الله تعالى هي كلها شهادة منك بآلهيته تعالى واعتراف بربوبيته فظواهر المصلين والصائمين والمصدقين وغيرهم من المطيعين هي كلها ناطقة بلسان حالها بالربوبية وجزمت بكونه تعالى واحدا لا شريك له القلوب وضمائرها أكيد ما في الظواهر لكن مراتب الاشهاد

مخافة ومحبتها تختلف مراتب الشهادة فليست شهادة الضعفاء الذين تغلب عليهم الغفلة كشهادة الاقوياء ＊ والحكمة الخامسة عشر قوله (ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال اليه) اى ربما أطلعك الله على ما سوى أسرار العباد من الذى فوق السماء وتحت الارض ومن مكنون العلم ودقائق المعارف وحجب عنك اطلاع ما فى قلوبهم من خير او شر وذلك من لطف الله تعالى بك لان من اطلع على اسرارهم ولم يتصف بالرحمة كان اطلاعه عليها فتنة عليه وسببا لجر الثقل اليه وذلك لان الشخص لو اطلع على اسرارهم لربما اطلع على نجاس فتنفر منه وتقطعه فالادب ان يرحم المذنبين ويعفو على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين ويرأف بعباد الله تعالى اجمعين ولو اطلع على ولى ربما ركن اليه وجعل قبلته اليه فيكون حجابا بينه وبين الله تعالى وربما آذاه مع علمه به فيهلك وقد جاء فى الحديث القدسى من آذى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم انا الثائر لوليى وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما أرى الله ابراهيم عليه السلام ملكوت السموات والارض أشرف على رجل بمعصية من معاصى الله تعالى فدعا الله عليه فهلك وكذلك على آخر وآخر فهلكوا فأوحى الله اليه أن يا ابراهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعو على عبادى فانهم منى على ثلاث خصال اما ان يتوب العبد منها فأتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تسبح لى واما أن يبعث الى فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وقيل ان سبب امر الله له بذبح ولده فلذته على العصاة وقلة رحمته لهم وحكى عن سيدنا ابراهيم عليه السلام كان يعرج به كل ليلة الى السماء فعرج به ذات ليلة فاطلع على مدمن على فاحشة فقال اللهم اهلكه يأكل رزقك ويمشى على أرضك ويخالف أمرك فأهلكه الله تعالى فاطلع على آخر فقال اللهم اهلكه فنودى كف عن عبادى رويدا رويدا فانى طالما رأيتهم عاصين فلما هبط ارى فى المنام ما ذكر الله تعالى فى كتابه حيث يقول انى أرى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى فلما شمر لذلك وأخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدى وثمرة فؤادى وأحب الناس الى فسمع قائلا يقول اما تذكر الليلة التى سألت فيها اهلاك عبدى او ما علمت انى رحيم بعبادى كانت شفيق بولدك فاذا سألتنى هلاك عبدى أسألك ذبح ولدك واحدا بواحد والحاصل ان المكاشفة نعمة من الله على المريد وشكرها الستر والصفح عن الجاهلين ＊ والحكمة السادسة عشر ＊ قوله (علم ان العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية) اى ان الله تعالى علم ان العابدين يتطلعون الى ظهور أمر من خصوصيات رحمة يكون امارة على ما سبق من العناية وهى تعلق الارادة بحصوله فى المستقبل مذكور فى قوله تعالى يختص برحمته من يشاء فزجر الله انا وقطع اطماعنا (فقال يختص برحمته من يشاء) فبين الله تعالى بهذه الآية ان افاضة الرحمة على بعض عبيده ليس بوصف بهم وان عنايته بهم لا لعلمهم ولا لنسبهم ولا لاعمالهم ولا لغير ذلك بل لامر تقتضيه الا المشيئة القديمة والارادة الازلية فالله تعالى خصص من شاء بما شاء لحكمة فلا يتوهم من التخصيص انحصار الرحمة قال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة

حرصا على هدايتنا وسلامتنا ولا يبعد أن يحمل على أن الناظم قصد من هذا البيت تعليل عدم احياء اسمه صلى الله عليه وسلم العظام الرميمة مع أن من صفاته احياء القلوب الميتة وذلك أنه لو أحيا اسمه الموتى لتحيرت الافهام فى معانيه وربما أدى ذلك الى الوقوع فى الضلال كما وقعت النصارى فى ذلك بسبب عيسى عليه السلام وأمه أى فالمراد بعدم احياء اسمه الموتى لالاعتبار ما يعجز عن ادراكه أفهامنا لئلا نقع فى الشك وحرصا علينا فى ابان طريق الصواب وذلك من كرم الله تعالى ورأفة رسوله بخلقه ويؤيد ذلك هذا البيت

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى ＊
للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد ＊
صغيرة وتكل الطرف من أمم

قوله فليس الفاء تفريع على قوله أعيا الورى اسمه ضمير الشان مفسر بما بعده ويرى خبره وقوله فى القرب

والناس أجمعين وقال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم اى وللاختلاف والرحمة خلقهم وقد كان ابو هريرة رضى الله عنه يقول اخبرونى عن رجل دخل الجنة ولم يصل صلاة ثم يقول هو عمرو بن ثابت وقصته أنه كان يأبى الاسلام فلما كان يوم احد أخذ السيف فدخل فى عرض الناس وقاتل حتى وقع جريحا فوجده قومه فى المعركة فقالوا ما جاء بك الشفقة على قومك ام رغبة فى الاسلام فقال بل رغبة فى الاسلام فانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصابنى ما اصابنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من أهل الجنة (وعلم الله خلاهم وذلك اتركوا العمل اعتمادا على الازل فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين) وقوله وذلك مفعول معه اى وعلم الله تعالى ان الشان لو ترك عباده مع ظاهر قوله تعالى يختص برحمته من يشاء اتركوا العمل اعتمادا على الازل قائلين ان كنا فى الازل من أهل الخصوص نجونا من النار ودخلنا الجنة من غير اعمال فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين بالاعمال الصالحة فهى علامة على تلك العناية الازلية وليست علة موجبة لها فمن أراد النهوضات الرجائية الدالة على ماسبق فى الازل فليحسن بالاعمال لقوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له فالآية الاولى حقيقة والثانية شريعة والاستقامة هى الجمع بينهما والحكمة السابعة عشر قوله (عنايته بك لاشئ منك) اى تصريفه فيك بالعطايا والنعم التى لا تحصى لاشئ منك اى لا باستحقاق ولا وسيلة سبقت فلا تعتقدان الطلب سبب فى العطاء ولا ان اتيانك الاجل أحوالك (وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته) واين للاستفهام الانكارى فهو فى قوة النفى اى لم تكن ايها المخاطب فى مكان واذا لم تكن فى مكان لم تكن اصلا لان وجودك ملزوم للمكان حين واجهتك ارادته تعالى بالايجاد فهل سألته الايجاد قبل ان توجد لا وان كنت حين واجهك حفظه على وجودك بأنواع الامداد (لم يكن فى أزله اخلاص أعمال ولا وجود أحوال) اى لم يوجد فى الازل اخلاص اعمال بدنية ولم يوجد وجود احوال قلبية اى انهما لم يكونا موجودين فى محل القسمة الازلية فكيف يكونان وسيلتين فى الطلب (بل لم يكن هنالك) اى فى الازل (لا محض الاتصال وعقسيم النوال) فان الاعمال ليست سببا مؤثرا فى دخول الجنة وفى النجاة من النار فلا تفتر بما ظهر لك من الحول والقوة وتوجد فى بعض النسخ حكمة وهى قوله اقسام قسمت وقوت أجريت كيف تستجلب بحركات اوتنال بسعايات اى ان العطاء والمنع والصحة والعافية وغيرها أقسام قسمها الله وقدرها وكذلك القوت من شقاوة وسعادة اجريت وقدرت فكيف تطلب تلك الاقسام والقوت بالحركات او تحصل بالاكتساب بل الحركات والاعمال علامات على الخير ان كان العمل خيرا وعلى الشر ان كان شرا ولا تأثير لها» والحكمة الثامنة عشر «قوله (لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك) لانه الغنى العزيز الذى لا يحتاج لشئ ولا يغلبه شئ (وانما امرك لينفعك ونهاك عن هذا لما يعود عليك) اى انما امرك الله بالطاعة وبمكارم الاخلاق ونهاك عن المعصية لما يعود عليك من الفائدة بالطاعة والذم بالمعصية من الجلال والثواب والعقاب آجلا وذلك لما اقتضته الحكمة الالهية من ايجاد الصلاح والاصلح لانه (لا يزيد فى عزه اقبال من أقبل عليه ولا ينقص من عزه

متعلق بسيرى واللام فى قوله لاقرب بمعنى فى أو مع أو عند وفى بعض النسخ فى القرب وقوله فيه تعلق بمنعم وفى بمعنى عن والضمير راجع لمنعم معناه وفى نسخة منه قوله كالشمس اما فى موضع نصب حال من فاعل أعيا أو نعت لمصدر محذوف أى أعيا كاعياء الشمس أو خبر لمبتدا محذوف قوله ميتين متعلق بتظهر وكذا من بعد فهو بضم العين على لغة ومن بمعنى فى أو هو ابتدائية والمعنى أعجز المخلوقات

ادراك حقيقته من تفصيل أحواله السنية وصفاته العلية فليس بصير تخفى عليه ما عجز عن معرفة حاله وعن بيان كماله فهو كالشمس تظهر للعيون فى حالة البعد صغيرة بقدر الراحة وان كانت فى نفس الامر أعظم من الارض بكثير وهى تضعف البصر لقوة شعاع نورها فى حالة مقابلتها وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته «

قوم نيام تسلوا عنه بالحلم قوله وكيف الانتفهام الانكارى بمعنى النفى أى لا يدرك قدره صلى الله عليه وسلم ومزاته فى الدنيا قوم

ادبار من أدبر عنه) اى لان عزه تعالى ذاتى أزلى وإقبال من اقبل عليه بتوفيقه وادبار من ادبر عنه بخذلانه فالكل فى تصريفه فمزته صفة من صفاته الجامعة كالالوهية والكبرياء والعظمة وصفاته فى غاية الكمال والتمام فهى منزهة عن الزيادة والنقصان * والحكمة التاسعة عشر * قوله (أراد أن يزعجك عن كل شئ حتى لا يشغلك عنه شئ) اى انه تعالى اراد أن يقلقك عن كل شئ كى لا يشغلك عن الله تعالى شئ فتنبه لحكمته تعالى بظهر لك أن تسليطهم عليك نعمة جليلة عليك فكن منقبالها بالقبول مستعذبا لها كما قال سيدنا إبراهيم بن ادهم ما مررت فى الاسلام الا فى ثلاث مرات الاولى كنت فى سفينة وكان فيها رجل مضحك كان يقول كنا نأخذ العلج من بلاد الترك هكذا وكان يأخذ شعر رأسى ويهزنى فسرنى ذلك لانه لم يكن فى تلك السفينة أحد أحقر فى عينه منى والثانية كنت عليلا فى مسجد فدخل المؤذن وقال اخرج فلم أطق فأخذ برجلى وجرنى الى خارج المسجد والثالثة كنت بالشام وعلى ثوب فنظرت فيه فلم أميز بين شعره وبين القمل وفى رواية عن ابراهيم بن أدهم أنه قال ما مررت فى الاسلام الا ثلاث مرات معدودات كنت يوما فى مركب وكان به رجل يحسن الحكايات المضحكة فيضحك منه الناس وكان يقول رأيت وقتا فى معركة الترك عجبا فقلت هكذا وكان يأخذ بلحيتى ويحركه على حلقى والناس يضحكون منه ولم يكن عنده أحد أحقر منى فسررت بذلك وكان يوم آخر كنت جالسا فجاء انسان فبال على وروى ان الشيخ ابا مروان طلع فى بداية أمره فى سفينة فألقاه البحر فجعل يتعلق بهم وهم يضربون يده حتى سقط فى البحر فسبح وطلع الى الساحل وأغرق الله أهل السفينة فلما دخل أبو مروان على بعض المشايخ فعاتبه وقال له أرضيت ان اهلك الله لأجل تغيرك خمسة وستين رجلا فقال أبو مروان ما صنعت أنا فقال له هلا فرحتهم على ما فعلوا بك لكنك تغيرت وتركتهم مع الله فأهلكهم ثم استغفر الله وصام شهرين متتابعين قال ففعلت * والحكمة العشرون * قوله (اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك) بالاضلال (فلا تغفل أنت عن ناصيتك بيده) أى بقدرته وهو الله تعالى وذلك بتوكلك عليه وافتقارك فى جميع أحوالك اليه والتجأ اليه فبذلك يرد الله كيده عنك وقال الشيطان فى توعده لابناء آدم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لان الفوق جهة الدعاء الى الله تعالى والتحت جهة السجود لله قال الشيخ محيى الدين والجهات الاربع أدوية أربعة حياء فانه يناسب الامام وخوف فانه يناسب الخلف ورجاء فى فضله تعالى فانه يناسب اليمين وتذكر النعم السابغة الموجبة للمحبة فانه يناسب القلب وهو جهة اليسار (جعلك عدو العدوك بيده) أى جعل الله الشيطان عدوا لك ليصرفك بذلك الشيطان اليه تعالى وترجع اليه وتلجأ اليه فلا يجد الشيطان اليك سبيلا وهذا فى حق غير المحبوبين أما هم فلا يحتاجون الى عدو يصرفهم اليه تعالى لان تعلقهم بسيدهم كالامر الطبيعى فهم فهم منعمون فى جنة القرب لا يعرفون العدو ولا يلتفتون اليه وهذا فى حق غير المخذولين أيضا أما هم فيستجيبون للشيطان ويحصل غرضه منهم من ابعادهم عن الله تعالى (وحرك عليك النفس ليدوم اقبالك عليه) أو وحرك الله عليك النفس بأن تحملك على

غافلون عن النظر فى حقيقته اكتفوا عنه صلى الله عليه وسلم بما أدركوه بالخبر جملة وهو الذى يشبه بما يرى فى النوم الصور الخالية المشابهة لماهية الحقيقة والمراد بالنوم والغفلة الذاشئة من الصبوبات الدنيوية واللذات الجسمانية التى بسببها يحجب الانسان عن ادراك حقائق الاشياء الى الاخيرة فانهم يدركون فيها حقيقته صلى الله عليه وسلم لانه يكمل لهم نور أبصارهم وقلوبهم ويحصل لهم اذ ذاك الانباء فيدركون الدقائق والاسرار فيظهر لهم قدره صلى الله عليه وسلم ولذلك حينئذ قدروا على رؤية الله تعالى بكل عضو من أعضائهم فبلغ العلم فيه أنه بشر * وأنه خير خلق الله كلهم هذا البيت مفرع على قوله أعيا الورى الخ أى فغاية ما يصل اليه علم الخلق فى حقه صلى الله عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث الصفات أنه انس لا الله ولا ملك وأنه خير مخلوقات الله العقلاء كلهم انسا وجنا وملكا والعجب لم يتيسر لمن يتجرد عن الغواشى

البشرية الاطلاع على كل الحضرة المصطفوية بين الناظم ماهو الممكن من معرفته وهو مايجب على كل أحد أن يعرفه صلى الله عليه وسلم به وهو كونه بشرا وهذا النوع قد حاز خصائص من الفضل والكمال بها امتاز عن سائر المخلوقات وكونه سيد المخلوقات العقلاء أجمع من انس وجن وملك بشهادة ماروى أن الله تعالى لما خلق آدم ألهمه أن قال يارب لم كنيتني أبا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد صلى الله عليه وسلم في سرادق العرش فقال يارب ماهذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الارض محمود لولاه ماخلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا

وكل آي أتى الرسل الكرام بها ٭
فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن أنوارها للناس في الظلم
أي جميع المعجزات التي جاءت بها المرسلون لامهم

متابعة الهوى والشهوة بما جعل فيها من الطبع لدوم اقبالك على مولاك لان شهوات النفس لاتنقطع فكلما اشتهت عليك شهوة تجأ الى الله تعالى فبهذا الصنف ان تلك العداوة وان عظمت فانها من أعظم الوسائل الى أسنى المطالب لمن أراد الله هدايته وكأنه رحمه الله تعالى قصد في هذه الكلمات الى ذكر الاعداء الاربعة التي تقدمها قول الشاعر من بحر الكامل

الى بليت بأربع يرمينني ٭ بالنبل عن قوس لها توتير
ابليس والدنيا ونفسي والهوى ٭ يارب أنت على الخلاص قدير

٭ والحكمة الحادية والعشرون ٭ قوله (جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وأنك جوهرة تحاوي عليها أصداف مكوناته) أي جعلك الله في العالم المتوسط بين أرضه وسمائه ليعلمك جلالة قدرك وفخامة أمرك بين مخلوقاته فانها كلها منظرة لك ومخلوقة لأجلك فما لك بها فينبغي لك أن تعلو بهمتك الى المراتب السامية اللائقة بك وذلك باخلاص العبودية لله وقطع النظر عن كل ماسواه وليعلمك أنك في أحسن تعديل صورة وكانت خلقتك جوهرة نفيسة متضمنة لاسرار جميع الموجودات فاضافة أصداف الى مكونات من اضافة المشبه به للمشبه أي لما كان الانسان مخبوءا جميع الموجودات الجسمانية والروحانية كانت الموجودات كلها بمنزلة القشور والانسان بمنزلة الجوهرة النفيسة التي تحويها الصدفة فللانسان شبه بالمعادن من حيث اسنانه وبالنبات من حيث شعره وبالمياه من حيث بوله ودمعه وبالاشجار من حيث أنه يكون في مبدئه نطفا مريا وفي آخره يابسا أسود وبالارض من حيث أنه محل لنبات الاخلاق والطبائع وبالحيوانات فانه في حالة الغضب يكون أسدا وفي حالة الاحتيال والخداع يكون ذئبا وفي حالة غلبة الشهوة يكون خنزيرا لا يبالي أين يلقي نفسه وفي حالة الحرص على الدنيا يكون كلبا وبالشياطين من حيث الاغواء والاذاية والمرد والطغيان وبالملائكة من حيث العقل والمعرفة والعلوم والعبادة وبأهل الجنة من حيث سلامة الصدر وصفاء القلب والاخلاق الجيدة وبالجنة من حيث انه اذا حسنت أخلاقه تنعم به جليسه وبالنار من حيث انه اذا قبحت أخلاقه احترق به جليسه وبالعرش من حيث ان قلبه محل التجلي وبالقلم المحفوظ من حيث انه خزانة العلوم وبالقلم من حيث انه ضابط للعلوم وبالسماء من حيث انه محل الاسرار والانوار ومجمع الحفظة والمعقبات والطوافين على حلق الذكر الى غير ذلك فالانسان مجمع جميع المظاهر وكان لجميع العالم اتصال به ولذلك لايظهر مرجع جميع العالم الا فيه ولا يعلم حقيقته الا الله تعالى وقد اجتمع فيه الداء والدواء فداؤه اتباع الهوى ودواؤه اجتنابه

﴿ باب التوبة ﴾

وهذا باب سابع عشر ذكر المصنف في هذا الباب أربع حكم ٭ الحكمة الاولى ٭ قوله (لاتصحب من لاينهضك حاله ولايدلك على الله مقاله) أي لاتصحب من لاينهك حاله وصحبته بالتقرب الى الله تعالى ومعنى الحال المنهضة هاهنا ان تكون همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة على المخلوقين لايلجأ في حوائجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل في أموره الا على الله تعالى قد سقط الناس من عينه فلا

يرى منهم ضرا و نفعا وسخطت نفسه من عينه فلا يشاهد له فعلا ويكون جاريا في أعماله كلها على مطلوب الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذه صفة العارفين فتحبه من هذه حاله وان قلت عبادته قليلة لكل قاعدة دنيوية ودنيوية لان الطبع يسرق من الطبع ولا يشترط في المحبوب اتصافه بتلك الصفات على غاية الكمال والتمام فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه أن يتصف منها بما يفوق صاحبه به فقط بحيث يكون أعلى منه حالا وأصوب منه مقالا ويروى ان الشيخ نجم الدين الكبرى كان في مجلس السماع فاذا بفتى يتفرج فنظر اليه الشيخ في ذلك الوقت نظرة وقال من أين انت فوصف له حاله فقال له اذهب وارشد الناس فقد أجزتك فأوصله الى الله بتلك النظرة وأعطاه مقام الارشاد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي ان السلحفاة تبيض في البحر وتجلس في البعد عن بيضها وتربيه بالنظر اليها فاذا كانت السلحفاة تربي أولادها بالنظر اليها فكيف لا يربي الشيخ أولاده بالنظر وشتان بين النظرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب اه فاذا فرح الصحابة بشيء مثل فرحهم بهذا الحديث ولذلك أنت اذا أحببت الاولياء كنت معهم وان لم تكن في مقامهم ولا تكون معهم حتى تدعن لهم بظاهرك وباطنك وتنكسر لهم في سرك وعلانيتك فمن ظفر بذلك فقد ظفر بالعنقود البارد وتجد له في كل حين من اشراق بواطنهم فائدة وقال سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه لا يجوز للشيخ أن يجلس على سجادة النهاية ويتقلد بسيف العناية حتى يكمل فيه اثنا عشر خصلة خصلتان من الله تعالى وخصلتان من النبي صلى الله عليه وسلم وخصلتان من ابي بكر وخصلتان من عمر وخصلتان من عثمان وخصلتان من علي فأما اللتان من الله تعالى يكون ستارا فقيرا واما اللتان من النبي صلى الله عليه وسلم يكون شفيقا رفيقا واما اللتان من ابي بكر يكون صادقا مصدقا واما اللتان من عمر يكون آمرا ناهيا واما اللتان من عثمان يكون طعاما للطعام مصليا بالليل والناس نيام واما اللتان من علي يكون باذلا شجاعا اه والحكمة الثانية قوله (ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان منك محبتك لمن هو أسوء حالا منك) اي ان اردت ولا بد ان تحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فاحب منك حتى تكون في صحبته لانك ولا عليك اما صحبة الدون فضرر محض وهذه قاعدة في كل شيء فان رؤية الاعلى تحقر العالي ورؤية الادنى تحسن الدني ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه أجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم اي يؤمر الانسان بالنظر ان هو دونه في العلم والعمل حتى لا يزدري نعمة الله ولكن لا يحبه لئلا تسري اليه حالته وتحسن في نظره حاليه فينعكس القصد لان النفس مجبولة على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله ومفهوم هذه الحكمة ربما كنت محسنا فاذا صحبت من هو أعلى منك حالا أرتك صحبته أنك مسيء فتزداد في العمل الصالح وهذا هو المطلوب فصحبة من هو فوقك في العلم النافع والعمل الصالح هي مرآة تريك عيوبك وتبين لك نقصك وتكشف جهلك وتقصيرك وتوجب لك سوء الظن بنفسك وحقارتها في نظرك وذلك اصل كل طاعة ويقظة وعدة فعليك بصحبة الكبار تلق

انما انصبت بهم من معجزاته صلى الله عليه وسلم ومن نوره صلى الله عليه وسلم الذي هو أصل الخلق كلها لانه صلى الله عليه وسلم كالشمس بالنسبة الى الفضل والشرف وأن الرسلين كالكواكب فنور الكواكب مستفاد من نور الشمس فضوء الكواكب في الظلمات وتظهر هي أنوار الشمس بها للناس من غير أن ينقص من نور الشمس شيء فنوره صلى الله عليه وسلم لذاته أما نور الانبياء فمستمد من نوره صلى الله عليه وسلم من غير أن ينقص من نوره شيء فيظهرون ذلك النور في الكفر فكما أن الشمس اذا ظهرت لم يبق أثر الكواكب فكذلك شريعته صلى الله عليه وسلم لما ظهرت نسخت شرائع المرسلين ولم يقل الناظم فانها هي من نوره بل قال فانها انصبت من نوره بهم لان نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قائما به ولم ينتقص منه شيء بخلاف ما لو قال فانها هي من نوره فانه يوهم أنه وزع عليهم وقد لا يبقى له منه شيء قوله للناس وقوله في الظلم متعلقان بتظهرون والاحسن أن

بالكبار وابلاء صحبة الاشرار لئلا تلحق بهم كما قال بعضهم من بحر الكامل

من عاشر الاشراف صار مشرفا ٭ ومن عاشر الاذال لم يتشرف
الا ترى الجلد الحقير مقبلا ٭ بالعلم لما صار جلد المصحف

٭ والحكمة الثالثة قوله (ما صحبك الامن يحبك وهو يعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم) اى ما صحبك صحبة حقيقية الا من يحبك وهو عالم يعيبك على التفصيل وهو الله تعالى فهو تعالى يعلم ما انت حامل له فى جميع اوقاتك من الخاطر والبصاق والودى والمذى والمنى والبول والعذرة والاوساخ والقمل والقيح والصديد وغير ذلك ويعلم خواطرك الرديئة وأحاديث نفسك الذميمة وما انت عليه من الفقر والعجز والضعف الى غير ذلك ومع هذا لا يدعك لاحد من خلقه بل يراقبك ويحسن اليك ولا يقطع نعمه عنك فهذا هو الصاحب الحقيق لان من خفيت عليه مساويك وظهرت له محاسنك والنظر والدين اذا مرض ولدهما المقارب للبلوغ الذى هو العزتى عندهما وصار لا يقدر على الحركة ويضع القاذورات تحته كيف يطيان موته بعد ان كان يبذلان فى بقائه أموالهما وانفسهما وذلك لان الانسان لا قدرة له على دوام الصبر على مصاحبة العيوب وملابسة الاقذار ٭ والحكمة الرابعة ٭ قوله (خير من تصحب من يطلبك لله) اى لتفقك (لا لشئ) يعود منك اليه) وليس ذلك الا مولاك اما من يصحبك من الخلق فلا بد أن يراعى الانتفاع اما الدنيوى واما الاخروى فاتخذ مولاك صاحبا ودع الناس جانبا كما قال الشاعر من بحر الخفيف

جنب الناس جانبا ٭ وارض بالله صاحبا
قلب الناس كيف شئت تجدهم عقربا

﴿ باب الطمع ﴾

هذا باب ثامن عشر وذكر المصنف فى هذا الباب ثلاث حكم ٭ الحكمة الاولى ٭ قوله (ما بسقت أغصان ذل الا على بذر طمع) اى من كان بذره على طمع كان له فروع ذل طويلة اى من ثبت طمعه طال ذله فالطمع اصل جميع الآفات لانه محض تعلق بالناس واعتماد عليهم وفى ذلك مذلة ولا يحل للمؤمن ان يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذى يقتضى وجود العزة والمؤمنون العزة صفة المؤمنين برفع همهم الى مولاهم وطمأنينة قلوبهم اليه وتفتهم به دون من سواه روى ان على بن أبى طالب كرم الله وجهه قدم البصرة فدخل مسجدها فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء الى الحسن البصرى فرآه عليه وشاورهيئة اهل الخير فقال يا فتى انى سائلك عن أمر فان اجبتنى عنه ابقيتك والا أقمتك كما اقمت أصحابك فقال الحسن سل عما شئت قال ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين الطمع قال اجلس فقام من بين كتفى الناس قال ابو العباس المرسى كنت فى ابتداء أمرى بثغر الاسكندرية جئت الى بعض من يعرفنى فأشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت فى نفسى لعله لا يأخذ منى فهتف بى هاتف السلامة فى الدين بترك الطمع فى المخلوقين وقال أيضا صاحب الطمع لا يشبع ابدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين ٭ والحكمة الثانية ٭ قوله (ما فاز ذلك شئ مثل الوهم) فأصل الطمع مجرد توهم النفع والدفع من المخلوقين فالوهم هو الذى قاد النفس الناقصة الى

يكون قوله فى الثغر فى محل نصب على الحال من الناس أى تظهر الكواكب أنوار الشمس فى حال كون الناس فى الظلم من الجهل والضلال والكفر (فائدة) نقل عن الغوث المصرى سيدى أحمد بن عبد الله أن ذات الخوارق كلها التى قام به صلى الله عليه وسلم وأنه رضى الله عنه أخذ مرة بعض خبز ليأكله فنظر فيه وفى فم الناس فاذا فى ذلك الخبز خيط من نور فتبعه ببصره فرآه متصلا بخيط نوره الذى اتصل بنوره صلى الله عليه وسلم فراه بعد أن امتد قليلا تفرع الى خيوط كل خيط متصل بنعمة من نعم تلك الذوات وان اهل الكشف يشاهدون خيوطا من نور ممتدة منه صلى الله عليه وسلم الى ذوات جميع كل خلق من الانبياء والملائكة وسائر المخلوقات ونقل السيوطى عن أبى

قوله كما قال الشاعر من بحر الخفيف صوابه من مجزوء الخفيف لان الخفيف لا يخرج على من له الملم بالعروض اهـ مصححه

قوله جنب الناس الخ هكذا فى الأصل والذى أحفظه وهو فى دروس الرباحين كن عن الناس جانبا اهـ مصححه

الامور الوهمية الباطلة لان الطمع تصديق الظن الكاذب وارباب الطائف لاتعلق همهم الا بالله ولا يتوكلون الا عليه ولا يثقون الا به فقد سقط اعتبار الاوهام التي تتعلق بالاغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع فاتصفوا بصفة القناعة والورع فالقناعة مقام عظيم من مقامات اليقين وهي من بدايات أحوال الراضين * والحكمة الثالثة * قوله انت حر مما نت عنه آيس)) اى مما انت معرض عنه (وعبد مما انت له طامع) فالطمع في الشيء دليل على الحب له وفرط الاحتياج الى نيله كما ان اليأس من الشيء دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه وذلك حرية منه فالطامع عبد واليائس حر وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه كان قاعدا فسئل عن تابع الشهوات كيف صفته وكان في قريه صبيان مع احدهما خبز بلا أدم ومع الآخر خبز مع كامخ فقال الذي لم يكن معه كامخ لصاحبه اطعمني من الكامخ فقال له بشرط أن تكون كلبي فقال نعم فجعل في رقبته خيطا وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال فتح للسائل أما انه لو رضي بخبزه ولم يطمع في كامخ صاحبه لم يصر كلبا لصاحبه ورأى رجل حكيما يأكل ما تساقط من البقل على رأس الماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى أكل هذا فقال الحكيم وانت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقيل في تفسير قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم اى ان الابرار لفي قناعة في الدنيا وان الفجار لفي حرص في الدنيا

﴿ باب التواضع ﴾

وهذا باب تاسع عشر ذكر المصنف في هذا الباب أربع حكم * الحكمة الاولى * قوله (من أثبت لنفسه تواضعا فهو التكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة) اى من خطر بباله انه متواضع فهو المتكبر اذ ليس آيات التواضع الا ناشئا من شهود رفعة كان يسقطها وعن شهود أنه تنازل عنها الى مادونها ولو كانت الرفعة معدومة لوجد الضعة بفتح الضاد وكسرها (فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت المتكبر) فوجود الضعة لا يحتاج الى اثبات من العبد لانه ثابت في نفسه وفي نسخة رفعة بدل تواضعا اى متى أثبت لنفسك رفعة في ضمن اثبات التواضع فانت المتكبر حقا ولو كنت في الظاهر في اقصى درجات التواضع اذ التواضع أمر قلبي وحقيقته ان لا ترى لنفسك مرتبة ولا ثقة فتى لم ترى لنفسك قدرا بوجه فأنت المتواضع وان كان ظاهر حالك في اقصى درجات التكبر والكبر عكسه ولا ينفك عن العبد التكبر الا بوجود الضعة حقيقة وهذا معنى قول بعض الائمة الكلب أرفع مني وأولى بالكرامة لاني عصيت الله والكلب لا ذنب له ومذهب اهل الارادة المتوجهين الى الله تعالى انه لا يجوز للانسان أن يرى لنفسه مزية على غيره ولو كان كافرا لعدم حصول التمييز على الحقيقة بين المؤمن والكافر فان ذلك مما انفرد بعلمه علام الغيوب ولا يقطع احد لنفسه بأنه من فريق اهل السعادة او الشقاوة وانه مقبول او مردود هو الحكمة الثانية * قوله (ليس المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه دون ما صنع) اى ليس المتواضع حقيقة هو الذي اذا خضع بأن جلس في أسفل المجلس مثلا رأى انه يستحق الجلوس في صدر المجلس مثلا لتكبره حقيقة ولكن المتواضع هو الذي اذا خضع بان جلس قريبا من صدر المجلس مثلا رأى انه يستحق أن يجلس

العباس الطيبي أنه قال وردت على سيدي أحمد الزاهي رضي الله عنه فقال لي ما أشغلك شيخك عبد الرحيم بقنا فاذهب اليه فسافرت الى قنا ودخلت عليه فقال عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لا قال رح الى بيت المقدس فمن رضعت رجلي فاذا بالسماء والارض والعرش والكرسي مملوءة من نور رسول الله صلى الله عليه فرجعت الى الشيخ فقال لي عرفت رسول الله صلى عليه وسلم قلت نعم قال الآن كملت طريقتك لم تكن الاقطاب أقطابا والاوتاد أوتادا والاولياء أولياء الا بمرفته صلى الله عليه وسلم وذكر الغوث الدباغ رضي الله عنه أن نوره صلى الله عليه وسلم قد ملأ العالم كله فما من موضع الا وهو فيه وأن صورته صلى الله عليه وسلم ترتسم فيه على أشكال متعددة بعدد الانبياء والمرسلين والاولياء من زمنه الى يوم القيامة فلذا كان يراه صلى الله عليه وسلم مناما يقظة أقوام لا يحصون في أماكن مختلفة في آن واحد الآن منهم من يرى ذاته الشريفة حقيقة بأن تجيئه في موضعه

في اسفل المجلس مثلا لانه يشاهد ذلك وهذا هو التواضع الحقيق قال الشبلي من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وقال ابو يزيد ما لم العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا * والحكمة الثالثة * قوله (التواضع الحقيق هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته) اي ان شهود عظمة الله تعالى وانه النافع الضار القادر على كل شيء وشهود ظهور صفته من قهر وعز وغير ذلك على العبد هو الذي يوجب للعبد وجود التواضع الحقيق لان ذلك الشهود هو الذي يخمد النفس ويبطل تكبرها فتجلي الله تعالى لشيء الا خضع له وهذا ما يعارضه معارض يقتضي ضد التواضع ومن ثم امر الشرع باهانة الكفار عند أخذ الجزية منهم رجاء ان يبعثهم ذلك على الاسلام وقد ورد في الحديث التكبر على الانبياء تواضع والتكبر على المتكبرين تواضع وقال ذو النون المصري من أراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله تعالى فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة عند هيبته اه وتواضع كل احد على قدر معرفته بالله تعالى وبنفسه ومن أشرف التواضع ان لا ينظر الى نفسه دون الله تعالى وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه لا يتواضع العبد لله تعالى حتى يعرف نفسه * والحكمة الرابعة * قوله (معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا) والذل والافتقار من صفات العبودية والعز والاستكبار من صفات الربوبية فهما متناقضان لان التمكن بأوصاف العبودية يقتضي الوصول الى حضرة الله تعالى والتمكن بأوصاف الربوبية يقتضي عدم القبول فحينئذ المعصية التي أحاطت بها حسنات من تواضع وانكسار قلب وتعظيم المؤمنين وسعي في نصحهم وغير ذلك خير من المعصية التي احاطت بها سيئات من كبر وعجب واحتقار للغير وغير ذلك وان كانت المعصية التي تجر الى الطاعة خيرا من الطاعة التي تجر الى المعصية لان الشيء يعتبر بعواقبه فان القصد من الاسباب مسبباتها وليس المراد من الصحابة الامطار والمراد منها وجود الاثمار هذا ولا منافاة بين كون المقصود من العبادة الذل والافتقار وكون المؤمنين من أهل العزة وكون الكافرين من أهل الذلة لان المراد بذلة المؤمنين التواضع والخضوع لله ولرسوله وللمؤمنين وعدم الرضى عن النفس وبالذلة المنفية ذل الحرص والطمع والتواضع لاهل الدنيا لاجل دنياهم وعدم التستر عن افتقار العاصي فمن معنى المعصية التي يصاحبها ذل وافتقار ما روي عن أبان بن عياش انه قال خرجت يوما من عند انس بن مالك بالبصرة فرأيت جنازة يحملها اربعة من الزنج وليكن معهم رجل آخر فقلت سبحان الله في سوق البصرة وجنازة مسلم لا يشيعها أحد فلا كونن خامسهم فتبعت معهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا الى تقدم قلت أنتم اولى به فقالوا كلنا سواء فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما قصة فقالوا اكثرنا تلك المرأة قال فمكثت حتى دفنوه فبعد ساعة انصرفت تلك المرأة وهي تضحك فقلت لها لا يعجبك الا الصدق الخبر بني اي شيء القصة فقالت ان هذا ابني ما ترك شيئا من المعاصي الا فعله فرض منذ ثلاثة أيام فقال لي بأعلى اذا مت فلا تخبري بموتي جيراني

فيراها أو يتبع بنور قلبه الصورة التي ارتسمت له في الدور الشريف فيفر في بنورها الى محل ذاته الشريفة فيراها ومنهم من يرى مجرد الصورة التي ترتسم له فيه وانه هو الحاجب فيفر عن أهل الدنيا ولا تخرج اليهم حتى يسير الى الجنة اه قال الشوت المصري وقد وقع لبعض أهل الحذلان أنه قال ليس منه صلى الله عليه وسلم الا الهداية وأما نور ايماني في الله تعالى فقال له بعض العارفين أخبرني ان قطعنا ما بين نور ايمانك ونوره صلى الله عليه وسلم وأبقينا لك الهداية الذي ذكرت أترضى بذلك فقال فهو رضيت قال أتم كلامه حتى مصرعه فصلب ومات على كفره نعوذ بالله من ذلك قال عبد السلام ابن ادريس الرا كشي خاصية هذه الأبيات السبعة التي أولها لم يحظنا الى هنا أن من دخل على أهل الباطل وأهل بدعة وخاف أن يجادلوه بالباطل والجهل ويكتبها في كاغد ويعلقها على عضده الأيمن فانه اذا تكلم يسمعون منه ولا يقدر أحد منهم على مخالفته

فانهم لايحضرون جنازتي ويفرحون بموتي واكتبي على خاتمي هذا لااله الاالله محمد رسول الله واجعليه على كفني فلعل الله يرحمني به وضعي رجلك على خدي وقولي هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتيني فارفعي يدك الى الله تعالى وقولي اني رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصى به فلما رفعت يدي الى السماء سمعت صوته بلسان فصيح اتصرق يا أماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان على فلقد ضحكت من هذا ومن معنى الطاعة التي يصاحبها عز واستكبار ماروي أن رجلا من بني اسرائيل أتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد ارفع فوالله لايغفر الله لك فأوحى الله تعالى أيها الحالف علي بل أنت لايغفر الله لك فقال الحرت المعاصي لاتالله أقسم على الله تعالى أن لايغفر الله له لانه عند نفسه عظيم القدر عند الله تعالى وان الاساءة اليه عظيمة عند الله لايغفرها الله تعالى لارتفاع عبادته فيجمع بين عجب وكبر واغترار بالله تعالى ومن المعنيين جميعا ماروي أن عيسى عليه السلام خرج ومعه صاغ من صاغ بني اسرائيل فبينما رجل خاطئ مشهور عند الناس بالفسق فقعد منقبذا عنهما متكسرا فدعا الله تعالى وقال اللهم اغفر لي ودع هذا الصاغ وقال اللهم لاتجمع بيني وبين هذا العاصي فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني قد استجبت دعاءك جميعا رددت ذلك الصاغ وغفرت لذلك المجرم

﴿ باب الاستدراج ﴾

وهذا باب تمام العشرين وذكر الصنف في هذا الباب حكمتين ، الحكمة الاولى ، قوله (خف من وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك) أي خف من وجود معاملة الله تعالى معاملة المحسن اليك مع دوام معاملتك مع الله تعالى معاملة المسيء أن تكون معاملته تعالى بالاحسان اليك مكرا من الله تعالى فتقف معها وتفرح بها وتفرح بما أوتيت فتؤخذ بغتة وأنت لاتشعر أن ذلك مكر قال أبو حازم اذا رأيت ربك يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذراه فقد يحصل الطغيان من المنعم عليه وهو معافى ماله وبدنه وقد خرب دينه وذهب بقينه والمصيبة في الدين عند المؤمنين أعظم بكثير من المصيبة في المال والبدن ولذا قال أهل القلوب رضي الله عنهم في الأموال ولافي الابدان وفي الابدان ولافي الاديان وفي الاديان ولافي العقائد وقالوا اذا أراد الله بالزمان خيرا وبأهله صلاحا جعل عقوبة الظالمين في أموالهم وأبدانهم فيزجروا بذلك ويعرف العامة وجود الصالحين والاولياء واذا أراد الله بالزمان شرا وبأهله فسادا جعل عقوبة الظالمين في أديانهم فلا يشعرون بذلك فيزدادون عتوا وفسادا وينكر العامة عند ذلك وجود الاولياء والصالحين بقال من أمارات الاستدراج ركوب السيئة والاغترار بزمن المهلة وحل تأخير العقوبة على استحقاق الوصلة وهذا من المكر الخفي قال الله تعالى (سنستدرجهم من حيث لايعلمون) قال سهل بن عبد الله في تفسير ذلك أي نغدقهم بالنعم ونلهيهم الشكر عليها فاذا كفروا النعمة وجبوا عن المنعم أخذوا وقال ابن عطاء الله أي كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ، والحكمة الثانية قوله (من جهل المريد) بنفسه وبحق ربه (ان يسيء الأدب) مع الله بخواطره ودعوى (فتؤخر العقوبة عنه)

الا بالحق وكذا اذا دخل على من يحتاج اليه فانه لايرد حاجته ولايقدر على خلافه أكرم بخلق نبي زانه خلق بالحسن مشتمل بالبشر متسم كازهر في ترف والبدر في شرف ،

والبحر في كرم والدهر في همم كأنه وهو فرد من جلالته في عسكر حين نلقاه وفي حشم

كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف ،

من معدني منطق منه ومبتسم قوله أكرم فعل تعجب لفظه لفظ الامر ومعناه الخبر قوله مشتمل صفة لنبي كتسم وقوله كازهر صفة رابعة لنبي وقوله كأنه صفة خامسة لنبي وجملة وهو فرد حال من المفعول في لقيناه قوله في عسكر وفي حشم خبر كأن وقوله من جلالته ويروى في جلالته بفي الظرفية فان جعلتها سببية فالمعنى مساوان التعليلية وان جعلتها للظرفية متعلقة بالشبيه والمعنى متحد أيضا وان جعلتها متعلقة بفرد كان المعنى هو منفرد بالجلالة قوله في عسكر أي جيش عظيم قوله وفي حشم أي وفي خدمه الخاصين به صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ وفي جمع وهم الفرسان الاقوياء

امهالا فيظنه اهمالا (فيقول لو كان هذا) أي الشأن الذي أنا فيه (سوء أدب) في حضرة عالم الغيب (لقطع الامداد) أي لقطع الله عني عطاياه المتصلة والواردات المتصلة (وواجب الايصاد) أي ولا وجب الله القائمه اياي مقام البعد عنه ولما كان قوله هنا من جهله لانه يدل على رضاه بحاله واستحسانه لاعماله وهذا هو الوجب لعدم المزيد ولو كان المدد متواصلا اليه لازداد تواضعا عند وقوع سوء الأدب منه وحاصل له مزيد الخوف ولم يستحسن حال نفسه وهذا عين الاستدراج فان سلب النعم اللازم على عدم الشكر نوعان ظاهر جلي وهو ما يفهمه الخاصة والعامة وباطن خفي لا يدركه الا الخاصة وهو المسمى بالاستدراج قال سيدي أبو العباس كل سوء أدب تخرق أدبا مع الله فهو أدب (فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر) وهذه عقوبة خفية لان سوء أدب المريد يوجب عقوبته لكن العقوبات مختلفة فنها معجلة ومنها مؤجلة ومنها جلية ومنها خفية فالعقوبة الجلية هي العقوبة بالعذاب والعقوبة الخفية هي العقوبة بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لاهل الذنوب والعقوبة بالحجاب لاهل اساءات الأدب وقد تكون العقوبة الخفية والمؤجلة أشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة قال العقوبة الخفية قطع المدد والاقامة مقام البعد وهذا مبدؤه وقوع الحجاب فاذا حصل للمريد ذلك ولم تتداركه رحمة من الله تعالى في الحال انكسفت عنه شمس العرفان وسترت عنه الكشوفات (ولو لم يكن الامنع المزيد) وجواب لو محذوف أي لو لم يكن من قطع المدد الا منع الزيادة من المدد لكان ذلك كافيا في الحرمان وفي نسخة وجود الجواب وهو قوله كفى به قاطعا أي كفى بمنع المزيد قاطعا مزيد الايمان بشواهد الايقان ومشاهد العيان ومزيد العلم بالجلال على بساط الادلال ومزيد الاخلاص بأسباب الخلاص ومزيد الاعمال بحميد الخصال ومزيد التوفيق بشواهد الطريق ومزيد الاحوال بطرد الاعتلال (وقد يقام مقام البعد من حيث لا يدري) أي وقد يقيم الله المريد في موضع البعد من حضرته مع بقاء محبته فلا يحجب ولا يقبل منه وعلامته أن يكون تعبه ونقف مع ظاهر حاله وبذلك يتحقق الاستدراج حتى يرى الشر في محل الخير وعكسه (ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد) بتشديد اللام وجواب لو محذوف أي ولو لم يكن من اقامته في مقام البعد ومن العقوبة الا أن يتركك وما تريد من الاساءة بان يسلط الله نفسك عليك ويمنع نصرتك عليها ويطردك عن بابه مع تواتر امداده لكفى ذلك في البعد والعقوبة فترك العقوبة الذي اغتررت به مع الاساءة هو بنفسه عقوبة ويقال من علامات التوفيق ثلاثة دخول أعمال البر عليك من غير قصد منك اليها وصرف المعاصي عنك مع السعي فيها وفتح باب اللجأ والافتقار الى الله تعالى في كل الاحوال وعلامة الخذلان ثلاثة تعسر الطاعة عليك مع السعي فيها ودخول المعاصي عليك مع الهرب منها وغلق باب اللجأ الى الله تعالى وترك الدعاء في جميع الاحوال والادب له مقدار عظيم في التصوف قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي التصوف هو تدريب النفس في العبودية وردها الى أحكام الربوبية وقال ذو النون المصري اذا خرج المريد عن حد الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال السوري من لم يتأدب أوقات فوته مقته والمريدون الذين ارادوا

وقوله كأنها صفة سادسة أي وحاصل المعنى ما أحسن صورة نبي من بهجة مرتدي الحسن معا يطلق الوجه مثل الزهر في اللطافة والنضارة ومثل القمر الكامل في الشرف وهذا راجع الى صورته الشريفة ومثل البحر في الكرم ومثل الدهر في الهم وهذا راجع الى سجيته الكريمة وقد أحسن من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم له راحة لو أن معشار عشرها على البر صار البر أندى من البحر له هم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر كأنه صلى الله عليه وسلم بلالاته في جيش عظيم وفي عباءة وقرايته حين تراه أيها المخاطب منفردا كأن اللؤلؤ المكنون في صدفه كائن من معدنين من معادنه صلى الله عليه وسلم أحدهما معدن كلامه والثاني معدن ابتسامه كما قال البصيري فمن لؤلؤ يبدو عند ابتسامه * ومن لؤلؤ عند الكلام يساقط وقال آخر اذا تكلم صلى الله عليه وسلم رؤي كالنور يخرج من ثناياه قال الشيخ

الوصول لحضرة الله تعالى لهم آداب ظاهرة وآداب باطنة يطالبون بها ويلزمون بالمحافظة عليها وآداب الظاهر تبع لآداب الباطن وآداب الباطن هي التخلي من صفات النفس والتحلي بصفات الكمال وتعلق القلب بحضرة الله فان كان المريدون معذورين بهم فيجبر تضييعهم شيأ من الآداب تعجل لهم العقوبة عقاب من الله بهم ورحمة لهم وغيرة عليهم وان لم يكونوا معذورين بهم اهملوا وهو من أعظم الحرمان قال السري رضي الله عنه صليت العشاء واشتغلت بوردي ليلة من الليالي وعددت رجلي في المحراب فنوديت ياسري هكذا تجالس الملوك فقمت رجلي ثم قلت وعزتك وجلالك لاعددت رجلي أبدا قال الجنيد فبقي السري ستين سنة ماعد رجله ليلا ولا نهارا

﴿ باب الورد والوارد ﴾

وهذا الباب حادي وعشرون ذكر المصنف في هذا الباب اربع عشرة حكمة * الحكمة الاولى * قوله (لايستخف الورد الاجهول) وهو ما يحصل بكسب العبد من عبادة ظاهرة او باطنة وفي أكثر النسخ لايستهتر اي فمن استهتر الورد وتعلق بالكرامات التي هي خوارق للعادات فساهو الامغرور وجهول بحق نفسه وحق ربه فليحترز السالك المبتدي من مجالسته ومن مجالسة الفقراء الذين لايقولون بقيام الليل وصيام النهار ويقولون ان ذلك شأن العباد وأما أرباب الاحوال فتكفيهم الفرائض فمن جالسهم فانه يدخل عليه منهم من الشر أكثر مما يدخل عليه من مجالسة أبناء الدنيا وقد قال الجنيد لرجل ذكر المعرفة فقال ازجل أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله تعالى قال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الاعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا وان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه راجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بي دونها وان عدم النقص منها لا وكد لي في معرفتي واقوى في حالي انه فالخدمة في الظاهر والباطن قدر مشترك بين العباد والزهاد وبين المحبين والعارفين وانما يفترقون في الثبات والقاصد ولا فرق أيضا بين المبتدي والمنتهي في ذلك الا ان من القوم من بانت به المعرفة الى ان صارت حركاته وافعاله كلها عبادات فلم تغير عاداته من عباداته ومن الناس من يفتح له في عمل فيكون هو غالب احواله ويخفى في حق غير العمل الذي فتح له فيه والغالب على العارفين السير بالقلوب فيتوهم من يراهم يقتصرون على الفرائض وعلى يسير النوافل قلة عباداتهم وليس كذلك اذ ليست العبادة عندهم محصورة فيما قابل العادة وهاهنا امر يتأكد التنبيه عليه وهو أن طالب العلم من عالم او متعلم اذا دخل الطريق الى الله تعالى فانه يتأكد عليه المحافظة على الرواتب التي قبل الصلاة وبعدها وعلى قيام الليل وعلى نوافل الصيام ولكن لايترك قراءة العلم لان قراءته من أشرف العبادات قال رجل لاحمد بن حنبل هذا العلم فيه العمل فقال أحمد أما في عمل وقال الشافعي طلب العلم أفضل من النافلة وقال الزهري العالم اذا لم يحل بواجب ولم يقصر في فرض أفضل من العابد والحكمة الثانية * قوله (الوارد) وهو ما يرد على باطن العبد من اللطائف والانوار (يوجد في الدار الآخرة) على حسب الورد (والورد) الذي حصل به الوارد (ينطوي بانطواء هذه الدار) اي ولكن اهتمامك بحصول الاوراد اي الاعمال الصالحة

عبد السلام خاصية هذه الأبيات لعقد اللسان فاذا دخل عند السلطان والأمراء وأكابر الدولة وكررها فانه مقبول عندهم لاطيب يعدل رياضم أعظمه طوبى لمشتق منه وملتثم أي لاشيء مرأنواع الطيب جاثل طيب التراب الذي جمع الجسد الشريف وهو قبره صلى الله عليه وسلم فانظر الكثير كان لشام من ذلك التراب ولتضمخ منه قال ابن مرزوق وأقل ذلك بتغيير جبهته وأنفه بتربة مسجده صلى الله عليه وسلم حال السجود اه فليس المراد بالاستلام تقبيل القبر الشريف فانه مكروه وكذا تقبيل ما يليه من التراب بل يستحب ان تزار قبره الشريف أن يقف بعيدا خارج الحجرة تعظيما له صلى الله عليه وسلم وقال أبو السعود ومدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم سميت طوبى لشرفها به صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يصح أن يكون المعنى أن المدينة الشريفة كائنة لمن كان له ضيق شديد ومصيبة ولو صغيرة وذلك مأخوذ من نشق فلان في حيالك فلان اذا وقع فيها

لايتخلص منه الا ومن ثم اختلف
الجمارة أى حكمته كما فى
الاساس ويمكن أن يجعل
المستشفى كناية عن الازار
له صلى الله عليه وسلم
والملثم كناية عن المجاور
فى المدينة الشريفة كما قال
السيد محمد كبريت المدنى
من بحر المتقارب
هنيئا لمن زار خير الورى ٭ وحط عن النفس أوزارها
فان السعادة مضمونة ٭ لمن حل طيبة أو زارها
أبان مولده عن طيب عنصره ٭
يا طيب مبتدأ منه ومختتم
وفى بعض النسخ مشتمل
بدل مبتدأ قوله يا طيب فيا
حرف نداء والمنادى محذوف
مفعول لفعل محذوف
والتقدير يا قوم أو يا الناس
أنظروا طيب الخ والضمير
فى قوله منه راجع للعنصر
والنبى صلى الله عليه وسلم
مولده فاعل أبان لكن
على حذف مضاف أى
آيات مولده والمعنى أظهر
الأمور الخارقة للعادة فى
زمن ولادته ومكانها عن
خلوص اصله صلى الله عليه
وسلم وهم آباؤه الذين تناسل
هو منهم عالا يليق فى النسب
بأبيها العقلاء استحضروا

٧ قوله فى الهامش ومن ثم
اختلف الخ لم يظهر لنا معنى
قلبنا مل اه مصححه

لسببين اولهما ان الاوراد تنقضى بانقضاء العمر غالبا اما الواردات وهى الانوار فانها توجد
فى الدنيا والآخرة ووجودها فى الآخرة أكثر (واولى مايعتنى به مالا يختلف وجوده) اى
وأليق مايجتهد فى تحصيله مالا يمكن تداركه اذا فاتك أيامه وثانيهما أنه (الوارد هو) تعالى
(طالبه منك) لانه حق العبودية فهو حق لله منك (والوارد أنت تطلبه منه) تعالى لانه
حظ نفسك فهو حق منه تعالى (واين ماهو طالبه منك وجوبا او ندبا مما هو مطلبك منه)
فانه تعالى طالبه أعظم والاعتناء به اولى ولا يليق بالعبد أن يطلب منه تعالى غير ماهو
طالبه لان قيامك بحقوقه تعالى عليك اليق بالعبودية من وقوفك مع حظوظك ٭ والحكمة
الثالثة ٭ قوله (اذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الاوراد وأدامه عليها مع طول
الامداد فلا تستحقرن ماقصد مولاه لانك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين قلولا
وارد ما كان ورد) اذا رأيت عبدا جعله الله قائما بالعبادات وجعله مدا وما عليها مع توالى
الامداد عليه بالتيسير فى طول الزمان فذلك مدد جدد الهى ذو حظ عظيم وهو امام المقربين وهم
الذين اخذوا عن شهواتهم وارادتهم واستعملوا فى القيام بحقوق ربهم عبوديته وطلب رضاه
وامام الابرار هم الذين اقيموا فى الطاعات ليحوزوا عليها برفيع الدرجات فى الجنات
ويقوا مع شهواتهم وارادتهم فانهم يقيمون بعبادة ربهم طمعا فى جنته وهربا من ناره واذا
كان الامر كذلك فلا تستحقرن ماأعطاه مولاه فان ادنى الحظ من ملك الملوك عظيم لاجل
كونك لم تر عليه علامة العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الشهوات بين يدى المختار
المريد لم تر عليه حسن المحبين من الحب بمرضاة محبوبهم وهو الله تعالى فان من أهل الحضرة
من اقيم للخدمة والمجاهدة وشأن ذلك الخشونة لانه لو لا وارد من الله تعالى أتاه عليه ما
وجد ورد وما استقام على قيام ولم يخرج عن دائرة عبانه وهو من العابدين والزاهدين فظهر
ان قوله لانك تعليل للنهى وهو الاحتقار وقوله فلو لا تعليل لما نهى عنه ٭ والحكمة الرابعة ٭ قوله
(ورود الامداد بحسب الاستعداد وشروق الانوار على حسب صفاء الاسرار) اى حصول
الانوار للعبد من الرب الجواد بحسب الاستعداد المجعول فيه بتطهير قلبه فاذا تلبس الظاهر
بأعمال البر أضاءت بسبب ذلك انوار فى الباطن فتطلع الانوار الغيبية السرمدية على حسب
نقاوة القلوب وخلوه من زاحم الصور ولا تصفو الاسرار الا بقدر السلامة من الاكدار فى ترك
التدبير والاختيار بين يدى الرب المختار ولا تطهر القلوب من صور الاغيار غالبا الا بادامة
الاوراد وملازمة الاذكار ٭ والحكمة الخامسة ٭ قوله (تنوعت أجناس الاعمال لتنوع
واردات الاحوال) اى اختلفت الاعمال الظاهرة لاختلاف الواردات على القلب وهى
الاحوال الباطنة من تفكر وزهد وذم للدنيا واسرار روحانية ومعارف ربانية وهى توجب
للقلوب أحوالا حميدة فمنها وارد يوجب هيبة ومنها وارد يوجب أنسا ومنها وارد يوجب قبضا
ومنها وارد يوجب بسطا الى غير ذلك فتنوع اعمال الجوارح على العاملين فرع الاعمال
القلبية لانها ناشئة عنها تابعة لها وفى هذا تفصيل لاعمال القلوب وفيه ايضا تعليم الكيفية التوصل
الى أعمال الجوارح وبيان لما يسهلها فان من سعى فى اصلاح باطنه اولا سهل عليه انقياد
جوارحه للاعمال ٭ والحكمة السادسة ٭ قوله (حسن الاعمال) وهو توفيتها بما يجب لها

من شروط وآداب لأجل العبودية لله تعالى لا لطلب حظ عاجل وثواب آجل (نتائج حسن الاحوال) وهو سلامتها من العلل والدعاوى وعليها علامة الصدق (وحسن الاحوال من التحقق فى مقامات الانزال) فالتمكن فيها هو ارتواء القلب بما ينزله الله تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفى عنه كل شك لان للعلم مقامات أنزله الله فيها فاذا أنزل فى قلب عبده ذلك الدنيا مثلا نشأ عن ذلك حال وهو بغض الدنيا ينشأ عن ذلك عمل لوجه الله تعالى فعلم ان مقامات الانزال هى من الشرع فمن ادعاها وهو جاهل بما يأتيه الشرع فهو كذاب وان حسن الاعمال وحسن الاحوال والتمكن فى مقامات الانزال مرتب بعضها على بعض كما قال ابو حامد رضى الله عنه لابد فى كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل اه فالاعراض عن الدنيا وتجنبها الرغبة فى القرب الى الله تعالى هو الزهد وزوال الحرص عليها من القلب وبرد تهامته هو الحال واستقرار العلم بخساستها وفنائها هو التمكن فى العلم فالزهد لا يتوقف على تجنب المال بالكلية بل على تساوى وجوده وفقده لتنقية الله تعالى ثم ان الزهد على ثلاثة أوجه الاول ترك الحرام وهو زهد العوام والثانى ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث ترك ما يشغل عن الله تعالى وهو زهد العارفين * والحكمة السابعة * قوله (انما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا) اى انما ادخل الله فى قلبك المعارف الربانية لتكون بها مقبلا على الدخول فى حضرته تعالى فالوارد مطية السير الى الحضرة الربانية وذلك بالتعلق بالله تعالى والتوجه اليه وبذلك تتبدل الاخلاق المذمومة بالمحمودة فحينئذ تكون واردا على مولاك بأن تشتغل بعبادته وحسن مراقبته ثم بين المصنف بقية ثمرات الواردات الالهية بقوله (أورد عليك الوارد ليسبك من يد الاغيار ويحررك من رق الآثار) اى ساق الله اليك الوارد لياخذك قهرا من يد الشهوات النفسية والعادات الرديئة وليعتقك من رق الآثار اى لتكون لا تكون وارد اعليه تعالى الا اذا أخذك من الشهوات وصحبة الاغيار فانه اذا ورد عليك الوارد الرحمانى او الوارد الملكى نفرت من شهواتك وصحبة الاغيار وصرت تتألم باذكر بعد التأنس به وأيضا لا تكون وارد اعليه تعالى الا اذا خلصك من رق الآثار اى من الاشتغال بالاغراض الدنيوية فانك اذا اشتغلت بها كنت مملوكا لها ومن خلص منها لا يكون لقلوق فيه نصيب ويكون منقادا لله تعالى صاحيا للحضور معه لانه لا مالك له سواه تعالى لانه قد صارت الاغيار تابعة محكومة له لا متبوعة حاكمة عليه وبذلك تحصل الراحة الابدية (أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك الى فضاء شهودك) اى ليخرجك من وجودك الشبيه بالسجن الى شهودك لله تعالى الشبيه بالفضاء فى السعة فشهودك لنفسك ومراعاتك لمرادها سجن وغيبتك عن ذلك وعن رؤية قيام حركاتك وسكناتك بشهودك عظمة الله تعالى وباعتمادك عليه ورد الامر اليه فضاء وذلك ان الروح من عالم الملكوت والقلب دراكة تنزلت الى عالم الملك والشهادة وحلت فى ظروف الاجسام فمن اشتغل بما يصلحها من ذكر وفكر غلبت روحانيته وخرج من السجن ومن اشتغل بلذات الجسم كان ذلك سجنا لروحه ومنعا لها عن الادراك * والحكمة الثامنة * قوله (فما تكون الواردات الالهية الا بغتة) قوله فما الخ وما كافة قل عن طلب الفاعل والواردات الالهية هدايا من الله تعالى

عقولكم وانظروا غريب مبادئه صلى الله عليه وسلم وتفكروا فى عجائب نهايته والمراد بالفتح سيدنا آدم عليه السلام وبالختم سيدنا عبد الله وهما اسما مفعول ويجوز أن يراد بالفتح والختم جميع مدة عمره صلى الله عليه وسلم من باب ذكر طرفى الشئ وارادة جميعه وقد يراد بالفتح أحوال دنياه وبالختم أحوال آخرته وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما أدرك عبد المطلب الوفاة بعث الى أبى طالب فضمه الى صدره وهو فى سكرات الموت فصار يبكى ويلتفت الى أبى طالب ويقول يا أبا طالب أنظر أن تكون حافظا لهذا الوحيد الذى لم يشم رائحة أبيه ولا شفقة أمه أنظر أن يكون من جسدك بمنزلة كبدك فانى أوصيتك به لانك من أم أبيه يا أبا طالب ان أدركت أيامه فاعلم أنى كنت من أبصر الناس به فان استطعت أن تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك وماتملك فانه سيسود ويملك عالم ما لكه أحد من آبائى يا أبا طالب هل قبلت وصيتى قال نعم والله على ذلك شاهد

وكرامات يكرم الله بها عباده ولا ينالها العبد بتحصيل واكتساب فلا تأتي في الغالب الا بغتة (صيانة لها أن يدعيها العباد بوجود الاستعداد) فالعباد اما بضم العين فالباء في قوله بوجود سببية والمعنى انما تأتي الواردات الربانية فجاءة لصيانتها عن ان يدعيها العابدون انهم أهل لها بسبب اجتهادهم في العبادات واما بكسر العين فالباء بمعنى عند وفي بعض النسخ للا يدعيها والمعنى فتأتي الواردات الا بغتة للا يرى العباد أنها تأتي عند تهيئهم وعدا الله منزهة عن أن تقابل بأعمال بل هي محض كرم تعالى اذ لا تكتسب فعلى العبد صدق التوجه وكثرة اللجأ الى الله تعالى ، والحكمة التاسعة ، قوله (لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته فان ذلك مما يثقل عليها في قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه) أي لا يليق للسائر الى الله أن يعبر عن العلوم الوهبية اختيارا منه ولا يطلع عليها أحدا الا لضرورة بل يخفيها ويصونها لان ذلك التعبير مما يثقل تأثر القلب بها ويمنع القلب عن وجود الصدق مع ربه اذ الا يخلو التعبير عن الاسرار التوحيدية عن شهوة نفسانية لان النفس تجد عند التعبير عنها لذة وانشراحا وذلك يقوي صفاتها فتقوة صفاتها مما يمنعها من وجود الصدق مع ربها قال ذو النون لا يحبه تعالى من أشهر نفسه بحبه فعلامة الصدق المحبة الخذر من اظهارها خشية السلب والاستبدال ورفعها عن النفس وسترها عن ابناء الجنس وترك التظاهر بها علامة الظفر بها لان المحبوب غيور فاذا ظهرت العلامة القهرية فلا ضرر حينئذ في التعبير وهذا في المحبة الخاصة وهي الميل الى الشيء بالكلية وايثاره على النفس والمال والروح اما مطلق المحبة فلا بأس باظهارها كما قال صلى الله عليه وسلم اذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه قالوا ليستميل بذلك قلبه فيحبه هو ايضا فيحصل الائتلاف المطلوب بين المؤمنين على أنه صلى الله عليه وسلم انما امر باظهار ذلك لخصوص المحبوب ولم يأمر بالاشهار والافشاء ، والحكمة العاشرة ، قوله (الحقائق) أي حقائق العلوم اللدنية التي تقذف في قلوب العارفين عند رياضتهم من الدعوى اكراما من الله لهم من غير تعمل (ترد في حال التجلي) أي في وقت تجلي الله على قلوبهم (مجملة) ثم اذا تأملوها بانت لهم تفاصيلها ووجدوها موافقة الكتاب والسنة ان سبق لهم تعلم والا رجعوا الى تعلمها في سلوكهم ولا منافاة بين اثبات العلوم الوهبية وبين قوله صلى الله عليه وسلم انا العلم بالتعلم وذلك انهم لا يعتمدونها الا اذا تحقق موافقتها الكتاب والسنة كما قال بعض شيوخهم انه تقع النكتة في قلبي من علوم القوم فلا أقبلها الا بشاهدين عدلين كلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر الدقاق كنت في تيه بني اسرائيل فوقع في قلبي ان هذه الطيفة تخلاف علم الشريعة فاذا شخص تحت شجرة أم فيلان صاحبي وقال يا أبا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة فهي كفر (وبعد الوعي يكون البيان) أي وبعد الحفظ يزول ذلك التجلي يكون بيان المعنى فيؤخذ من الكلمة الواحدة المعنى وهذا مستفاد من قوله تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه) أي فاذا قرأنا القرآن عليك على لسان جبريل فاستمع لقراءته ثم اقرأه بعد ذلك ثم ان علينا بيان ما أشكل عليك من معانيه بالتفهيم لك والمراد هنا فاذا ألقينا على قلبك أيها العبد السالك في هذا الطريق من الحقائق اللدنية والعلوم الالهامية مجملا فلا تعجل في الوصول الى بيانه والاطلاع على تفصيله واصدق في

قال عبد المطلب قد بدا لك الى عبده فابعه على ذلك ثم قال الآن خفف علي الموت ثم ارتزل بغنائه ويقول أشهد أني لم أقبل أحدا من ولدي أطيب ريحا منك ولا أحسن وجها منك ومات عبد المطلب وهو صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين يوم فرس فيه الفرس أنهم لما تذروا يحلون البؤس والنعم

قوله يوم بدل من مولده بمعنى زمن الولادة وهو أحسن من جعله خبر مبتدأ محذوف وقوله فيه متعلق بفرس وفي بمعنى من وأنهم بفتح الهمزة وأن مع اسمها وخبرها مفعول بفرس والمعنى زمن ولادته صلى الله عليه وسلم وقت تخطن من ظهور الامور الخارقة للعادة في ذلك الوقت أهل مملكة فارس أنهم قد أخبرهم عرافوهم وكهانهم بنزول الشدة الوثيقة في القلوب حزنا بنزول العقوبة عليهم من خراب ملكهم وتشتيت امورهم وتفريق قبائلهم على يد رسول الله وأصحابه روى أن سلطان الفارسي ينتظر ظهور سيد الاولين والآخرين مدة أربعمائة

الاتجاه اليها الآن عاينا أن بين ذات ابهامه وتفصل لك اجمالا * والحكمة الحادية عشر * قوله (متى وردت الواردات الآلهية اليك هدمت العوائد عليك) أي متى وردت التجليات الآلهية على قلبك المشحون بالرذائل أزالت عاداته المستمرة عليك وأثبتت بدلها أحوالا علية وأوصافا مرضية ودليل ازالة تلك الأحوال العادات المستمرة قوله تعالى (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) والمعنى الاشارى كانت القلوب مملوكة للشهوات النفسانية فاذا وردت عليها الواردات الآلهية التي هي ملوك المعالي أفسدت مملكة تلك الشهوات وأزالت آثار ملكها فغيرت أحوال القلوب عما هي عليها وقلبوا عاداتها * والحكمة الثانية عشر * قوله (الوارد يأتي من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصادم شيئا الا دمغه) اى الوارد واسمى الحال والتجلي يأتي من حضرة ملك قهار وما جاء من حضرته بذاته يكون متصفا بالقهر والغلبة كعبد الملك المتوجه بأمره فلأجل ذلك لا يقابله شيء من رعونات البشرية الا أهلكه وعدم انفعال الطبائع عديدا اذا لم تقابلها الواردات الربانية فاذا قابلتها اذهبتها فبصير البخيل كريما والحريص زاهدا والكسلان مجدا والجهول حليما الى غير ذلك قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) أي بل نرمي بالايمان على الكفر فيذهبه فاذا الكفر ذاهب * والحكمة الثالثة عشر * قوله (لا تركن الى وارد الا تعرف ثمرته فليس المراد من الصحابة الامطار وانما المراد منها وجود الاثمار) أي اذا ورد عليك وارد آلهي بالعزلة عن الناس مثلا فلا تذعن له في سرك ولا تفرح به الا اذا عرفت ثمرته بأن لزم على العزلة الاشتغال بالعبادة لا النوم والبطالة ولزم أيضا تبدل صفات القلب المذمومة بصفات محمودة لان المراد من الوارد ثمرته وهي تأثر القلب به لا وجود حظ النفس كما أن المراد من الصحابة وجود الاثمار لا مجرد وجود الامطار فكن على حذر من الوارد فان في مدحه والفرح به نوع اضرار * والحكمة الرابعة عشر * قوله (لا تطلبن بقاء الواردات) أي الاحوال القلبية (بعد ان بسطت انوارها) في عالم القلوب فلا حت على من وردت عليه (وأودعت اسرارها) في قلبه وهي ملاح فيه من عظمة ربوبية وهذا في الحقيقة نهي عن اشغال الواردات والوقوف معها فتصير حجابا في حقه والمقصود هو الله تعالى (الله في الله غنى عن كل شيء) فلا تأسف على فقد شيء اذا وجدت الله تعالى فكيف يتأسف على فقد شيء من عنده مالك كل شيء (وليس يغنيك عنه شيء) فاذا اكتفيت به تعالى أغناك وان تعلقت بغيره تعالى وكلك اليه وخذلك ولقد أحسن من قال من بحر البسيط

لكل شيء اذا فارقته عوض * وليس لله ان فارقت من عوض

﴿ باب تفاوت مراتب السالكين مبتدئا ومنتهيا ﴾

وهذا الباب الثاني والعشرون ذكر المصنف فيه ثلاث عشر حكمة * الحكمة الاولى * قوله (قوم اقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم لمحبته ومعرفته) أي طائفة من أهل هداية أقامهم الله تعالى لوجود خدمته بطاعته الظاهرية حتى صلحوا لجنته وهم العباد والزهاد وأهل الاعمال والاوراد وطائفة من أهل عناية اختصهم الله تعالى لمحبته ومعرفته حتى تقدموا لقربه والدخول في حضرته وهم العارفون والعلماء وأهل الوداد واتباع المراد وكلهم في طاعته

سنة حتى بشر بولادته فلما أيقن بالفرج خرج يريد تهامة فأسر في الطريق فلم يزل ينتقل من عالم الى عالم من اليهود ومن قصة الى قصة ويبحث على الأسرار ويستدل بالأخبار فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفيها أسلم على يديه صلى الله عليه وسلم وظفر بمراده

وبات ايوان كسرى وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

قوله وهو منصدع في موضع الحال من ايوان قوله كشمل في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف وقوله غير ملتئم خبر بات أي وصار ايوان ملك الفرس أي نوشروان في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم غير ملتئم والحال أنه منشق انشقاقا بينا مثل انشقاق حال أصحاب ملك الفرس حتى سقط من ذلك الايوان أربع عشرة شرافة من شرافاته وكانت اثنين وعشرين وقد كانت حالهم في الأصل مجتمعة متفقة مع كثرة الجيوش ثم لم يزالوا في تفرق ونشتت حتى جاءت بشائر الاسلام

لان مقام العبادة بداية ومقام المحبة هداية ومقام المعرفة عناية والكل مستفادون من فضله تعالى قال تعالى (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) وهؤلاء بدل من كلا اى نعطى كلا من الفريقين هؤلاء اهل الخدمة وهؤلاء اهل المحبة من عطاء ربك فى الدنيا وما كان عطاء ربك ممنوعا على أحد او محصورا فى نوع او صفة يعطى من شاء ماشاء بلا حجر ويمنع من شاء عن ماشاء بلا علة فالكل منه واليه فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك من الاعتراض وسلم الامر لمن له التدبير والاختيار * والحكمة الثانية * قوله (ليس كل من ثبت تخصيصه كل تخليصه) أى كل من ثبت تخصيصه بالعلوم والاعمال والاحوال والكرامات كل تخليصه عن رؤية الاغيار اى فى الناس من يوقفه الله عن بلوغ ذروة الكمال وهؤلاء عامة المقربين العباد والزهاد وأهل المجاهدة والاوراد يحتهم القيام بوظائف العبادات وما تخلصوا من رؤية أنفسهم بل هم ما كنون الى الاسباب لكن قد يخصهم الله تعالى باظهار الكرامات على أيديهم تسكينا لانفسهم وتثبيتا لليقين فى قلوبهم ومنهم من تخلق بالعرفان وتخلص عن رؤية الاكوان وهؤلاء خواص المقربين أهل العلم بالله والحب له لكن قد يخصهم الله تعالى من الكرامات لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه من رسوخ اليقين حتى أن رجلا بالبصرة يقال له الصلتان أحد كان من أبناء الدنيا فخرج من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال يوما لسهل يا أبا محمد ان نفسى هذه بست تترك الصباح والصراخ من خوف فوت القوت والقوام بفتح القاف اى ما يعاش به فقال له سهل خذ ذلك أجر وسل ربك أن يصيره لك طعاما تأكله فقال له ومن امامى فى ذلك حتى أفعل قال امامك ابراهيم عليه السلام حيث قال رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اى ان الناس لا تطمئن الا برؤية العيان من جبلتها الشك وكان رجل يصحب سهل بن عبد الله رضى الله عنه فقال له يوما ربما أتوضأ للصلاة فيسبق الماء من بين يدى قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل أما علمت ان الصبيان اذا بكوا اعطوا خشخاشة ليشتغلوا بها * والحكمة الثالثة * قوله (ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة) اى ربما رزق الكرامة بخرق العوائد غير كامل الاستقامة فلا تغتر بها وعليك بالتحقق بأوصاف العبودية اه والكرامة الحقيقية التى هى حصول الاستقامة والوصول الى كمالها ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله تعالى واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد أن لا يحرص الا عليهما ولا تكون له همة الا فى الوصول اليهما وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين اذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة ومن أعطى كرامة الايمان وكرامة العمل ثم يشتاق الى غيرهما فهو عبد مغتر كذاب ليس ذا حظ فى العلم والعمل بالصواب لكن أكرم بشهود ذلك على ذات الرضا الجميل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور وناقص وقال وقال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه ليس الشان من تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلدان انما الشان من تطوى عنه أوصاف نفسه فاذا هو عند ربه * والحكمة الرابعة قوله (الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون الستر من الله فيها)

والنار خامدة الا تفاضى من أسف *
عليه والنهر ساهى العين من سدم
قوله والنار بالرفع معطوف على ايوان وخامدة بالنصب معطوف على غير ملتئم وكذا يقال فى قوله والنهر ساهى العين على لغة من أعرب المقصور نصبا كاعرابه رفعا وجرا حينئذ يكون العطف من عطف المفردات ويجوز رفع الجزءين على الابتداء والخبر فيكون العطف حينئذ من عطف الجمل لان هذه الجملة معطوفة على جملة قوله وبات ايوان كسرى وهو عطف جملة اسمية على جملة فعلية وقيل هذه الجملة معطوفة على قوله وهو متصدع فتكون الجملة حالا من ايوان أيضا اه وعلى هذا يتعين رفع الجزأين والمعنى وصارت نار الفرس التى كانوا يعبدونها منطفئة الهب فى تلك الليلة من شدة الحزن على انصداع الايوان أو من أجل غضب على النبى صلى الله عليه وسلم لان ولادته صلى الله عليه وسلم سبب فى ترك عبادتها ولم تخمد تلك النار قبل تلك الليلة

أي في حال كونهم عاملين بالمعصية للاراهم الخلق (خشية سقوط من نظرهم عند الخلق) لحبهم تحصيل شهواتهم وفي أمثالهم قال الله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم (والخاصة) من أهل الايمان واليقين (يطلبون الستر عنها) أي يطلبون من الله ستر المعصية عنهم حتى لا تخطر لهم ببال فان خطورها منقص لجليل الاحوال وان لم يعمل به لان هذا الخاطر لابد وان يؤثر شيأ من ظلمة القلب وان لم يعاقب عليه فهم يطلبون ذلك (خشية سقوطهم من نظر الملك الحق) وقد يكون الستر في المعصية من أحوال الخاصة لانه قد يقع منهم الذنب ويطلبون الستر امتثالا لأمر الله ورسوله وتخلصا من الذم اللاحق للمجاهرين زيادة على اثم المعصية * والحكمة الخامسة * قوله (ورب ساعير عن المقام من استشرف عليه) أي رب ساعير مقاما من مقامات اليقين كمقام الزهد ومقام الورع ومقام التوكل الى غير ذلك من المطلع عليه وقارب الوصول اليه ولم يتقدم اليه الا الآن ولكن لا يخلو تعبيره عن اجمال لا يستطيع بيانه ولا يقدر على حل اشكال رده عليه فلا يجري ذلك في كلية المخاطب ولا يكمل تمكن الحقيقة منه ولا يتم انفعال عوالم الباطنة (وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة) أي ما ذكر من الخالين مشتبه لا يميز الفرق بين العبارتين الا ذو معرفة فلا يخفى عليه ذلك لانه يرى في الكلام صورة المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال أو نقص وعلامة الاول أن يجد الفرح والاستبشار عند التعبير بخلاف الثاني فانه يتكلم فيه كعادته في كلامه بغيره * والحكمة السادسة * قوله (قوم تسبق أنوارهم أذكارهم) أي قوم مرادون مجذوبون تسبق أنوارهم أذكارهم فالذكر طبيعة لهم وهو غذاؤهم فهؤلاء جاءتهم عناية الله من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته من يشاء ولا تظن أن المجذوب لا طريق له فان المجذوب طويت الطريق له كن طويت له الطريق الى مكة (وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم) أي وقوم مريدون سالكون تسبق اذكارهم أنوارهم لان شأنهم المجاهدة فهم يأتون بالاذكار في حال تكلف منهم ليحصل لهم بذلك زوائد الأنوار والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن كان مبدؤه المعاملة منتهاه المواصلة ومن كان مبدؤه المواصلة رد الى وجود المعاملة (وذاكر ذكر ليستنير قلبه) أي ذاكر سائل الى الله ذاكر الله بتكلف ومشوب بالاعمال الظاهرة ليستنير قلبه فجاء ذكره علة في نوره وهذا لفقد النور السابق بالكلية والا لما أمكن منه الذكر ما تم والا التجلي له لم يكن التحلي والتخلي وكل من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وانما فقد النور الذي يملأ القلب ويستغرقه ويطهره من أدناس الغفلات وفي نسخة فاستنار (وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا) أي وذاكر مجذوب بعد أن استنار قلبه فجاء ذكره فكان ذاكرا على نور ربه بلا تكلف فالذكر له كالنفس الطبيعي بل أسهل وأمكن لانه مزوج بحلاوة عظيمة لانه ناشئ عن النور الصادر من كشوفات صفات الجلال والجمال لروحه * والحكمة السابعة * قوله (دل بوجود آثاره على وجود أسمائه) أي دل الله

بألف عام وصار نهر الفرات الذي كان عادهم ساكنا العزن على كسرى وصاحبه أن غاصت بحيرتهاه ورد واردها بالغيظ حين ظمي

قوله ورد معطوف على مدخول أن وهو الفاعل قوله غاصت بضاد معجمة أو بصاد مهملة وقوله بالغيظ بالمثالثة وروى بالضاد المعجمة والمعنى وأحزن أهل مساوة مدينة في طريق همذان أمران أحدهما ذهاب ماء بحيرة بركة عظيمة تسير فيها السفن البلاد التي على ساحلها وكان طولها ستة أميال وعرضها مثل ذلك والثاني رجوع الذي يأتي الى البحيرة ليستقي منها مع شدة الغضب أو بسبب ذهاب الماء حين عطش كأن بالنار ما بالماء من بلل * حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم كأن حرف تشبيه ينصب الاسم ويرفع الخبر فبالنار خبرها مقدم وما موصول اسمها مؤخر وبالماء صلتها متعلق بفعل محذوف ومن بلل بيان لما متعلق بحال محذوف من ما لا الصلة وقوله وبالماء خبر كأن محذوفة وما اسمها

السالكين بوجود آثاره على وجود أسمائه فجعل الاسماء من وراء حجاب الآثار التي هي المكونات فيقولون ما رأينا شيأ الا ورأينا الله بعده (وبوجود اسمائه على ثبوت أوصافه وبوجود اوصافه على وجود ذاته) مأول مايظهر للسالكين الآثار وهي الافعال فيستدلون بها على الاسماء لان الآثار مظاهر الاسماء اذ لا يصدر ذلك الامن قادر مريد عالم ويستدلون بالاسماء على الصفات من القدرة والارادة والعلم فان المؤثر لابد له من صفات يؤثر بها ويعلم بالآثار ويستدلون بالصفات على وجود الذات فكان حالهم الترقي من أسفل الى أعلى (اذ محال أن يقوم الوصف بنفسه) أي فدلالة الصفات على وجود الذات من هذه الطريق لا أن هناك رؤية ونظرا وكل ما تسمعه من لفظ الشهود والمشاهدة والتجلي فالمراد قوة العلم وكثرة المعرفة وفيضان بحر العظمة على القلب وشتان بين المعرفة القوية والضعيفة فان القوية بالنسبة الى دونها كالعيان (فأرباب الجذب يكشف لهم أولا عن كمال ذاته) فيدركون الذات الكاملة عيانا ادراك ذوق ملزمين للشريعة (ثم يردهم الى شهود صفاته) بان يشاهدوا ارتباطها بالذات ويظهر لقلوبهم من جلال ما يذهل العقول (ثم يرجعهم الى التعلق بأسمائه) بأن تسري فيهم حقيقة المعرفة بالصفات ويشاهدوا تعلقها بالآثار (ثم يردهم الى شهود آثاره) أي صدورها عن الاسماء فيسري لهم كل اسم ظهور نسبة في الوجود فيتقلبون في آثار رحمة متنوعة وجودهم متعددة ويقولون ما رأينا شيئا الا ورأينا الله قبله فحالهم التدلي من أعلى الى أسفل (والسالكون على عكس هذا) من شهود المصنوعات أولا (فنهاية السالكين) وهي الكشف عن الذات الكاملة (بداية المجذوبين وبداية السالكين) وهي التعلق بالآثار وشهود استنادها الى الله تعالى (نهاية المجذوبين لكن لا يعني واحد) فان مراد السالكين شهود الاشياء لله ومراد المجذوبين شهود الاشياء بالله (فربما التقيا) أي الفريقان (في الطريق) أي في مرتبة من منازلها كشهود الصفات (هذا) أي المجذوب (في تدليه) من الله تعالى الى الخلق (وهذا) أي السالك (في ترقيه) من الخلق الى الخالق وهما في حال التقاء هما سواء في الشهود فان التقيا في الصفات متلاقيا في الصفات المشهودة سواء لكن شهود المجذوب أكمل لانه محجوب بكمال النور وتحقيق الفرق بينهما ان السالك محب والمجذوب محبوب والسالك مريد والمجذوب مراد والسالك طالب والمجذوب مطلوب * والحكمة الثامنة * قوله (شتان بين من يستدل به ويستدل عليه) وهذه النسخة التي بالواو هي الصحيحة لان بين لا تضاف الا لمتعدد وفي بعض النسخ بالفهو بمعنى الواو أي بعد بين من يستدل بالله على الكائنات وهو الواصل المنتهي ومن يستدل على الله بها وهو السائر المبتدي وبيان الاستدلال بالله على الآثار انا اذا قلنا رأينا الحكيم الذي صنع كذا وكذا كان علمنا متوجها أولا وبالذات الى الصانع وثانيا وبالعرض الى المصنوع على طريق الانتقال للذهول عنه لتوجه القلب بالكلية الى الحكيم بخلاف ما اذا قلنا رأينا ما صنعه الحكيم فان رأى الحكيم وتوجه قلبه اليه يصير كالغريق لا احساس له بشيء سوى ما هو مستغرق فيه (المستدل به عرف الحق لأهله) أي ان المستدل بالله على غيره عرف الوجود الواجب الذاتي لله تعالى فاثبت الوجود الالهي تعالى (واثبت الامر من وجود أصله) أي واثبت وجود الحوادث من وجود

وبالنار صلتها ومن ضرم بيان لما والمعنى كان الذي بالبصيرة الذي غاض في تلك الليلة من بلل حاصل في نار فارس المعبودة لاجل حزنها وكان الذي بنار فارس من الالتهاب حاصل في ماء بحيرة ساوة لحزنه أيضا فان ما في كل من نار فارس وماء بحيرة ساوة انتقل الآخر من الحزن والمعنى بان تغير ازمان وحدوث الحدثان وطلوع كواكب السعود المؤمنين وأفول نجوم المشركين وتبدل أحوال الفريقين من المؤمنين والكافرين بأن ما كان لنار الشرك من الحرارة والارتفاع انتقل الى أهل الدين الذي كانوا في النفع واللين كالماء الجاري على وجه الارض واللين تهتف والانوار ساطعة *

والحق يظهر من معنى ومن كلم

أي وصارت الجن أولاد ابليس تصوت في تلك الليلة على الجبال وفي بطون الأودية والأنوار التي خرجت معه صلى الله عليه وسلم عند ولادته لامعة وأمره ينظهر من الانوار

المؤثر الحقيق الذي وجوده أصلي أي فمن المجذوبين من يستدل به تعالى على الآثار لعدم مشاهدة غيره للفناء والغيبوبة في مشاهدة جماله وكمالاته فاذا أفاق من ذلك استدل به على الآثار ومنهم من لا يفيق وهو المجذوب المستغرق في جلال الله فهو لا يحس بشيء (والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه) أي ان الاستدلال على الله بالآثار وهو ما عليه علماء الظاهر من عدم الوصول الى الله تعالى وهم محجوبون من معرفة الذوق والوجدان ولا يكون الوصول الا بالفناء عن جميع المكونات (والافلي غاب حتى يستدل عليه) أي وان لم نقل ان الاستدلال على الله بالشيء من عدم الوصول فلا يصح لانه متى غاب عن المشاهدة حتى يستدل على الله بشيء حاضر لولاه تعالى لما ظهر ذلك الشيء (ومتى بعد حتى تكون الآثار) أي المصنوعات القريبة (هي التي توصل اليه) ومتى فقد حتى تكون الآثار الموجودة هي التي تدل عليه * والحكمة التاسعة * قوله (لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن قتر عليه رزقه السائرون اليه) والمعنى الاشاري لا التفسيري أي الواصلون الذين أدركتهم العناية وافاقوا من الاستغراق في الجمال وكانوا على بساط المعرفة بالذوق والوجدان يوسع الله عليهم في ذوقهم لان نظرهم في الكائنات كلها انما هو لما يظهر لذاتها ولا لحظوظ النفس فيها بل ينظرون فيستفيدون من كل ذرة ما لا يحصى من العلوم لنور بصائرهم وتكشف لهم أسرار الموجودات فهؤلاء وسع الله أرزاقهم من المعارف بخلاف المحجوبين فان رزقهم ضيق لضعف ما عندهم من النور فهم ينظرون في الكائنات لذاتها ولحظوظها التي فيها وان حصل لهم شيء من الحكم فهو أقل قليل أي ان الواصلين الى الله تعالى لما خرجوا من رؤية سجن الاغيار الى فضاء التوحيد اتسعت مسافة نظرهم وأفيض عليهم أسرار الهية فصاروا يمدون الغير ويتصرفون في عوالمهم الباطنة كيف شاؤا والسائرون اليه تعالى مضيق عليهم في أرزاق الفهوم محجوبون في مضيق الخيالات يتقوتون من الرزق الضيق على غيرهم ويتصرفون في عوالمهم على قدر ما أعطاهم الله تعالى * والحكمة العاشرة * قوله (اهتدى الراحلون اليه بأنوار التوجه) أي اهتدى السالكون الذين لم يصلوا الى الله بأعمال القلوب والجوارح من العبادات والمجاهدات فان الطاعات كلها أنوار (والواصلون لهم أنوار الواجهة) أي الانوار التي أفيضت عليهم من تعرف وتقرب وتودد أي لانهم دخلوا الحضرة التي فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ويفيض عليهم رب الحضرة من أنواره ولا يحتاجون الى أن يتكلفوا أنوارا لانفسهم ورب هذه الحضرة أغنى الاغنياء وأقوى الاقوياء وأكرم الكرماء (فالاولون للانوار) اي فالسالكون ملاحقون للانوار مهتدون بالانوار المكتسبة يتكلفون الانوار للانفسهم (وهؤلاء الانوار لهم) اي والواصلون الانوار حاصلة لهم من غير تعب لاستغراقهم في أنوار الواجهة (لانهم لله لا لشيء دونه) فلا التفات لهم الى سوى الله تعالى في فقد ولا وجدان ولا طاعة ولا عصيان قال تعالى (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) والمعنى التفسيري قل يا أشرف الخلق الله هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ثم اتركهم يتشاغلون بباطلهم الذي لا حقيقة له والمعنى الاشاري توحد الله مفردا له بالتوحيد ولا تمل الى أنوار ولا لغيرها فافراد التوحيد بعدم ملاحظة غير الله هو حق اليقين ورؤية

ومن هواتف الجن في هذا الكلام لف ونشر مشوش وبقال والجن تصيح مما حصل لهم من الحزن ويتكلمون مع أوليائهم فيما أصابهم من الشؤم والانوار التي ظهرت وقت ولادته صلى الله عليه وسلم مرتفعة في الآفاق والبرهان الذي دل على رسالته صلى الله عليه وسلم يظهر من المعاني التي أتت بها الكتب المنزلة ومن الكلام الذي نطقت به ألسنة الاحبار والرهبان عموا وصموا فاعلان البشائر لم تسمع وبارقة الانذار لم تشم
من بعد ما أخبر الاقوام كاهنهم *
بأن دينهم المعوج لم يقم
قوله من بعد الخ متعلق بقوله عموا وصموا أو لم تسمع أو لم تشم أي فالذين جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم عموا عن مشاهدة المعنى كالانوار وصموا عن سماع الكلام كهواتف الجن فاظهار البشائر بصحة رسالته صلى الله عليه وسلم كطلوع الانوار وأخبار الكهان وهتف الجن لم تسمع لهم

ماسوى الله خوض ولعب وهما من صفات الكاذبين والمنافقين وغير المواجهة كما لعب وان كان كمالا * والحكمة الحادية عشر * قوله (قطع السائرين والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم) اى قطع الله المريدين والمرادين عن رؤية أعمالهم الظاهرة وعن شهود أحوالهم القلبية ليسلموا من آفات النفس والاعجاب وليتم له الافتقار والاضطرار وقد أسبغ الله تعالى نعمه على هؤلاء المنقطعين حيث منعهم عن رؤية ذلك لانه تعالى أبغاه بعد ولم يدعهم لسواه (أما السائرون فلانهم لم يحققوا الصدق مع الله فيها) اى اما المريدون فالذى منعهم عاذكر أنهم لم يحققوا الصدق مع الله فى أعمالهم لانهم دائما يتهمون أنفسهم خوفا من خداعها لهم فهم منقطعون اليه تعالى برؤية التقصير بعدم حضور قلوبهم مع الله حال فعل الاعمال واذا كان كذلك فلم يتحقق عندهم صحة أعمالهم ولا صحة أحوالهم ويفرحون بها من حيث شهود المنة (وأما الواصلون فلانه غيبهم بشهوده عنها) اى واما الواصلون فالذى حجبهم عن رؤية أعمالهم شهودهم له تعالى فى حضرة قربه ومن شاهد ما يشهد معه غيره فلا يلتفتون لانفسهم فضلا بل نسبوه اليه تعالى منيرا من حولهم وقواهم وكان فرحهم بربهم دائما اذ هم أهل الشهود فهم فى نعيم دائم بالقرب اللازم فسأل الله أن يمن علينا جامن به عليهم آمين * والحكمة الثانية عشر * قوله (رب عمر اتسعت آماده وقلت امداده) اى كثيرا من عمر طالت أزمنته وقلت فوائده التى أعطاها الله المؤمنين زيادة فى ايمانهم وتقوية لايقانهم وهو عمر أهل الغفلة المتعلقين بالحظوظ العاجلة الذين هم عبيد النفوس وهم السفهاء المبذرون جواهر الاوقات فان كل لحظة من عمر العبد كالجوهرة النفيسة بل أشرف وأنفس لانه يمكنه فيها تحصيل السعادة الابدية فعند ما يظهر الذى خزنه الاكياس ويظهر ما حصله العقلاء من الناس يظهر ذين هؤلاء وتشتد ندامتهم (ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده) اى وكثيرا من عمر قليلة أزمنته كثيرة فوائده من خزائن الفضل والكرم وهو عمر أهل اليقظة عبيد الله الصادقون المتحضرون لقربه منهم واطلاعه عليهم فهم يأكلون بالنية الصادقة ويشربون وينامون ويقعدون ويستعملون أنفسهم فى الحرف والصنائع كل ذلك بالنية الصالحة فيقصدون بحركاتهم وسكناتهم مرضاة ربهم فغربوا أوقاتهم بالذخائر فهم الفائزون بالربح ومن كان لله كان الله له ومن كان الله لا يفوته شئ تيسر له أموره برفق وسهولة * والحكمة الثالثة عشر * قوله (من بورك له فى عمره أدرك فى يسير من الزمان من الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة) اى من بورك له فى عمره يدرك فى الزمان اليسير من العطايا الكثيرة من الاسرار القلبية ما لا تحيط به العبارة لكثرته ولا تصل اليه الاشارة لغاية صفائه فيرتفع له فى شهر مثلا ما لا يرتفع لغيره فى ألف شهر كما قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر (مراسلة) أى هذه مكاتبة (عما كتبه المصنف لبعض اخوانه أما بعد فان البدايات مجلاة النهايات) اى ان بدايات الامور محل ظهور حال نهايتها والمجلاة بفتح الميم والجيم وتشديد اللام أو بكسر الميم اى فالحال فى ابتداء سلوكه يتجلى له أمر نهايته (وان من كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته) اى ان من كانت أنوار رياضته محصورة بالاستعانة بالله والاعتماد عليه له انكشفه انفراد الله تعالى بالقيومية وتوحده بالدبومية وانه الاول والآخر والظاهر

(والباطن)

مجاع قول ولا سعة تخوضهم به صلى الله عليه وسلم كصدع الايوان وحزب النيران وفيض الماء لم تنظر لهم نظر قبول من بعد اخبار الكهان لهم الذين كانوا يخبرونهم بالغيب بأن طرفا منهم المائلة عن الحق شرعت فى الذهاب فلم يثبت دين عند الله تعالى ولم يعصم فى حكمه الا دين محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ما عاينوا فى الافق من شهب * تنقضق وفق ما فى الارض من صنم

قال عبد السلام خاصية هذه الآيات الاحدى عشرة التى أولها لا طيب يعدل ترابا الى هنا أن من كتبها فى جلد غزال بزعفران وما ورد وينضح بالصندل ثم يتوضأ ويصلى ركعتين فاذا سلم حلق ذلك المكتوب فى عنقه ويكتب أخرى فى كاغد ويجعله مع دراهمه صار عزا ما على أداء الفريضة وصارت نفسه تشتاق الى زيارة الحرمين ولا يبقى عليه حب مال ولا ولد ولا وطن واذا كتبها المجاور فلا يستوحش الى أهله ولا وطنه فانها ناصة لكل مسافر

والباطن انكشافا يظهر له به عديمة ذاته واضمحلاله وهذا هو المعنى بالوصول الى الله تعالى فمن رأيته فى بدايته منعطفا عن الاغيار متوجها الى خدمة الملك القهار فاعلم أنه يفضى الى أمر عظيم ومن رأيته ضعيف البداية فهو ضعيف النهاية (والمشتغل به هو الذى أحبته وسارعت اليه) بفتح العين اى يا أيها الريدان الذى ينبغى الاشتغال به ويقدم على غيره هو العمل الصالح الذى يقربك الى الله الذى توجهت اليه بالطاعة وسارعت الى اجابة دعوته (والمشتغل عنه هو المؤثر عليه) اى والذى ينبغى عدم التوجه اليه هو المختار عليه الذى هو حظوظك العاجلة فانك اخترت الطاعة عليه وقدمتها على مرادك الزائلة وهى فانية فاتركها واشتغل بطاعة ربك قال الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن القشيرى سمعت عبد الله بن احمد الفارقى يقول ما انتفعت الابدال رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام بالليل فاذا رجل يمسح التراب فقلت مجنون او مجنون ثم قلت له يا هذا أتمسح التراب فقال لى أو تراب هو ثم تاولنى فاشككت أنه سوبق أو قند فأكلته ايهما فقلت ولى الله وجثوت على ركبتى وقلت ادع الله لى فقال لى عرفك الله قدر ما تطلب حتى يهون عليك ما تتركه (وان من ايقن أن الله يطلبه صدق الطلب اليه) اى وان من أيقن أن الله يطلبه باقامة وظائف العبودية وبالتعرف اليه بانواع الاحسان صدق فى الطلب اليه اى توجه اليه تعالى باخلاص فى العبادة واعرض عن مخالفة امره (ومن علم ان الامور بيد الله اجتمع بالتوكل عليه) اى ومن علم ان الامور بقدرة الله وفى قبضته رجع الى الله تعالى بالتفويض اليه فى زوال همومه وفى تسهيل ما يقربه الى حضرته فقوله ومن ايقن الى آخره قيام بمقتضى الشريعة وقوله ومن علم الى آخره وفاء بحق الحقيقة وقوله عليه راجع لكل من اجتمع والتوكل (وانه لابد لبناء هذا الوجود ان تهدم دعائمه وان تسلب كرائمه) بكسر الهمزة وفتحها اى وان الشأن لابد لهذا الوجود الشبيه بالبناء ان تذهب روحه الشبيهة بالدعائم وان تزال نفائسه وقواه عنه فى الحياة الدنيا أو بالموت (فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو فانى) أى فالعاقل افرح بالآخرة من الدنيا (فأشرق نوره وظهرت تباشيره) اى فاضاء نور زهد ذلك العاقل فى قلبه وظهرت بشراه على وجهه فان النور اذا اشرق فى القلب ظهر على الجوارح وكان ذلك بشراه بالقبول (فصدف عن هذه الدار مغضيا) فقوله صدف بالدال ثم الفاء وقوله مغضيا بالذين ثم الياء أى فبسبب ذلك النور اعرض بقلبه عن الدنيا غير ملتفت اليها (واعرض عنها) بوجهه (موليا) اى هاربا (فاتخذها وطنا) اى لم يستوطن فى الدنيا بظاهره على سبيل التمتع بها (ولا جعلها سكنا) أى لم يسكنها باطنه على جهة الصبغة لها (بل أنهض الهمة فيها الى الله) اى بل أقام همته فى الدنيا الى الله اى ان اعراضه عنها ليس تكاسلا وعجزا بل لئلا تشغله عما هو مطلوب به فيها من اداء حقوق ربه فجعلها محلا للعبور وهى مزرعة الآخرة ومطية المؤمن (وصار فيها مستعينا به فى القدوم عليه) اى وصار العاقل فى الدنيا مستعينا بها فى القدوم عليه قال ابو محمد الجريرى رضى الله عنه من توهم ان احدا من أهل الله يوصله الى مأموله الاخروى او الدنيوى فقد ضل عن طريقه لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل أحدا منكم عمله فالاينجى من المخوف كيف يوصل الى المأمول ومن صح اجتهاده

طويل اما با لكتابة أو بشرب ما تها
حتى غدا عن طريق الوحى منهزم *
من الشياطين يقفوا اثر منهزم
ويصح يجوز فيه الجر بالعطف على لفظ بعد المجرورة بمن والنصب بالعطف على محله أى وهؤلاء الصم لم يؤمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم من بعد ما أخبرهم كهانهم بما سبق ومن بعد الذى أبصروه فى السماء من شعلة نارية ساطعة ساقطة مثل سقوط الأصنام التى فى الأرض ولم تزل الشعلة تسقط الى أن صار هارب من الشياطين عن السماء التى هى طريق الوحى يتبع اثر شيطان هارب آخر مثله كأنهم هربا أبطال أبرهة أو عسكر بالخصى من راحته رمى
نبذا به بعد تسبيح بطنهما * نبذ المسبح من أحشاء ملتقم
قوله عسكر بالرفع عطف على أبطال أو بالجر عطف على أبرهة وبالخصى متعلق برمى وقوله من راحته حال من الخصى قوله نبذا منصوب برمى

على فضل الله فذلك الذي يرجى له الوصول (فازالت مطية عزمه لا يقر قرارها ابدا ناسيا رها) بفتح التاء اى فازال عزمه الشديد بالمطية لا يثبت فى موضع استقراره فهو دائم سيره اى ان عزمه اذا زل فى موضع بانتقل منه ولا يجعله وطنا لعلمه أن مطلوبه أمامه فلا يزال عزمه فى ترق حتى يصل لوقف التنزيه المطلق كما قال (الى ان أناخت بحضرة القدس) أى ان العاقل الزاهد بحث همته للسير الى ان استقرت فى حضرة القرب المعنوى فاذا حصل القرب انحسى عنه اوصاف بشريته وهذا اشارة الى الفضلة من تلك الاوصاف (وبساط الانس) اى وحصلت الهمة فى البساط الذى حصل لمن جلس عليه الانس وهو تلك الحضرة وهذا اشارة الى الصلة لانه حينئذ يكون سره مع الله وتكشف له حقيقة المعرفة فيحصل حينئذ بما كشف له وبدوام الانس ثم بين الشيخ صفات تلك الحضرة بقوله (محل الفاتحة) أى المناجاة على بساط الضراعة وبث الشكوى فيناديه الله تعالى بمعانى أسمائه وصفاته فيرتاح لذلك وينسى كل شئ به (والواجهة) اى مقابلة القلب بالاحقة حضرة الرب دون التفات لغيره ولا غفلة عن ذكره فيقابله الرب بانوار واسرار حتى لا يمكنه ان يرى غير الله (والمجالسة) أى المراقبة والحضور وملازمة الذكر بلا غفلة وملازمة الخضوع فيكرمه الله تعالى بالسرة والتأنيس (والمشاهدة) باسرار الله تعالى ومعانى الاذكار (والمشاهدة) أى فهم تلك الاسرار بكشف لا يصاحبه وهم ولا شك فيصير لا يحتاج الى برهان (والمطالعة) اى التمكن فى فهم تلك الاسرار (فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون) اى فاذا وصل ذلك العاقل الزاهد الى هذه الدرجة جدير بالغبطة أمره وصارت حضرة محبوبه مستوطن قلبه فيأوى اليها بالمعرفة الذوقية فلا يشغله عن تلك الحضرة شئ ولا يتغير سره عن النظر الى الجلال وعن شهود الجمال فهو كالبحر لا تغيره الريح والجبل لا تهزه الرياح لتمكنه من المعرفة فلا يأوى الا الى تلك الحضرة ولا يمكن الا اليها وهذه السنة انواع من القرب لا يعرف حقيقتها الا من وصل اليها والواو فى هذه المعطوفات للترتيب فان اول ما يكون عند الوصول هو اللقاء وهى الفاتحة بمعنى السلام والرد ثم الواجهة اى الاقبال فانه اخص من مطلق اللقاء ثم المجالسة فانها اعلى من مطلق المواجهة ودل على الاقبال ثم المحادثة فانها المقصودة من المجالسة ثم المشاهدة فانها بعد المكالمة المخففة لهيبة المكالمة الدهشة ثم المطالعة التى هى تمكن المشاهدة والمعنى فى الجملة ان حضرة القدس محل الاقبال الكبير ثم الاقبال الاكبر ثم الاقبال الذى هو اكبر من الاكبر فكل اقبال اعظم مما قبله وفى كل اقبال فتوحات تناسبه ومعارف تلازمه فهى معارف بعد معارف الى غير نهاية فمن وصل الى هذه الحضرة ووقع فى المعارف المتعددة لم يفارق الاستغفار لما يتجدد له على الدوام من تجلى انواع العظمة التى لم يكن له بها علم فيستغفر من الجهل الذى سبق له فاذا تجلى له معارف لم يتقدم له من المعارف فرح بذلك ثم اذا تجلى له ما هو اكبر استغفر من القسم الاول وهكذا الى هذا اشارة قوله تعالى لرسوله الاعظم واستغفر لذنبك ومن هنا قال سيد المرسلين لا أحصى ثناء عليك وقال اللهم زدنى فيك تحيرا اه فالعارفون انوار تلك الحضرة شاهدوا القدس

قوله به وبعد متعلقان برمى قوله بيطنها متعلق بمحذوف حال من الهاء فى به والمعنى كأن الشياطين الذين رموا بالشهب فى حال كونهم هاربين شجعان أبرهة ملك اليمن الذين جاؤا لهدم الكعبة حين رموا بحجارة من طين محرق أو كأنهم أقوياء عسكر رمى بالحصى من بطن كفيه فى غزوة بدر كما رواه البخارى وفى غزوة حنين كما رواه مسلم رميا بالحصى فى وجوههم بعد تسبيح فى الرجال كون الحصى مستقرا فى بطن كفيه صلى الله عليه وسلم مثل رمى يونس المسبح من بطن الحوت الملتقم له وكان من قصة يونس عليه السلام أنه دعا قومه الى الايمان فلم يؤمنوا فوعدهم أنهم ان لم يؤمنوا تصفر وجوههم أول يوم ثم تحمر وجوههم ثانى يوم ثم تسود وجوههم ثالث يوم فذهب يونس عليه السلام شاهدوا أول العلامات وطلبوا يونس فلم يجدوه فخرجوا بأجمعهم ودوابهم وفرقوا بين الوالدة وولدها متضادين تائبين داعين

ذخائرهما لزموهما وهذا معنى قوله فصارت الحضرة معشوشة أو بهم الى آخره (فان نزلوا الى سماء الحقوق او أرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين) اى فان نزل العارفون أمن صدرة منتهاهم الى سماء حقوق الله عليهم او الى ارض حظوظ نفوسهم فبراد الله تعالى لابرادهم فيصدون الاذن من الله تعالى بانشرح في قلوبهم من النور الذي يجعله الله علامة على ذلك الاذن ويكون نزولهم بالتمكن في مقام البقاء بأن يحصل لهم القوة على مخالطة الخلق وتحمل أذاهم وبعد رسوخهم في اليقين بالله ومعرفتهم به معرفة ذوقية لو خير واحين اقامتهم في تلك الحضرة والخروج منها الى مخالطة الخلق لم يختاروا الابقاءهم فيها ولذا لما أمر الله أبا يزيد بالخروج الى ارشاد الناس صاح صيحة عظيمة فقال الله للانكنه ردوا على عبدي فانه لاطاقة له على مفارقتي بعد ذلك فوالله وأخرجه الى مخالطة الخلق (فلم يزالوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة) فلم يخالطوا الخلق الا مع التأدب التام لانهم يرون الله فيهم ومع اليقظة عن موجدهم فاذا آذاهم شخص تحملوه لله الذي اوجده ورأوا الذي سلطه عليهم هو مولاهم لذنب فعلوه لا يليق بمقامهم واذا أكرمهم شخص شكروه مع رؤيتهم الذي حرك قلبه للاكرام هو مولاهم فهذه هي الحقوق الواجبة عليهم عند مخالطة الخلق (ولا الى الحظوظ بالشهوة واللذة) اى ولم يزالوا الى تناول مراداتهم على سبيل شهوة نفوسهم لها وتنعمهم بها بل يصاحبها بيات صالحة فهي في حقهم حقوق الله لا حظوظ النفس كما قال (بل دخلوا في ذلك بالله ولله ومن الله والى الله) اى بل دخلوا في الحقوق والحظوظ مستعينين بالله أو متلبسين بالاذن من الله لا بنفوسهم وبادين لله لا لحظوظ أنفسهم وآخذين من الله ناظرين صدور ذلك منه لا من انفسهم ومتوسلين الى الله في نيل مراداتهم قاصدين اليه لا الى ما ظهر عليهم والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) قيل في تفسير هذه الآية رب ادخلني في القبر ادخالا مرضيا وأخرجني منه اخراجا ملقى بالكرامة اه والمراد هنا كناية عن السفرين فالمدخل هو سفر الترقي لانه دخول على الله تعالى في حالة فنائه عن رؤية غيره دخولا معنويا والمخرج هو سفر التدلي لانه خروج الى الخلق في حال بقائه بربه لفائدة الارشاد والهداية فتمكنه في هذين المقامين هو معنى صدقية مدخله ومخرجه فالمدخل الصدق أن يشاهد في سفر الترقي قوة الله وقدرته فتفنى عنه بذلك نسبة الافعال الى نفسه والمخرج الصدق أن يفنى الى ربه في سفر التدلي ويرضى بافنائه اليه فيفنى عنه بذلك مراعاة حظه واذا قال (ليكون نظري الى حسنات وقوتك اذا أدخلتني) في مدخل سفر الترقي فتفنى عني النسبة الى نفسي بذلك (و) ليكون (استسلامي وانقيادي اليك اذا أخرجتني) الى سفر التدلي فيفنى عن نفسي التطلع الى البقاء والوقوف مع حقي بذلك (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) اى واجعل لي بلا سبب مني نفسي جهة ناهرة للاعداء وهي نور معرفتك بنصرتي على نفسي وعلى كل عدو متصل او منفصل وهذا حال ارباب البدايات فبذلك النصرة يتيسر له قمع عقبات النفس ومحو دواعي الهوى والحس (وبنصرتي) من شئت من طالب ومحب وصديق وهذا حال ارباب النهايات لانه بذلك النصرة يحصل لهم مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية (ولا بنصرة علي)

بقولهم اللهم ان ذنوبنا عظمت وجلت يارب وعفوك أعظم وأجل فعاملنا بما أنت أهله ولا تعاملنا بما نحن أهله فقبل الله توبتهم ولم ينزل العذاب عليهم فخرج منهم مغاضبا ربه الى أن أتى ساحل البحر وكان معه امرأته وابنان له فأركب امرأته في مركب فحال بينهما الموج وجاءت موجة فأخذت أحد ابنيه وأخذ الذئب الآخر فبقي وحيدا فركب سفينة فلما توسط البحر وقفت السفينة فقال الملاحون هنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فألقوه في البحر فالتقمه الحوت فبقي في بطنه سبعة أيام فنادى في ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل فنادى معترفا بذنبه أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فألقاه الحوت في ساحل البحر بعد ما بلي لحمه ودق عظمه ولم يبق له قوة وأنبت الله عليه شجرة من قرع يستظل بظلها وجاءته وعلة يشرب لبنها صباحا ومساء فاشتد لحمه ونبت شعره اه قال عبد السلام خاصية هذه الآيات الثلاثة

نفسي ولا أحدا من أعدائي الباطنة والظاهرة (ينصرني على شاهد نفسي) حتى اشهدها على حقيقة الامر من كالها فارفع همتي عن الخلق وارتفع عن الرذائل وعلى حقيقة الامر من نقصها فلا أقع في حظوظها ولا أدعي لها شيأ ولا ارى نسبة ولا قدرا (ويغيبني عن دائرة حسي) وهي الآثار والاغيار المستحسنة فانها محيطة بالحس وتسبي العقول فاذا غبت عنها فلا أتعلق بها ولا أشاهد منها نفعا ولا ضرا

﴿ باب القبض والبسط ﴾

وهما للعارفين بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين المبتدئين وهذا الباب الثالث والعشرون وذكر المصنف في هذا الباب اربع حكم * الحكمة الاولى * قوله (بسطك كي لا يقبضك مع القبض وقبضك كي لا يتركك مع البسط وأخرجك عنهما كي لا تكون لشيء دونه) اي رزقك الله السرور بسبب تجليه عليك بصفات الجمال لئلا يقبضك مع القبض فتصعب به وتضجر وتضيق ورد الله عليك القبض بسبب تجليه عليك بصفات الجلال لئلا يتركك مع البسط فتصعب به عن الله واخرجك عنهما حتى لا تكون لشيء دونه فمن المتقرب تلوينك فيهما وذلك لان العارف اذا كان متصفا بالقبض او البسط يكون معه بقايا من نفسه فيضر جذبات الله عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه لئلا يكون لشيء دون مولاه والحاصل ان السالكين يخافون البعد والعقاب ويرجون الثواب والعارفون لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا واذا تجلى عليهم صفات الحق فاذا تجلى الله عليهم بصفة الجمال انقبضت حواسهم واذا تجلى عليهم بصفات الجلال حصل لهم السرور بالاستقرار في تلك الصفات وكان الجنيد رضي الله عنه يقول الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني اذا قبضني بالخوف افنائي عني واذا بسطني بالرجاء ردني علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني واذا فرقني بالحق أشهدني غيري فغطى عني هو في ذلك كله محركي غير مسكني وموحشي غير مونسي فحضوري لذوق علم وجودي فليته افنائي عني فتمحي او غيبني عني فروحني * والحكمة الثانية * قوله (العارفون اذا بسطوا أخوف منهم اذا قبضوا) اي أن العارفين اذا ورد عليهم البسط كانوا اكثر خوفا من انفسهم اذا ورد عليهم القبض لانه يخشى من البسط الاستدراج لسكونه يقتضي للنفس تشعشعا والنفس يخاف عليها في حالة تبسطها الهلاك بخلاف القبض فانه يقتضي السكون وعدم الحركة * والحكمة الثالثة * قوله (ولا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل) فلازمة الادب في حال البسط امر عسير وتأكد عليهم ملازمة الادب ودوام الانكسار وقد قيل قف على البساط وبالتوالي الانبساط اي فان البسط منزلة اقدام الرجال (البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه) اي اذا كان مراعاة الادب في البسط أمرا عسيرا والوقوف عند حدود الادب في البسط قليل لان النفس تأخذ منه حظها ومن شأن النفس اذا وجدت حظها الغفلة ونسيان الحقوق والدعوى باظهار ما عندها من العلوم والفهوم والاحوال والاسرار والتصدر بالخصوصية والتلذذ بنسبة الخوارق والاشارة الى الكرامات وادراك المقامات وكل ذلك منافٍ للعبودية بخلاف القبض فانه لا حظ للنفس فيه فلا تقدر ان تظهر شيأ من ذلك فهو اقرب للسلامة واوجود القدر على الوفاء بآداب العبودية فالقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هي وطن

(التكليف)

أن من قرأها في معركة الجهاد سبع عشر مرة وهو مستقبل القبلة فان الله تعالى يصونه ويجعل بينه وبين الكافرين حجابا مستورا فلا يقدر أحد منهم على ضرره ولا على قتله فيكون مغفورا بعون الله تعالى جاءت لدعوته الاشجار ساجدة *

تمشي اليه على ساق بلا قدم كأنما سطرت سطرا لما كتبت *

فروعها من بديع الخط في القلم

قوله تمشي اما حال ثانية من الاشجار أو حال من فاعل ساجدة والضرورات الثلاثة متعلقات بتمشي ويصح أن يكون قوله اليه متعلقا بجاءت وقوله بلا قدم صفة لساق اعني قوله سطرت بربه بتشديد الطاء وتخفيفها قوله في القلم بفتحتين أي وسط الطريق وفي نسخة بالقلم بالباء التي بمعنى في كما قال الشيخ خالد أو هما بمعنى على والمعنى أتت اليه لندائه صلى الله عليه وسلم الاشجار حال كونها خاضعة ماشية على ساقها بلا قدم وهي تشق الارض ولم يكن في مشيها عوج

التكليف والخلافة بهمة الماء السابقة غير معلومة لنا ورأى بعض الصوفية شيخه في المنام بعد موته مقبوضا فقال له باستاذا مالك مقبوض فقال له باعين القبض والبسط مقامان من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الآخرة وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط فلهذا عبد ببسطهم دنيا وآخرى كما قاله الامير والحكمة الرابعة * قوله) ربما أفادك في ليل القبض مالم تستفيده في اشراق نهار البسط)اى قد ينفتح لك في القبض الشيء بالليل في السكون من العارف مالم ينفتح لك في البسط الشيء بالنهار في الانتشار فالادب أن تقبل ما أوجهك الله به منهما وأن ترجع الى ارادة الله تعالى وأن تقف مع اختياره وتفوض الامر اليه فانك لاتدرى أيهما اقرب لك نفعا كما أشار الله تعالى اليه بقوله تعالى (آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا)اى في الدنيا والآخرة فينبغي للعبد ان يعرف نعمة الله عليه في القبض والبسط وأن يكل عرفان ذلك الى ربه ويحسن ظنه به

﴿ باب الانوار ورؤيتها ﴾

وهذا الباب الرابع والعشرون ذكر المصنف في هذا الباب تسع حكم * الحكمة الاولى * قوله (الانوار مطايا القلوب والاسرار) اى انوار الايمان واليقين توصل بها القلوب والاسرار الى حضرة علام الغيوب كما توصل السائرون على المطايا الى مطلوبهم وتلك الانوار هي الواردات الالهية وهي العلوم الوهبية التي تقع في القلب بغير حيلة وتأمل ولا اختيار من العبد وهي التي تسمى بالالهام ثم انه ينبغي أن تعلم ان النفس والقلب والروح والسر اسماء متتابعة معناها واحد وهي اللطيفة الربانية التي كان بها الانسان انسانا فادام الانسان في مقام الاسلام وهو الانقياد في ظاهر الحال مائلا الى شهواته تسمى نفسا فاذا تخلص منه الى مقام الايمان وهو الانقياد في الباطن سميت قلبا ثم اذا ارتقى منه الى اول مرتبتي الاحسان وهي المراقبة بأن يلاحظ ان الله تعالى يراه سميت روحا ثم اذا ارتقى منه الى المرتبة الثانية وهي المشاهدة بان يعبد الله كانه يراه سميت سرا وهذا هو المقام الاعظم * والحكمة الثانية * قوله (النور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس)والنور هنا هو المعبر عنه في الاحاديث والآثار بالنفيه الملك والظلمة هناك المعبر عنها بالنفيه الشيطان اى النور جند القلب اى والروح والسر أيضا لانهما أعلى من القلب فالنور معهما اكثر واقوى يتوصل به الى حضرة الرب والظلمة التي هي ثمرة الهوى وهي طبيعة العبد جند النفس الامارة تتوصل بها الى الشهوات والاغراض العاجلة ومازال الحرب واقعا بين القلب والنفس والحرب بينهما سجال (فاذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم) بفتح اللام (والاغيار) اى فاذا اراد الله أن يعين عبده على نفسه ومنع شهواتها أمد الله قلبه بالانوار الشبيهة بالجنود وقطع الله تعالى عن قلبه جيشا هو الظلمات والاغيار وهما بمعنى واحد وهذا النور أعم من الانوار المتقدمة لان تلك مطايا للقلوب السائرة الى الحضرة وهذا النور ناصر للقلب على النفس فقط عند التنازع وهو يكون ان هو في مقام الاسلام اذ فيه تكون الصولة للنفس والغلبة للقلب والى هذا النور الاشارة بقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فهو ثابت لكل مؤمن ولكنه على مراتب متفاوتة ولكل مؤمن أيضا حالات

بلا غش في وسط الطريق كمشي انسان متأدب من جبل في مشيه فكأن اشجار في حال مشيها قد سطرت سطرا أو كتبت كتابة حسنة على الأرض اه فشبه فروع الشجر عند مشيها في الارض بالاقلام وشبه أثر مشيها على الارض بالحروف المكتوبة وشبهت الشجرة بالكاتب وشبه وسط الطريق بسق بالسوح مثل الغمامة اى سارت سائرة * تقيه حرو طيس الهبير حي قوله مثل بالنصب حال من الاشجار أو من فاعل قضى وبالرفع خبر لمبتدا محذوف أي أمر مثل الغمامة وأنى ظرف زمان بمعنى أي موضع أو بمعنى كيف وفيه معنى الشرط وجوابه محذوف مع المبتدأ وقوله سائرة بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي فهي سائرة معه وقوله تقيه خبر ثان أو بالنصب حال من الغمامة وجملة قوله تقيه حال ثانية وقوله الهبير اللام بمعنى عند أو للاختصاص أو للتعليل وفي نسخة بالباء وهو بمعنى في فهو ظرف لحروطيس او لتقيه أو متعلق بحمى فقوله حمى اما فعل ماض وفاعله

في مقابلة الشيطان فالموجودات كلها متقابلة من وجه الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك لا ينفك من خواطر تارة بالخير من ناحية الملك وتارة بالشر من ناحية الشيطان فاذا ذكر العبد الله تعالى خنس الشيطان والاوسوس فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار الا أنه اذا وقعت الغلبة لاحدهما لم يبق الآخر قتال لكنه بالرصاد دائما ينتظر الفرصة فاهل النفوس الذين قهروا شيطانهم حتى صار هزيلا حزينا ضامرا اشعث لا يأمنونه واهل النفوس الخبيثة الذين نصروا شيطانهم حتى صار دهيما سمينا نشيطا لا يقعدون بفعل خير ولا ينوون الرجوع عن شر في خطر عظيم مشرفون على الهلاك ومع ذلك لا يأسون منه والحكمة الثالثة قوله (النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار) أي النور الذي هو جند ناصر للقلب يتضح به الصواب وينكشف به الحق على حسبه فليس ما ينكشف بضوء السراج كما ينكشف بضوء القمر ولا ما ينكشف بضوء القمر كما ينكشف بضوء الشمس ولذلك ترى الاولياء رضي الله عنهم يتفاوتون بغرائب الحكمة التي لا يهتدي اليها غيرهم لقوة انوارهم فمن الناس من حصل له من النور ما انكشف له به حقيقة الاسلام فاسلم ومنهم من حصل له منه ما انكشفت له به حقيقة الآخرة وزوال الدنيا فزهد فيها وأقبل على الآخرة ومنهم من حصل له منه ان الله هو الحق وان غيره باطل مزلة الاغيار وانقطع الى الواحد القهار وعلى قدر تفاوت المؤمنين في النار المعنوي في الدنيا يتفاوتون في النور الحسي في الآخرة والبصيرة التي هي ناظر القلب لها الحكم بحجة ما شاهدته بذلك النور من حسن او قبح فالنور له كشف معاني الغيب وناظر القلب بعيد الحكم بحجة الشهود بلا ريب والقلب له الاقبال على الطاعة عند ما يقتضي ما شاهدته البصيرة وله الادبار عن المعصية بمقتضى ما شاهدته البصيرة واذا أقبل القلب أو ادبر تبعه الجوارح والحكمة الرابعة قوله (أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار اوصافه) أي اطلع الله على الظواهر من السمع والبصر والدماغ والقلب الذي هو الفهم الصنوبري على مخلوقاته أي عرفهم اياها بالادراكات الظاهرية اي المتعلقة بالكائنات من الخلق والطائف المودعة فيها واطلع الله الارواح على أوصافه تعالى بتجليات أوصافه تعالى اتجلت صفاته تعالى للارواح حتى شاهدتها حسب ما يليق باهل كل مقام فانوار الظواهر التي هي لطائفها المستكنة فيها متعلقة بانوار الحادثات وانوار السرائر التي هي المعارف ولطائف الفهوم متعلقة بانوار الصفات الازلية (لاجل ذلك افلت انوار الظواهر ولم تأفل انوار القلوب والسرائر) اي لاجل كون أنوار الظواهر متعلقة بالحادثات ذهبت بالموت ولم تدم ولاجل كون أنوار السرائر متعلقة بالصفات القديمة لم تذهب بالموت بل تزيد انوار الروح بالموت (ولذلك قيل) اي ولاجل زوال انوار الظواهر وعدم زوال أنوار السرائر قال الشاعر من بحر الطويل

طلعت شمس من احب بليل ❁ فانضاءت لنا ليلا غروب
ان شمس النهار تغرب بالليـ ـل ❁ وشمس القلوب ليست تغيب

والحاصل ان الشيخ رضي الله عنه أشار الى العامة والخاصة فالعامة علومهم متعلقة بالظواهر

ضمير مائدا الى حروليس والجملة نعت له أو حال من الضمير اى وقد اشتد هوا وقد اشتد حر الشمس واما اسم فاعل نعت او ليس و المعنى ومثل مجيء الاشجار اليه صلى الله عليه وسلم من حر شمس في وسط النهار اشتد حرها تظليلها له صلى الله عليه وسلم أقسمت بالقمر المنشق ان له من قلبه نسبة بمبرورة القسم قوله ان له جواب القسم والضمير للقمر المنشق ويحتمل ان يكون جواب القسم قوله ما سامني الدهر الى آخر البيتين قوله من قلبه متعلق بنسبة والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ومن بمعنى الباء ومبرورة بالنصب نعت لمحذوف هو مفعول مطلق أو بالرفع خبر مبتدأ اى هي يمين مبرورة القسم أو بالنصب صفة لنسبة أي ان أقسم امرؤ على ثبوت هذه النسبة بين قلبه ومبرورة والمعنى أقسمت برب القمر بينا مصدوقة القسم ان للقمر المنشق شبها بقلبه صلى الله عليه وسلم في الانشقاق لكن انشقاق القمر وقع مرتين وانشقاق

فالذى يقهرهم على وجود الصانع الادلة الحادثة من سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحور ذات أمواج وغيرها لانها منبهة بمستحيلها على وجود صانعها والخاصة اهل الحضرة الربانية لايستدلون الى تلك الادلة بل رزقهم الله كشفا حقيقيا يحصل لبصائرهم فالذى يكشف لارواحهم حقيقة هو الاوصاف القديمة وعلم الروح لا ينقطع واعلم ان من الرجال من نور معرفة قلبه كالشمس وهم اهل التفريد ومنهم من نوره كالقمر وهم أهل التوحيد ومنهم من نوره كالنجوم وهم أرباب مقامات العلوم فاذا كان علم الروح لا ينقطع لان الروح باقية والموت انما هو انتقال من دار الى دار قال ابو بكر الكتانى دخلت البرية فرأيت فقيرا ميتا يضحك فقلت أتضحك وأنت ميت فقال هكذا الصبون لله وقال ابو سعيد الخراز كنت بمكة فرأيت شابا ميتا حسن الوجه فتبسم فى وجهى وقال يا با سعيد الاحباء أحياء وان ماتوا وانما يقلون من دار الى دار * والحكمة الخامسة * قوله (نور مستودع فى القلوب مدده النور الوارد من خزائن الغيوب) اى نور اليقين المستودع فى القلوب يتزايد ضياؤه من النور الوارد من خزائن الغيوب اما بالهام وهو ما يلهم من المعارف واما بواسطة من الشيخ او من كتب القوم وهذا النور على قسمين (نور) وهو نور الحواس (يكشف به عن آثاره) تعالى من سماء وارض وعباد فتستدل بالاثار على المؤثر وهذا يسمى كشفا صوريا وهو ليس مقتنى به عند المحققين (ونور) وهو نور مستودع فى القلوب (يكشف به عن أوصافه) الازلية من جماله وجلاله وكماله فتشهده أو صافه تعالى بدون حجاب ولا استدلال بل على طريق العيان وهذا يسمى كشفا معنويا وهو المعتبر عندهم * والحكمة السادسة * قوله (رجما وقفت القلوب مع الانوار) والمراد بها نحو الاحوال والكرامات والمعارف (كما حجبت النفوس بكثائف الاغيار) فوقوف القلب مع نور العلوم كوقوف النفس مع العادات والشهوات فالقلوب نورانية والنفوس ظلمانية فالقلوب محجوبة بالانوار كما أن النفوس محجوبة بالظلمات والله تعالى وراء ذلك كله فالحجاب عن الاولى قسمان نورانى وهو العلوم والمعارف اذا وقفت القلوب معها وجعلتها غاية مقصدها وظلمانى وهو شهوات النفوس وعاداتها وانما توصف بالكثافة لانها لا تزول الا بشدة وتعب * والحكمة السابعة * قوله (أنوار أذن لها فى الوصول وأنوار أذن لها فى الدخول) أى الانوار الوارة على القلوب من خزائن الغيوب وهى معارف واسرار الهية تنقسم الى قسمين أنوار أذن لها فى الوصول الى ظاهر القلب فقط أى من غير أن تدخل الى وسطه فيشاهد القلب معها نفسه وربه ودنياه وآخرته فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه وتارة يحب آخرته وتارة يحب دنياه وهذا حال الابرار وأنوار أذن لها فى الدخول الى باطن القلب فتمكنت منه وملأته حتى فاضت الانوار على الجوارح فلا يظهر فيها الا وجود الله تعالى فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه وهذا حال المقربين وهذا الاختلاف باعتبار البعد عن الاغيار والقلب المشترك الاشتراك غير الكامل لعمل أنواره واصلة غير متمكنة وغير الشترك أنواره داخلة متمكنة فعلم أن المشترك له نور فلا يحقر صاحبه ولا يزدرى به وان وجب بغض المعصية فى الله فانى الحديث القدسى لا تجمع محبتى ومحبة الدنيا فى قلب واحد محمول على المحبة الكاملة والا

قلبه صلى الله عليه وسلم وقع اربع مرات وقد جمعها بعضهم فى قوله وشق صدر المصطفى وهو فى دار بنى سعد بالامرية كشفه وهو ابن عشر تم فى ليلة معراج وعند البعثة وما حوى الغار من خير ومن كرم *
وكل طرف من الكفار عنه عمى
قوله وما امامعطوف على القمر أو مفعول لفعل محذوف اى واذكر ما حوى الخ قوله من خير بكسر الخاء بمعنى الشرف والهيبة والاصل كما فى القاموس وبمعنى الطبيعة كما فى الاساس والتنوين للتعظيم قوله ومن كرم أى ومن جود وأجل المكارم اجتناب المحارم كما فى الاساس والظاهر أن المراد بالخير النبى صلى الله عليه وسلم وبالكرم أبو بكر وانما يحذف المضاف وان ما يجمى من المعنى وأقيمت الذى جمعه غار نور من ذى طيبة عطية وشرف تام وهيبة كبيرة وأصل طاهر ومن ذى جود وكرم

فطانتها حاصل لكل مؤمن لحديث لا ينامن فانه يحب الله ورسوله قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع ربه ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب أبغض العبد دنياه وهجر هواه * والحكمة الثامنة * قوله (ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت) أي ربما وردت المعارف الالهية على قلبك فتجده مملوأ بصور الكونات من أموال وأولاد وشهوات وعادات فلا تجد الانوار في القلب موضعا تستقر فيه فترجع من الطريق الذي أتت منه فان أردت تجلي المعارف والاسرار في قلبك وامتلاءه بها فافرغه من التعلق بغير مولاك كما قال (فرغ قلبك من الاغيار) واخل عنه صور الآثار بالتخلي عنها والتحلي بالانس بالله والاعتماد عليه (يملأ) بالمعارف والاسرار) قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين * والحكمة التاسعة * قوله (لا يسع قدر أنوار القلوب والاسرار الا في غيب الملكوت كما لا تظهر أنوار السماء الا في شهادة الملك) أي لا يعلم حقيقة قدر أنوار القلوب والاسرار الشريفة على القلوب من سماء التوحيد والمعرفة الا في عالم الآخرة كما لا تظهر أنوار الكواكب الا في عالم الدنيا فمن آمن بالغيب وسعى في تهذيب نفسه حتى حصلت عنده تلك الانوار شاهدها بلا حائل الا وفرهناك يقال لاهل أنوار القلوب هنيئا لكم وصال بلا فراق وعيش بلا كدر وأنس بلا وحشة فهناك تظهر أقدار الرجال ومراتبهم ويقول الله تعالى لهم هنيئا لكم لقائي أبدا في رياض قربي فاستأنسوا بجمالي وأتنعموا بي وأنا لكم

﴿ باب قرب العبد من الله تعالى تخلقا وتعلقا ﴾

وهذا الباب الخامس والعشرون ذكر المصنف في هذا الباب تسع حكم * الحكمة الأولى * قوله (وصولك الى الله تعالى وصولك الى العلم به والاجل ربما أن تتصل به شيء أو تتصل بشيء) أي الوصول الى الله تعالى الذي يشير اليه أهل هذه الطريقة هو الوصول الى العلم الحقيقي بالله أي الى علم الذوق والوجدان بان يذوق وجوده تعالى مع كل شيء وقبل كل شيء وبعده لا علم الدليل والبرهان فانه يكون مع الحجاب وان لم نرد بالوصول ما ذكر بان أردنا به الوصول بين الذوات فلا يصح لانه تنزه عن الاتصال بالذات وعلامة الوصول بالعلم بالله بطريق الذوق والوجدان أن لا يلتفت لغير الله ولا يتعلق به الا بامر الله وتكون حركاته وسكناته به تعالى وحينئذ لا يكون للشيطان عليه سبيل لانه متى كان في حضرة المراقبة ومشاهدة اطلاع الله تعالى عليه لا يمكنه الهجوم على المعصية والغالب مع الحجاب وهو معنى ما ورد لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن والحاصل أن تعبير القوم بالوصول قد يتوهم من ظاهره اتصال شيء بالله فبين الشيخ ان عبارتهم على تقدير مضاف بين الى واسم الجلالة فمعنى وصولك الى الله وصولك الى معرفته وذلك توصيله تعالى اذ لولا تعالى ما وصل أحد الوصول ينقسم الى ثلاثة مراتب الاولى تجلي الفعل بان ينكشف لصاحب هذه المرتبة أن صدور الافعال كلها من الله تعالى فيرى العوالم كلها صنع الله تعالى فمن نظر هاهنا من هذه الحيثية كان ناظرا الى الله تعالى وهو الذي يقال فيه أنه فني في التوحيد وفني عن نفسه وفي هذا المقام

النفس والحال ان كل يصر عن الهوى في النار عمى وقد بات النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار ثلاث ليال من ليلة الجمعة الى ليلة الاحد وهما خرجا من دار أبي بكر يوم الخميس وخرجا من الغار ليلة الاثنين وانما خص أبو بكر بالوجود وبكرم النفس لانه آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله كما قال صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس علي ابو بكر ولانه لم يسجد على صنم قط

فالصدق بالغار والصديق لم يرما *

وهم يقولون ما بالغار من أدم

قوله فالصدق الفاء تعليل وهو على حذف مضاف مبتدأ وفي الغار متعلق بير ما والصديق معطوف على الصدق وجملة قوله لم يرما خبر المبتدأ وما عطف عليه واصل يرما يريان حذف النون الجازم والياء للضرورة قوله وهم يقولون في موضع نصب على الحال قوله ما بالغار اي ليس بالغار خبره والباجي

بسقط التدبير والاختيار ولا يبقى الا النظر الى مشيئة الله تعالى وصاحب هذا المقام هو صاحب علم اليقين والثانية تجلي الصفات الجمالية من كرم وحلم ورفق واحسان ورحمة ولطف وعطف وفضل وامتنان وهي منشأ الانس وتجلي الصفات الجلالية من بطش وسطوة وعزة وانتقام وهي منشأ الهيبة والتصف بهذه المرتبة صاحب تجريد فهو مجرد عن قصد الاغراض الدنيوية والاخروية فؤدي حق الله عبودية وانقيادا وصاحب تفريد لم يبق أيضا فلا يرى نفسه فيها يأتي به بل يرى أنه منة من الله تعالى عليه فهو صاحب فناء لفنائه عن ماسوى الله وصاحب بقاء أيضا لشهوده صفات الله تعالى فيرى فناء صفات نفسه المذمومة وبقاء أوصاف الله الممدوحة وصاحب هذا المقام هو صاحب عين اليقين والثالثة تجلي الذات المقدسة وهو على ضربين أحدهما أن يتكامل فناء العبد وتتشعشع في قلبه أنوار اليقين لكنه لا يخرج بذلك عن عين اليقين الا أنه يكون في نهايته ثانيها وهو المطلب الاقصى والقصد الاسنى وليس فوقه الا الزيادة منه والترقي في مراتبه وكل مرتبة فهي دونه وهو مقام التمكن في تجلي الذات وصاحبه هو صاحب حق اليقين وهو الحكمة الثانية * قوله (قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه منك والا فأين أنت ووجود قربه أي قربك من الله تعالى أن تكون عالما لاطلاعه عليك بالذوق والوجدان لا بمجرد علم الايمان لوجود احاطته تعالى بك علما وارادة وقدرة في جميع الحالات والحصات وهذا يوجب الحياء منه فلا تخالفه تعالى حينئذ في أمره ونهيه وأن لم نرد ذلك بل أردنا القرب الذي هو من صفات الاجسام فلا يصح لانه تعالى واجب الوجود قديم وأنت حادث فلا جامعة بين القديم والحادث فلا يليق بك الا وصف العبد والتأدب بآداب الحضرة * والحكمة الثالثة * قوله (لو انك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه ابدا ولكن اذا اراد أن يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه وغذاك بمنه فوصلك اليه بمنه اليك لا بمنك اليه) والوصول الى الله بمشاهدة انفراده بالوجود الذاتي والصفات الكمالية ولا يكون الا بعد قطع محبات القلب وفناء عيوب النفس ومحو دعوى غير المتصف بالقوة والعزة والقدرة والغنى فاثبت ان العبد لا يصل الى الله الا بعد ذلك فلا يصل اليه تعالى ابدا لان محاسنه كلها مساوى وأحواله كلها دعاوى والوصول ليس بكسب ولكن اذا أراد الله ان يوصل عبده اليه غطى وصف العبد الذميم بوصفه تعالى الكمالي فيصير حينئذ غنيا بمولاه قويا به قادرا به عزيزا به ويشهد ذلك يقينا وتزول عنه الدعوى فيصل الى الله بما من الله اليه من الفضل والكرم لا بما من العبد الى الله من الاجتهاد والعمل * والحكمة الرابعة * قوله (كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا) اي كن متصفا بصفتين الاولى ان تكون واثقا ومستغنيا بأوصاف ربوبيته تعالى وذلك فرع معرفتها فاذا نظرت وجدت الله متصفا بالقدرة الباهرة والاختيار التام والعلم المحيط والغنى المطلق والعزة التي لا حد لها والقوة التي لا غاية لها والعظمة التي لا نهاية لها والرحيمية والرحمانية التين لا حصر لآثارهما ومن كان كذلك فينبغي أن يكون عليه الاعتماد ويجب ان يكون عليه الاستناد الثانية ان تكون موصوفا بأوصافك من حيث انك عبد بان تراها لازمة لك لا تنفك عن النظر اليها وهي التي ينبغي أن يتصف بها العبد حقيقة وما وجد فيه من أوصاف الربوبية فهو عارية عنده وليس هو له حقيقة وأوصافك حقيقة هي الفقر والضعف والعجز والذل فهذه أوصاف

في وقوله من أرم بفتح الهمزة وكسر الراء ومن زائدة وأرم احد والمعنى وانما كان الكفار عيالا ذا الصدق وهو النبي وابا بكر الصديق لم يريا في الغار وهم يقولون ليس أحد في الغار فلا رأوا نسج العنكبوت في فم الغار وحوم الحمام عليه علموا ان الحمام وعشوا العنكبوت على *

خير البرية لم تنسج ولم تحم

قوله على خبر متعلق بلم تنسج ولم تحم قوله لم تنسج بفتح التاء وكسر السين وضمها قوله ولم تحم بضم الحاء والمعنى وانما يقولون ذلك لانهم علموا الحمام لم تطف على خير البرية وعشوا العنكبوت لم تنسج عليه في ساعة واحدة وسبب علمهم ذلك ان هذين الحيوانين متوحشان متى احسا بالانسان فرا منه

وقايه الله اغنت عن مضاعفه

من الدروع ومن عال من الاطم

قوله وقاية بكسر الواو قوله الاطم بضم الهمزة

العبودية الاصول ونحتها من الفروع مالايحصر كالاهتمام والخوف والحيرة والفضيحة وحصول النار واذا تصفت بهذين الوصفين فلا ترى وجود ذلك الا بوجوده تعالى ولاغناك الا يغنائه تعالى غير ذلك من الاوصاف وترى عدمك وفقرك وذلك وعجزك ومن لم يتصف بهذين الوصفين يحصل له الذل والهوان لاسيما أرباب الرياسة والجاه فانظر الى فرعون لما قال انا ربكم الاعلى فلما انقلبت بحضرته عصى موسى تعبانا وظهرت يده بيضاء ذات نور وشعاع انكس وانفضح فقال الملا حوله ماذا تأمرون فصير نفسه مأمورا ورعيته آمرين وحصل له من الهم والحزن والخوف والحيرة مالايحصى * والحكمة الخامسة * قوله (منعك أن تدعي مالايليق من المخلوقين أفيجيء لك أن تدعي وصف هو رب العالمين) اى منعك الله من أن تدعي ملكا غير ملك من المخلوقين مع ان ملكهم ناقص لانه يزيلك الله لا بالاصالة اذلا بد من مفارقة كل مالك ما يملك واذا منعك من ادعاء ملك مخلوق وجعل ذلك عدوانا فكيف يجيء لك من ان تدعي وصفا من اوصافه تعالى وهو مالك الملك ومالك ملكهم بالاصالة ملكا لا انتصرام له فاذا منعك من منازعتهم فيما لهم فكيف لا يمنعك من منازعته فيماله ومعنى المنازعة الدعوى فاحذر أيها العبد واعرف قدرك ولا تتعد طورك وفي الحديث ما أحد أغير من الله ومعنى الغيرة في حقه تعالى انه لا يرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات الربوبية كالعظمة والكبرياء وغير ذلك وفيما هو حق له من الاعمال الدينية اما قول الغزالي وغيره من العلماء الاعلام ان كمال العبد وسعادته في التخلق باخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته فالمراد أن ذلك على حسب مايليق بالعبد فاذا تخلق بالعزة فالمعنى انه لا يذل نفسه ولا يتعاطى الامور التي يناله بها الذل من الاقيسال لارباب السطوة وليس معنى التخلق بالعزة الترفع على عباد الله والازدراء بهم والتعاظم عليهم فان العزة بمعنى التعاظم وعدم المبالاة بمن يراد هلاكه انما تليق بالله تعالى واذا تخلق بالغنى فالمعنى انه لا يمد نظره الا ما في ايدي الناس ولا يطمع فيهم ويرفع همته عن التعلق بهم والتودد لهم لاجل الدنيا وليس معنى التخلق بالغنى أنه يعتمد على ما عنده من المال بانه يكفيه ويغيب عن شهود الفقر والاحتياج الى الله تعالى في جميع حركاته وخطراته واذا تخلق بالقدرة فالمعنى انه لا يعجز عن اداء ما كلف به من حقوق الله وحقوق العباد وهذا العجز الذي استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعني انه يقدر على الجلب والدفع والضر والنفع والعطاء والمنع ونحو ذلك فان القدرة بهذا المعنى انما تليق بالله تعالى وقس على هذا فالنهي عنه غير الأمور به ولا تنافي بين الامر والنهي وقد ذكر انه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على أقرانه في أموره فشكى اهل بلد عاملهم الى ذلك الملك فقال تخيروا من شئتم أوليه عليكم فاختاروا ذلك العبد الرأي من مال الملك اليه فقال الملك راجعوه فان اختار الولاية وليته عليكم فلما راجعوه رغب في الولاية فأمر الملك بكتب المنشور وأمر باستقباله اذا وافى ولايته والمبالغة في اكرامه بانواع الكرامات وسلط عليه من يرش عليه ماء ورد فيه سم ثم امر من يقول اذا أشرف على الموت هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه ففي هذا عبرة لاولي الابصار تحملهم على اخلاص العبودية ولا يروقه حظوظ أنفسهم * والحكمة السادسة * قوله (تخلق باوصافك يدلك باوصافه) اى لازم اوصافك وتعلق باوصافه تعالى وقل من بساط الفقر الحقيقي باغنى من الفقير غيرك

والطاء المهملة والمعنى حفظ الله النبي ولابي بكر بهذا الضعيف جدا من عدوه العظيم مددا اجزا من دروع الحديد الضاعفة اى المنسوجة حلقتين حلقتين التي تلبس للحفظ من العدو واجزا من الحصون المرتفعة التي يتحصن فيها من العدو قال عبد السلام خاصية هذه الابيات الثمانية التي اولها جاءت لدعوته للاخفا وذلك انك اذا كتبتها في جلد ضفدع بري وذبغته بالمسك والكافور وذلك الكتب في ساعة زحل وانت تبخر بالبان في مكان خال وانت تقرأ الابيات بخور ملل حتى يظهر لك شخص داخل عليك صامت يطأ طن رأسه وبداوق عنقه وقبل ذلك اطرز ثلاث مرات فاذا لم تفزع منه ولم تشتغل بهو لم تقطع قراءة الابيات فان ذلك الطرز يصير اخفاء محصنا فاذا كان الامر كذلك فحافظ على عضدك الايمن بعد صلاة العشاء ثم تأخذ حفنة تراب وترمي على عينك وتقول شاهت الوجوه وترمي على

ومن بساط الضعف باقوى من الضعيف غيرك ومن بساط العجز باقادر من العاجز غيرك ومن بساط الذل ياعزيز من الذليل غيرك تجد الاجابة كانها طوع يدك كما فصل الشيخ ذلك الاجمال بقوله (تحقق بذلك) ثقة تعالى (يدك بعزته) فتصير عزيزا بالانتساب اليه تعالى (تحقق بعجزك يدك بقدرته) فتحصل ان من الاقتدار به تعالى ما تتحير فيه العقول (تحقق بضعفك يدك بحوله وقوته) فتحصل لك ما تخرق معه العادات حتى تقوى على قيام الليل وختم القرآن فى الجلسة الواحدة وعلى حمل مالا تطيقه الجبال من المعارف والاسرار ويكون الشيء ضعيفا فى قوتك بحيث لايعاديك احدالا أذلة الله ولايغلبك أحدالا أعجزه الله تعالى * والحكمة السابعة قوله (لايخرجك عن شهود الوصف الاشهود الوصف) اى لايخرجك ايها السالك عن وصفك الذميم الاشهود وصف الله العظيم ولايخرجك عن الوصف الحقير النفسانى الاشهود الوصف العظيم الربانى فاذا لم تشهد عظمته تعالى وكبرياءه وجلاله فلا تتوهم أنك أصبت من التواضع الحقيقى فلايخرجك عن شهود القدرة والقوة من نفسك الاشهود قدرة الله تعالى وقوته ولايخرجك عن شهود الغنى الا شهود غناه تعالى ولا يخرجك عن شهود العز الا نفسك الاشهود عزته تعالى * والحكمة الثامنة * قوله (اتساعك الكون من حيث جسما لبنك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك) اى وسعك الارض من حيث جسمك لوجود المناسبة والمجانسة وذلك بقضاء أوطارك منها ووقوف أمالك عليها فيما تنالهمن الحاجات ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لعدم المناسبة لان الروحانية تشوف الى المعارف فلاتزال ترتقى فيها حتى تتعلق بالمكون وصفاته والمكون خارج عن الكون فالروحانية التى تعلقت بالمكون خارجة عن المكون أيضا فلا يسعها لانها لاتناسبها الادوام التعلق بالمكون وحينئذ فينبغى السعى فى تكميلها بالاذكار والرياضات حتى تزول عنها الكدورات البشرية وتصلح لتعلقها بحضرة الرب وسئل أحد بن خضرويه اى الاعمال أفضل فقال رعاية النفس عن الالتفات الى شيء سوى الله تعالى * والحكمة التاسعة * (قوله لايلزم من ثبوت الخصوصية) للعبد بان صار من أهل شهود المكون واعرض عن جميع الاغيار وقطع جميع علائق النفس وتبعه الموجودات وظهرت على يديه خوارق العادات وأمده الله باوصافه فصار غنيا بالله قويا به قادرا به عزيزا به (عدم) وجود (وصف البشرية) فصيرورته غنيا بالله قويا به عزيزا به قادرا به تارة ان شاء الله أبقاه وان شاء أزالها عنه (فامثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت فى الافق وليست منه) اى فالصفة ماخص الله به العبد من تلك الاوصاف كصفة ضياء شمس النهار التى ظهر فى جهات السماء وليس الضياء من السماء اذلو كان منها لدام فاوصاف البشرية من ضعف وذل وعجز بائنة للعبد ولكن غطاها نور الشهود وسترها شمس المعرفة فهى أشبه شيء بظلمة الليل اذا أشرقت عليها شمس النهار فانها تغطى الظلمة ولاتذهبها بالكلية فالخصوصية عرضية للعبد والامور العرضية لاتزيل الذاتية (تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك) اى تارة تضيء أوصاف الله تعالى السنية على وجودك الشبيه بالليل المظلم فيغيب وصفك فيها كسوك الله شيأ من وصفه فتكون عزيزا قويا غنيا قادرا به وتارة يأخذ الله ذلك الضياء

يبارك وامامك وخلفك كذلك وتخرج عن أهلك مادام الحرز معلقا عليك فلا يراك أحد الا الله ومن كشف الله عن بصيرته ماه ماضى الدهر صبيا واستبشرت به *

الا ونلت جوارا منه لم يضم ولا التمست غنى الدارين من يده *

الا استللت الندى من خير مستلم

والمعنى ماراودنى الزمان ذلا وطلبته صلى الله عليه وسلم أن يجبرنى الا انى قد حصلت رمابغية منه صلى الله عليه وسلم لم يحقر ذلك الرغبة بل يحترم ولا طلبت من فضله غنى فى الدنيا بالكفاية وغنى فى الآخرة بالسلامة من العذاب الا والحال انى قد أخذت العطاء من خير مطلوب منه اى حصل لى مطلوبى منه صلى الله عليه وسلم لانه لا يرد سائله وبده خير الدنيا والآخرة والاخبار عن حصول غنى الدنيا صحيح لانه مشاهد فى الحس وكذا الاخبار عن حصول غنى الآخرة لانه مشاهد بقوة يقين الايمان بمزانه صلى الله عليه وسلم

عنك فيردك الى صفاتك الثابتة من ذل وفقر وضعف وعجز ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم تارة يظهر عليه وصف القوة والقدرة فيطعم الفا من صاع وتارة يظهر عليه وصف العجز فيشد الحجر على بطنه من الجوع وكذا ورثته من الاولياء فانك ترى بعض الاولياء في بعض الاحيان عندهم قوة بطش وفي بعضها يكونون عاجزين ومع هذا شموس أنوار قلوبهم وهي المعارف والاسرار ثابتة لاتغيب وانما الذي يغيب هو الخصوصيات التي تظهر على ظواهرهم من غنى وعز وقدرة فيسر الله ذلك ويظهر ما هو كان مستترا من فقر وغيره (فالنهار ليس منك البتة ولكنه وارد ورده ليلك) اى فالخصوصية التي ظهرت عليك ليست من اوصافك الذاتية بل انت مظهر تلك الخصوصية الشبيهة بضوء النهار فهي واردة عليك من حضرة الله تعالى من غير حول منك ولا قوة وهذه الحكمة ترد على من زعم ان القرب من الله تعالى والوصول اليه انما يكون بزوال أوصاف البشرية بالكلية من العبد واتصافه بصفات الربوبية فوقعوا من اجل ذلك في ضلال نعوذ بالله من ذلك

﴿ باب قرب الله تعالى من المخلوقات وظهوره من الاشياء تعريفا ودلالة ﴾

وهذا الباب السادس والعشرون ذكر المصنف في هذا الباب ثلاثة وعشرين حكمة * الحكمة الاولى * قوله (الكون كله ظلة وانما انار ها وجوده الحق فيه) اى الموجودات كلها عدم محض لان وجودها غير ذاتي وانما انارها ظهور الله تعالى فيها ظهور دلالة وتعريف فالنور عارض فيها من حيث تجليه تعالى اى ظهور عالمه فيها من حيث اتقانها وظهور ارادته من حيث تخصيصها وظهور قدرته من حيث ايرازها اى انما كساها كسوة الوجود ظهور الله تعالى فيه بتأثيره اياها وايرازه اياها الوجود (فمن رأى الكون ولم يشهده فيه او عنده او قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وجبت عند شموس المعارف احجب الانوار) اى ان ظلة الاكوان من حيث ذاتها فمن نظر في الاكوان من حيث ذاتها لاجل تعلق اغراضه وشهواته كانت ظلة لقلبه فلا يشرق ذلك القلب بالانوار ومن نظر فيها من حيث تجلي الحق اشرق قلبه بنور المعرفة لانه لم ينظر للاكوان بل نظر المتجلي فيها وهو الله تعالى وانما الاكوان مرآة في حقه فشهود المكون في الاكوان عبارة عن شهود تصرفاته فيها بعد وجودها ولاشك انها تعرف لذلك لانها طرفة عين ما من نفس تبديه الا وله تعالى فيك قدر يمضيه فصاحب هذه الحالة غير مشتغل بالاكوان ولا هي المقصودة له في نظره فهو وان لم يغن عن شهودها كالفاني لانه لو سئل عنها لم يجب الا بالاجمال لعدم التفاته اليها كالناظر للصورة الجميلة في المرآة فانه لا يستطيع في هذه الحالة تفصيل تعت المرآة ولاشك ان صاحب هذه الحالة لم تثبت صور الاكوان في مرآته ولم يكمل قلبه بشهوده وشهوده عند الاكوان عبارة عن شهوده مع شهود الاكوان بان اعتاد ذكر الله تعالى بقلبه واستحضار انه الموجود الحق وان وجود الاكوان عارية معطاة ليس لها وجود حقيقي وتكررت هذه المعاني على قلبه بالتذكر والتفكر فصار معها شهد الموجودات العرضية تذكر الوجود الذاتي فشهود صاحب هذه الحالة اضعف من شهود من قبله فهو كمن ينظر في المرآة بقصدها وقصد ما فيها فان سألته عن المرآة اخبر وان سألته

عند ربه وفي بعض النسخ ماضامني الدهر يوما الى ما الذي الزمان في يوم قوله لم يضم بالبناء للمجهول صفة ثابة جوارا بكسر الجيم وهذان البيتان نادتهما ان من كان مسجونا او خائفا من سلطان ودام على قراءتهما سبع عشرة وقيل سبعا وعشرين مرة بعد كل صلاة فان الله يفرج عنه همه ويجعل له من أمره مخرجا واطلقه من السجن لانكر الوحي من رؤيا ان له قلبا اذا نامت العينان لم ينم وذلك حين بلوغ من نبوته فليس ينكر منه حال محتلم قوله لانكر الوحي بالخطاب ويروى لاينكر الوحي بضم الياء المثناة على البناء للمجهول والوحي نائب الفاعل قوله من نبوته فمن يعني الى قوله فليس ناقص واسمها اما حال محتلم وينكر خبرها ونائب فاعله مستتر يعود الى حال محتلم واما ضمير الشأن ونائب فاعل ينكر عائد على الوحي وحال محتلم منصوب على الظرف قوله منه الضمير عائد على

عمائها اخبر ولكن دون اخبار الاول عمائها عرفته انتهى منه وهذا ايضا صور الاكوان غير حاضرة فى مرآته ولا هو متبع لهواه وشهوده تعالى قبل الاكوان شأن اهل الجذب الواصلين الذين لا يسبق قلوبهم الا الله تعالى والاكوان فى نظرهم كالعدم فهم مشتغلون بالله لا غير فيستدلون بالذات على الصفات وبها على التعلقات وبها على التعلقات فصور الاكوان عندهم كلا صور فلا تهتدى قلوبهم اليها الا باستدلالهم به تعالى عليها لانهم نسوها بالفناء السابق على البقاء فصارت عندهم محتاجة الى النظر فصاحب هذا الحال يشهد الله شهودا مجردا مستقلا لا يتوقف على شهود الاكوان ومثل العلماء شهود المكون قبل الاكوان بمن وقع بصره على شئ مكيوان شاهد قيام الله به وظهوره به وانه المحرك والمسكن له قبل ان ينظر له كونه آدميا او شاة طويلا او قصيرا او غير ذلك وشهوده بعدها شأن اهل السلوك المستدلين بالاشياء على الله تعالى فهم صائرون فى الطريق الى الآن لم يصلوا الحضرة والصور الاكوان تعلق قلوبهم فتسبق اليها ثم يتذكرون فضعف ارتسام صور الاكوان فى مرآة قلوبهم حتى كادان تمحى لكنه الى الآن لم يمح والانوار مشرقة فى قلوبهم اشراقا غير تام ولا يزالون فى الترقى والفرق بين الشاهد بعدها والشاهد عندها ان الشاهد عندها لا يشهدها وحدها بل يشهدها الاكوان شهودا مقارنا لشهود المكون والشاهد بعدها يشهدها وحدها ابتداء ثم يتنقل من شهودها الى شهود الله تعالى قال بعض العارفين اعلم أن الكون كله ظلمة والظلمة هى العدم والنور هو الوجود فكل ما كان وجوده لا بنفسه فهو عدم وحقيقة الوجود لمن هو موجود به وذلك الله الذى شهدت بوجوده أعيان الموجودات ودليله قوله تعالى الله نور السموات والارض أى الله الذى دلت على وجوده وجود السموات والارض فهذا مقام من شهد الله فى الكون أما من شهده عنده فيصدق عليه قوله تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ومن شهده بعده فشهده قوله تعالى أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الى قوله تعالى فذكر والتذكير لا يكون الا بعد سبق نسيان فالذى يشهده قبل الاكوان مستهلك فى شهوده تحت تجليات الاوصاف والذى شاهده عندها شاهد ظهور صفاته تعالى من تحت استار حكمته والذى شهده بعدها يطلب الدليل على وجود المكون لغلبة شهود المكونات على قلبه فيستدل بالاثر على المؤثر وبالصنعة على الصانع وهذا آخر مقامات الموحدين فالاولون أرباب الكشف والعيان والذين يلونهم أرباب النور والبيان والذين من بعدهم أهل الدليل بالبرهان ومن لم يشهده بعد ذلك مقدمة من وجود الانوار الالهية التى بها يدرك مشاهدة الله على أى وجه من الوجوه المذكورة وجبت عنه المعارف التى هى كالشمس بالكائنات التى هى كالسحب أى فقد طمس على عين بصيرته واظلمت عليه نور سريرته ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والحكمة الثانية قوله (مما يدلك على وجوده فقره) معناه أن جميع ما عندك بما ليس بموجود معه) أى اذا جهلت الاكوان من شهود الله تعالى على وجه الكمال فاشهده تعالى من جهة كون الاكوان عدما محضا ومع كونها عدما مترتبة وهذا يدل على قدرته

النبى صلى الله عليه وسلم وفى بعض النسخ فيه الضمير عائد الى حين والمعنى لا تنكر أيها المخاطب وقوع الوحى الثابت من رؤياه صلى الله عليه وسلم حال النوم قال له قبل اليقظة الذا تمة حتى اذا نامت لم يتم قلبه لانه مهبط الوحى وذلك الوحى الثابت من رؤياه فى منامه حاصل وقت وصوله الى نبوته وهو فى ابتداء النبوة وذلك فى أول أربعين سنة من ولادته صلى الله عليه وسلم فلا ينكر فى الزمان المذكور رؤياه الوحى حال احتلام محتلم ويقال فلا ينكر فى الزمان المذكور اومن النبى صلى الله عليه وسلم حال محتلم من رؤياه الوحى فى النوم قال عبد السلام خاصية هذين البيتين لحفظ أن من كتبهما فى مكرجة وعلقها بشرب القفاع وشربهما على الريق خمسة أيام أو سبعة أيام أو تسعة أيام فانه لا يسمع شيأ الا حفظه ولم ينسه أبدا بعون الله تعالى وحوله وقوته تبارك الله ما وحى بمكتسب ولا نبى على غيب بمتهم أى تنزه الله عما يقول

الباهرة وقهره التام فقل حينئذ سبحان من قهرني بلاشيء فتكون مشاهدا لقهره كما قدرته وينقلب الحجاب في حقك مرآة من هذا الوجه وتتعجب من احتجاب العبد عن الحجاب الذي هو الاكوان بمشاهدة مولاه بعد مشهوده من شهود الاكوان قوله بالبس بوجود معه أي برؤية مالبس موجودا معه بالوجود الذاتي ولم تكن الاكوان موجودة معه لان العية توهم الاستقلال والمشاركة في الوجود الذاتي فالاكوان موجودة به تعالى لا معه وفي قوله ان جلك عنه اشارة الى أنه تعالى غير محجوب وان مصدرية وفي قوله بما ليس بوجود معه تنبيه على أن الحجاب غيره تعالى فهو ليس بحجاب ولا محجوب قال ابن العطار رحمه الله تعالى من بحر الكامل

رفعت مقامات الوصول حجابي ... حتى احتجبت بكم عن الحجاب
ولزمت محرابي لزوم تجمع ... فرأيت وجه الحق في المحراب
وخرقت لوح سفينتي لاهلها ... فحبوت من ملك لها غصاب
وقتلت من نفسي غلاما قتله ... سبب النجا من أعظم الاسباب
وكشفت من قلبي جدار حجابه ... عن كنزه الباقي بغير ذهاب
ورقيت في السبع السموات العلى ... حتى دنوت فكنت مثل القاب

فقوله حتى احتجبت بكم أي صرت لا أشهد غيركم وقوله ولزمت محرابي أي أدمت توجهي حتى فنيت بحيث انه لا أشهد غيره فرأيت مقصودي وقوله وخرقت لوح سفينتي أي خرقت العوائد من نفسي فنعتها من شهواتها وأخرجتها عن مرادتها فحبت من ملك الاكوان لها وقوله وقتلت من نفسي غلاما تجريد أي قتلت نفسي لانجو من الموت الذي هو البعد والغيبة في بحر الغفلة قال بعضهم ما حيا القلب الا في موت النفوس وقال سيدي أبو مدين من لم يمت لم ير الحق والموت عندهم هو الفناء عن الاغيار وقوله ورقيت في السبع الى آخره قال سهل ابن عبد الله للنفس سبع جهات سماوية وسبع أرضية فكلما دفن العبد نفسه في أرض سما قلبه في سماء فاذا دفن نفسه تحت الثرى وصل القلب الى العرش * والحكمة الثالثة * قوله (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي اظهر كل شيء) أي كيف يمكن أن يحجبه شيء وهو الذي اكسب كل شيء الظهور واذا كان كذلك فالظهور أصالة انما هو له تعالى وأما ظهور غيره فبالعرض وكيف يمكن ان يحجب الذي ظهر بالعرض الذي ظهر بالاصالة وكيف يحجب الاضعف الاقوى وبين تركيب القياس ان يقال لو حجبه شيء لما اظهر كل شيء لكنه اظهر كل شيء فلم يحجبه شيء (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء) فان كل شيء مما اظهره الله يشهد بوجوده تعالى وقدرته وارادته وعلمه لان الصنعة تشهد بوجود الصانع فلا يتعاصى عليه تعالى شيء وهذا معنى قوله تعالى ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الآية فسجود هذه الاشياء كناية عن انقيادها وانفعالها (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء) أي تجلى في كل شيء فالاشياء مظاهر يظهر فيها معاني اسمائه الحسنى يظهر في أهل العزة كونه تعالى معزا وفي أهل الذلة كونه مذلا ويظهر في الاحياء معنى اسمه المحيي وعند سلب الارواح منهم معنى اسمه المميت وعند العطاء معنى اسمه

الكافرون نزلها عظيما ليس الوجود كنسب لاحد بتخصيصه له بأسباب بل بتخصيص الله به من يشاء من عباده فلا ينكر وقوعه في يوم كما لا ينكر وقوعه في اليقظة وليس نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام يخبر على اخبار أمر غائب لانهم معصومون من الكذب كسائر المعاصي قال ابراهيم المتولي ان أكل آدم من الشجرة لم يكن معصية حقيقة وانما كانت المعصية صورة ليرى بذلك كيف يعملون اذا وقعوا في محذور لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ترقيهم دائم فلا ينتقلون فطن مقام الا الى أعلى منه وقال عبد الوهاب الشعراني أكل آدم من الشجرة انما كان بعض نفوذ قدر لا غير كم أبرأت وصبا بالمس راحته *
وأطلقت أريا من ربقة الالم

قوله وصبا بكسر الصاد أي مريضا ويؤنثها أي مرضا فهذا على تقدير مضاف أي ذا مرض قوله اربا بالباء الموحدة المضمومة وفتح الراء بمعنى عقد والمابضع

المعطى وعند المنع معنى اسمه المانع وعند افاضة الفضل معنى اسمه الكريم وعند اجابة الدعاء معنى اسمه المجيب وعند تسليطه للضار وجلب المنافع معنى اسمه الضار النافع الى غير ذلك (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء) في أحوال ذلك الشيء فكل شيء له ادراك وقد ذكر الشيخ محيي الدين أن الحياة حياتان حياة مع وجود الروح وحياة في الجسم مع فقد الروح بجمع الآيتين بهذه الحياة وقد قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده أي يسبح بلسان القال بدليل قوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم لا بلسان الحال فقط وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال الزرع يسبح وأجره لصاحبه والثوب يسبح ويغسل الوسخ لصاحبه ان كنت مؤمنا فاغسلني اذا وقال القاضي أبو بكر بن العربي ان الادراك الشامل في جميع الاجرام والذاوردة تسبيحها وتكلمها فلا درك الجليل عنه فانه صارد كا ولكن الله تعالى أخذ على أبصار كثير من الناس فلم يدركوا تسبيح الاجرام اه فكل شيء عارف به تعالى على قدر ظهوره تعالى ولذا كان ساجد الدوسجد ولكن لا نفقه ذلك واخرج البيهقي عن صدقة بن يسار قال كان داود عليه السلام في محرابه فابصر دودة صغيرة تفكر في خلقها وقال ما بال الله خلق هذه فقطعها الله فقالت يا داود انجبك نفسك لا انا قدر على ما آتاني الله وأذكر وأشكر له منك على ما آتاك الله (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء) لظهوره تعالى الذاتي لتحقق هذا الاسم له تعالى ازلا وابدا أما ظهوره تعالى بالاشياء او فيها فهو بالنسبة الى أهل الحجاب لا بالنسبة الى اهل الشهود الذين يسبق الله الى قلوبهم ويستدلون به على الاشياء ويعرفونها به وهذا معنى قول الشيخ ابي الحسن رضي الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف ام كيف يعرف بشيء من سبق وجوده وجود كل شيء (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الظاهر من كل شيء) لان الظهور الذاتي اقوى من العرضي والدائم اقوى من المتصرم (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء) ازلا وأبدا اذ كل ما سواه عدم وانما وجوده به تعالى لا بهم (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو أقرب اليك من كل شيء) لثبوت احاطة علمه وارادته وقدرته بك في لحظات لك ولا تفارقك تصرفاته في وقت من اوقاتك واللازم للشيء في جميع حالاته اقرب اليه من غيره فالله تعالى قريب لنا بذاته عند اهل الشهود وأما أهل الحجاب فيقولون هو قريب بعلمه وقدرته وارادته الى غير ذلك (كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه لما كان وجود كل شيء) لان وجود ما عداه تعالى منه تعالى حتى استدل به الشاهدون على الاشياء قال تعالى اولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد وهذا رجوع لشاهدة الله تعالى في الكل وهو وحدة الوجود (يا ليتها كيف يظهر الوجود في العدم) أي كيف يصح أن يظهر الوجود الذاتي في العدم مع ان العدم ظلمة والوجود نور والضدان لا يجتمعان (أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) اي ان الله يظهر في الاكوان الظهور الكامل بل كيف يثبت الحادث مع ذلك الظهور لانه لو ظهر الظهور الذي لاخفاء معه لذهبت الاكوان ولا ثبت الله تعالى مع الحادث لان الراني في الاكوان والمرئي ليس فيها بل تقول اذا قوي الشهود على العبد اضمحلت الاكوان في نظره وفني عنها حتى يفنى عن نفسه وعن فنائه مع انه لم يحصل له الظهور الذي لاخفاء معه فاوصل اليه العارفون من ظهوره ومعرفة جلاله وجماله وان كان عظيما

الهمز وكسر الراء اي ذا حاجة والهم بفتح اللام بمعنى الجنون او بمعنى الذنوب والمعنى كثيرا شفت راحته صلى الله عليه وسلم مريضا بسبب الحمى وهذا اشارة الى ما روي من أن محمدا ابن حاطب احترقت يده بالنار فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فمسح عليها فبرأت من ساعتها ومن أن بشر الجني كان بكفه سلعة فمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فازال يطعنها بكفه حتى لم يبق لها أثر وكثيرا حلت عقدا كائنة من عقد الجنون التي يربط الجن بها الآدميين وهذا اشارة الى ما روي من أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم بابن لها به جنون فمسح يده المباركة صدره فقاء قيئا فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود وبرئ لوقته ومثال وكثيرا حلت راحته عند حبل الكفر ثم صار محلولا منها ببركة مسه يكفه صلى الله عليه وسلم ومثال وكثيرا حلت راحته ذا حاجة من عطاء

كثيرا فى نفسه فهو بالنسبة الى ماخفى عنهم يسير والفناء على ثلاثة اوجه فناء فى الافعال ومنه قولهم لافاعل الاالله وفناء فى الصفات وهو قولهم لاحى ولاعالم ولاقادر ولامريد ولا سميع ولابصير ولامتكلم على الحقيقة الاالله وفناء فى الذات وهو قولهم لاموجود الاالله وقال الشيخ محيى الدين من شهد الخلق لاصل لهم فقد فاز ومن شهدهم لاحياة لهم فقد حاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل * والحكمة الرابعة * قوله (الحق ليس بمحجوب عنك) اى ليس الحجاب وصفا له تعالى (وانما المحجوب أنت عن النظر اليه) اذ انت محجوب بعيوبك عن النظر اليه تعالى ببصيرتك اى انك لم تصل الى مقام المشاهدة وهو مقام الاحسان لامتلاء صدرك من دخان الشهوات وعماء بصيرتك من العيوب وادناس الذنوب فان اردت الوصول اليه تعالى والدخول فى حضرته فتش عن عيوب نفسك وعالجها تصل اليه وتشاهده ببصيرتك وحجابك عن الله تعالى على وجهين حجاب بصر وحجاب بصيرة فحجاب البصر عينك الاصلى الذى هو النفس والفناء ولازوال لهما الا فى الآخرة فلا رؤية الا هناك وحجاب البصيرة عينك العارضى فاذا زال كشفت لك الحقيقة ورأيت من ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ثم استدل على استحالة الحجاب على الله بقوله (اذ لو جبه شئ) كما هو عادة العظماء (لستره ماجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر) لانه يصير المحجوب فى جهة من الساتر (وكل حاصر لشئ فهو قاهر) لانه يجمعه ماوراءه ويحصله فى أسر قبضته كيف وقد قام الدليل على أن الله لايكون مقهورا بل قاهرا والمعنى انا لو نظرنا الى مانقتضيه عظمته تعالى من ثبوت الحجاب لكان له ساتر فالساتر حاصر ومن حصر شيأ اخفاه والاخفاء قهر (كيف وهو القاهر) اى بالامر والنهى (فوق عباده) فوقية معنوية تليق بجلاله واذا كانوا كلهم مقهورين له فلاشئ منهم حاصر له تعالى اذ المقهور لايكون حاصرا لقاهره * والحكمة الخامسة * قوله (شعاع البصيرة يشهدك قربه منك) اى نور العقل الهادى للايمان وهو المعبر عنه بعلم اليقين ينكشف به قرب الله منك واحاطته بك علما وارادة وقدرة بواسطة الدليل والبرهان وثمرته مراقبته تعالى والاستحياء منه وسكون القلب اليه على حسب ماوصل اليه الدليل وهى مراتب مختلفة (وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده) اى ونور العلم بالله الحاصل بكثرة ملازمة الشهود والوقوف عند الحدود وهو المعبر عنه عندهم بعين اليقين ينكشف به أوصاف الله تعالى فتشهد وجود الله الذاتى وتشهد الاكوان عدما لاجل وجوده الذى تضمحل الوجودات معه فلا تلتفت اليها لانوجودها عارية وثمرة عين اليقين ان لايبقى فى نظرك ماتعتمد عليه ولاماتستند اليه ولاماتستأنس به غير مولاك فيتم له التوكل والتفويض والاستسلام والرضا وهو اعلى من علم اليقين لان علم اليقين اثبت لنفسك وجودا ومشاهدة قرب الله منك واما عين اليقين فلم ترلنفسك معه تعالى وجودا فاذا اشتد عليك العرفان لم تر لنفسك وجودا ولا عدما كما أشار الشيخ له بقوله (وحق البصيرة يشهدك وجوده لاعدمك ولاوجودك) اى ونور الحق وهو المعبر عندهم بحق اليقين ينكشف به الذات المقدسة بلا واسطة على مايليق بالشاهد والمشهود فلا ترى موجودا سوى الله تعالى وثمرة ذلك الفناء الكامل فيه عن فنائه استهلاكا فى وجود سيده (كان الله ولاشئ معه) اى كان الله موجودا فى الازل ولا

أوشفاء أوخلوص من الم وغير ذلك ٢ من جبل جزء الجنون والمحتاج الى الشئ قبل اتصاله بحاجته كانه مجنون فاذا اتصل بها كانه اطلق من الجنون قال عبد السلام خاصية هذين اليومين اذا كتب فى خرقة زرقاء وجعل فى فتيلة وبخر طيروبا بالنار وجعل تحت أنف المصروع بحيث يدخل الدخان فان الجن يصيح عند ذلك ويخرج سريعا ولا يعود الى ذلك أبدا فاذا خرج منه فاكتبها فى حرز مع شئ من القرآن وعلقه على المصاب فانك ترى العجب

وأحيت السنة الشهباء دعوته * حتى حكت غرة فى الاعصر الدهم

بعارض جاد اوخلت البطاح بها * سيامن اليم اوسيلا من العرم * أى وأخصب دياؤه بالسقيا السنة الجدبة التى لاخير منها من النبات والمطر حتى شابهت تلك السنة أحسن السنين فى الازمنة السود لشدة خضرة الزروع فيها بسبب سحاب كثر مطره

٢ قوله من جبل لاينهر له معنى فليتأمل

فلكا معه تعالى ولا غيره وهذا حديث صحيح رواه البخاري وغيره وهذه جملة مستقلة وفي المعنى علة لقوله وحق البصيرة (وهو الآن على ما عليه كان) وهذا ليس من أصل الحديث بل من كلام الجنيد ادرج فيه والمعنى ان العالم أزصنعه تعالى فبهذا الاعتبار ليس معه تعالى موجودا له تعالى متفرد بالوجود الذاتي لا مشارك له فيه وان وجود الحوادث عندي لان وجودها عرضي فصح هذا الكلام وان معنى قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء معه اي لا وجود ثان معه تعالى وهو الآن على ما وجد عليه اي فليس هذا الموجود وجودا ذاتيا فلا ينافي ان هناك اشياء وجدت بالوجود العرضي فليس سيدنا الجنيد منكرا لحقائق الاشياء فهذا جواب ثلاثة روى عن ابي عبد الله محمد بن الحسين البغدادي قال حججت بيت الله الحرام وزرت قبر النبي عليه الصلاة والسلام فبينا انا اطوف في بعض الشوارع واذا بشيخ قابض على بدي جارية منفيرة اللون نحيلة الجسم وعلى وجهها نور ساطع وضياء لامع وهو ينادي هل من طالب هل من راغب هل من زائد على عشرين دينارا والبراءة من كل عيب قال ابو عبد الله فتأملت الجارية في عينها فدنوت منها ونظرت اليها فوقع في قلبي لها محبة عظيمة وفي عيني هيبة جسيمة فدنوت من الشيخ وقلت يرحمك الله عرفت الثمن فما العيب قال انها تصوم النهار وتقوم الليل لا تأكل طعاما ولا تشرب ماء فألفت الفقر والوحدة في كل أرض وبلدة قال ابو عبد الله فاشتريتها وسرت بها الى منزلي فنظرت الي وقالت يا مولاي الصغير من اين تكون يرحمك الله قلت من العراق قالت من اي العراق امن البصرة ام من الكوفة قلت لا من البصرة ولا من الكوفة قالت فمن اين من الزوراء مدينة السلام من بغداد قلت نعم قالت نعم نعم معدن الزهاد والعباد قلت هل لك علم بزهاد العراق وعبادها وقلت في نفسي جارية مملوكة من اين تعرف الزهاد والعباد فاقبلت عليها كالملاعب وقلت يا جارية من تعرفين منهم قالت أعرف مالك بن دينار البصري وسريا السقطي وصالح المري وابا حاتم السجستاني ومعروفا الكرخي وبشر بن الحرث الحافي والحسين بن محمد البغدادي ورابعة العدوية وشعوانة وعلانة ومجونة فقلت لها من اين معرفة هؤلاء فقالت وكيف لا أعرفهم وهم والله أطباء القلوب والدالون العين على الغيوب فقلت لها من تكونين يا جارية يرحمك الله فانا ابو عبد الله محمد بن الحسين فصاحت واشوقاه الى الحبيب المحبب اقاؤه كنت أتمنى لقاك قبل موتي ولو يوما واحدا سيدي ما فعل صوتك الذي كنت تتحبب به الى قلوب العارفين وتحيي به قلوب المريدين قلت باق على حاله قالت سألتك بالله الا قرأت علي شيئا من القرآن فقرأت بسم الله الرحمن الرحيم فصرخت الجارية صرخة عظيمة وخرت مغشيا عليها ساعة تضطرب فتغمت عليها الماء ومسحت عينها بفاضل احرامي فافاقت من غشيتها ثم قالت يا سيدي هذا اسمه فكيف لو رأيت في الجنان وجهه ثم قالت اقرأ يرحمك الله فقرأت يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون فقالت يا سيدي وانت ممن يخطب الحور العين قلت نعم فقالت فاين المهر قلت اني مفلس فدلني على المهر يرحمك الله فسكتت ساعة وقالت عليك بركعتين خفيفتين

وقلت ايها الفاضل مسايل الماء فيها ماء جار من البصر أو سائل من الوادي المسلوك بالسد قوله الدهم بضمتين جمع أدهم قوله بمارس متعلق باحيت او بحكت قوله أو خلت فوجهين الواو أو بمعنى الى قوله بما سيأتي محل نصب سدت مسد المفعول الثاني قوله العرم بفتح العين وكسر الراء وهو في الأصل اسم لما يمسك الماء من بناء وغيره دعني ووصفي آيات له ظهرت • ظهور نار القرى ليلا على علم قوله ووصفي بفتح الياء وهو معطوف على الياء من دعني أو مفعول معه قوله له صفة لآيات قوله ليلا ظرف لظهور وكذا على علم فهو متعلق بظهور والمعنى يا من ياوعني اتركني أذكر معجزات كائنة له ظهرت ظهورا مثل ظهور نار الضيافة التي توقدها العرب الكرام ليلا حالكا على جبل شاهق يجلب الضيفان واشار الناظم بذلك الى نور الايمان فقد اتضح في ظلمة الكفر كما اتضح نور النار في ظلمة

في الظلة بجمع الهمة تؤدي مهرهن ثم قالت اقرأ يرحمك الله فقرأت وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناضرة فصاحت واشوقاه الى لقائه يوم يتجلى فيه لاوليائه قال ثم انها بكت ساعة زمانية ونظرت الى السماء ثم صرخت صرخة عظيمة وخرت ميتة رحمة الله عليها قال ابو عبدالله فخرجت اريد جهازها فلما رجعت اذا بها محوطة مكفنة عليها حلتان خضروان من حلل الجنة وعلى صدرها سطران مكتوبان لم يكتبهما كاتب السطر الاول لا اله الا الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم والسطر الثاني الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فصليت عليها ووارتها وقرأت على قبرها سورة يس وانصرفت باكي العين حزين القلب على فراقها فلما قبل الليل قمت الى محرابي ولم ازل ساجدا وراكعا الى ان مضى من الليل اكثره فغلبتني عيناي فنمت واذا بالجارية وجهها اضوء من الشمس وعليها احلى من السندس والاستبرق وعلى رأسها اكليل مرصع بالدر والجواهر وفي قدميها نعلان من الياقوت الاحمر ولها رائحة كالمسك الاذفر وهي في مرج من الزعفران فسلمت علي فقلت من أنت يرحمك الله قالت انا الجارية التي اشتريتني بمالك لا تظن ان مالك قد ضاع ان الله تعالى قد عوضك وانك الجنة فقلت لها اني اعهدك متخيرة الون في دار الدنيا قالت بغى الله وجهي في الآخرة كما بغى قلبي في الدنيا قلت فبم نلت هذه المرتبة يرحمك الله قالت بكثرة الاستغفار وحب الفقراء والمساكين فاني رأيت سكان الجنة فاعلمين ذلك وهو الحكمة السادسة وقوله (التعب كل التعب لمن يهرب ممن لا انفكاك له عنه) وهو الله تعالى فانه مع العبد في جميع تقلباته وذلك باقباله على شهواته ومتابعته هواه وبعدم فعل ما يقربه الى مولاه (ويطلب ما لا بقاء له معه) وهو الدنيا وكل شيء سوى المولى اذ لا بد من ارتحال ذلك عنه وارتحاله هو عنه بالموت قوله التعب بالنصب وجوبا لانه نائب عن الفعل اي تتعب وقوله كل التعب بالنصب على انه مفعول مطلق نائب عن المصدر وقوله يهرب بضم الراء (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقوله فانها الضمير للشان والقصة والى بالآخر جوعا عن التعب وكانه قال لا تتعب فان البصائر تعمى والاعظم ضررا هو عمى البصائر لا عمى الابصار لان عمى الابصار انما يحجب عن المحسوسات الخارجية وعمى البصائر يحجب عن المعاني القلبية والعلوم النافعة الربانية والحكمة السابعة ، قوله (انما استوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء) أي ان العباد والزهاد يفرون من الخلق لانهم محجوبون عن الله تعالى برؤية نفوسهم ومراعاة حظوظهم فيخافون من الاشياء ان تعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم مقاصدهم لبلهم انها لانها موجودة في نظرهم فالعباد هم الذين يتوجهون الى الله تعالى بطريق العمل والزهاد هم المتوجهون اليه تعالى بطريق التوكل فكل من الفريقين يعتزل الخلق ويستوحش منهم (فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء) أي واما العارفون فهم مع الله بقلوبهم لم يضرهم مخالطة الخلق باجسادهم فهم يرون منهم حقيقة يجتمعون معهم صورة لكونهم يرون الله تعالى في الاشياء كلها فقد رزقوا قرة العين تشغلهم عن رؤيتهم لنفوسهم فلا تكون لهم من الاشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها فانية وعلى قدر المعارف القلبية تكون كثرة العبادة وتيسرها والقدرة عليها بلا تكلف والحكمة الثامنة قوله (تطلعك الى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له) أي تطلعك الى بقاء غير الله من واردات وانوار ومقامات وتم

الليل قال عبد السلام رحمه الله تعالى خاصية هذه الآيات الثلاثة أن من نقشها في خاتم رصاص في الساعة الاخيرة من ليل أو نهار وعلقه في أعلا شجرة في جنابه أو دفنه في وسط الارض البيضاء فان الله تعالى يغضب كل ما في الارض ويسلبه من كل ماهية ولابد أن يخرا الآيات مع الصور والعود دماء النقش فالدر يزداد حسنا وهو منتظم ،

وليس ينقص قدرا غير منتظم

أي دع عنك هذا اللام في هذ المرام فان الجمرات يزداد ظهورها بذكرها ولا ينقص من ثمنها الدائم تذكر كالدر البهي الثمين فهو في حالة كونه منظوما في خيط قلادة عنق النساء الحسان أحسن صورة في العيان وليس الدر ينقص قيمته اذا كان منثورا

فتطاول آمالي المديح الى ما فيه من كرم الاخلاق والشيم ،

قوله فتطاول انقاء عاطفة وما ما نافية وتطاول فعل ماض وآمالي فاعل مضاف

ظاهرة وباطنة دليل على عدم وجدانك له ولو وجدته في قلبك لا كتفيت به وهان عليك كل ماسواه (واستيحاشك لفقدان ماسواه دليل على عدم وصلتك به) أي استيحاشك لفقدان ماسواه من واردات وغيرها دليل على عدم وصولك الى العلم به اذ لو وصلت اليه كفاك الانس به بل يكون ذكر الغير مصيبة فالمتأنس به تعالى لا يستوحش بوجود شيء سواه ولا بفقده كما روى عن ابي عبد الله البسري رضي الله عنه قال سألت رجلا بالشام مالذي أجلسك في هذا الموضع فقال لي وما سؤالك عن شيء ان طلبته لم تدركه وان لحقته لم تقع عليه قلت تخبرني ما هو قال علي بان مجالسة الله تستغرق نعيم الجنان والمراد بمجالسة الله هو المشاهدة القلبية لانه تعالى منزه عن المكان ثم قال لواء قد كنت اظن أن نفسي ظفرت ومن الخلق هربت فاذا انا كذاب في قولي لو كنت مجالسا صادقا ما اطلع على احد قلت أما علمت ان الحبين خلفاء الله في أرضه مسامرين بخلقه يعشونهم على طاعته نصاح صبيحة وقال لي يا خضوع لو شممت رائحة الحب وبان قلبك ملوءا ذلك من القرب ما احببت أن ترى فوق ما رأيت ثم قال يا سماء ويا ارض اشهدا أني ما خطر على قلبي ذكر الجنة والنار قط ان كنت صادقا فأمنني فوالله ما سمعت له كلاما بعدها وخفت ان يسبي الي الظن من الناس من قتله فتركته ومضيت فبينما انا على ذلك واذا انا بجماعة فقالوا ما فعل الفتى فكنيت عن ذلك فقالوا ارجع فان الله قد قبضه وصليت معهم عليه فقلت لهم من هذا الرجل ومن انتم قالوا ويحك هذا رجل بكاء قد بطر المطر قلبه على قلب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام امرأته تخبر عن نفسه ان ذكر الجنة والنار ما خطر على قلبه فهل كان احد كذا الا ابراهيم الخليل عليه السلام فقلت من أنتم قالوا نحن السبعة المخصوصون من الابدال فقلت علموني شيئا قالوا الا تحب ان تعرف ولا تحب ان يعرف انك ممن يحب ان لا يعرف * والحكمة التاسعة قوله (ما تجد القلوب من الهموم والاحزان فلاجل ما منعت من وجود العيان) بكسر العين والهم هو ما يعلق بما يكون في المستقبل والحزن لاجل ما كان والمعنى ان من منع من معاينة الله تعالى ومشاهدة تصريفه وان لا فعل لغيره حصل له الهم والحزن قال الشبلي رضي الله عنه من عرف الله لا يكون له غم ابدا اه والعيان درجة فوق درجة اليقين كما قال الشاعر من بحر الكامل

كبر العيان على حتى انه * صار اليقين من العيان توهما

وقال السري السقطي رضي الله عنه * من عرف الله عاش * ومن مال الى الدنيا طاش * والاحمق يغدو ويروح في لاش * والعاقل من عيوبه فتاش * والحكمة العاشرة * قوله (متى أتاك عدم اقبال الخلق عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يشنمك على تصييرك بعدم فنائك اشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم) فمتى ظرف وهو سؤال عن زمان أي أي زمان أي متى وجد فيه عندك الغم عدم اقبال الناس عليك او توجههم بالذم اليك فاكشف بعلم الله فيك عن علمهم بحالك لانك ان كنت عند الله مخلصا في اعمالك مقبولا فأي شيء يضرك من كونك عند الناس ليس على ذلك الوصف حتى يتوجهوا اليك بالذم وان كنت حقيرا ممقوتا لعدم اخلاصك في اعمالك فأي شيء ينفعك من رضاهم عنك وثنائهم عليك فان كنت مكتفيا بعلم الله فيك كان ذلك اعظم لغم وان كنت تحب ان يدخل مع علم الله علم

الى يا المتكلم والمدح منصوب بتزع الخافض او بامالي والمعنى فلتطاول آمالي بالمدح الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من نفاسة الاخلاق والطبائع لعلي بالعجز عما هنالك واما استفهامية استعادية في موضع رفع بالابتداء وتطاول مصدر مرفوع خبر ما وآمالي مضاف اليه والمعنى فاية غاية تطاول آمالي بالمدح الى تمام ما فيه صلى الله عليه وسلم من نفاسة الاخلاق والطبائع مع انها لا تتناهى وفي بعض النسخ آمال بالالف مضاف الى المدح على تقدير مضاف اي آمال صاحب المدح والمعنى اي آمال صاحب المدح ما مسدت عنقها لتنظر من بعيد الى تمام ما فيه صلى الله عليه وسلم من نفاسة الاخلاق والطبائع لعلمها باليأس من ذلك ويقال اي غاية لتطاول اعناق المدح الى تمام ما فيه من الاخلاق والشيم الكريمة فانه شيء لا يدرك لتشوق لادراكه عناو هذا البيت الى آخر قوله قد تذكر العين خاصية هذه الابيات لئن كان لا يحسن العبارة لكونه غير عربي وان كان ألكن

غيره حتى يطلع على اخلاص اعمالك فيعظم خصيتك الحاصلة لك بذلك اشد من الخصية التي حصلت بوجود ذمهم اياك واعراضهم عنك لان عدم القناعة بعلم تعالى سوء الادب فهو مقبل على الهلاك وهو مصيبة لانه رد ذلك اليهم واما اذا هم اياك فهو نعمة لانه رد ذلك اليه تعالى (انما أجرى اليك الاذى على أيديهم لئلا تكون ساكنا اليهم) فقوله اليك متعلق باجرى وعلى أيديهم متعلق بالاذى فعلى بمعنى من وقوله انما أجرى الى آخره اشارة الى مصالح الاذى من الناس الحالية والى خفايا الطافه تعالى على العباد اى انما اجرى الله تعالى اليك الاذى من الناس لئلا تكون آنسا بهم ومعتمدا عليهم بل لتفزع الى الله الذي سكونك اليهم سبب نجاتك منك وجزعك منه تعالى سبب أخذه تعالى فاحذر اخذه فان اخذه اليم شديد ولذلك كان سيدي عبد السلام بن مشيش يقول في الدعاء اللهم ان قوما سألوك ان تسخر لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون مطمئنا الا اليك * والحكمة الحادية عشر * قوله (ما حجبك عن الله وجود موجود معه انما شيء معه حقيقة ولكن حجبك عنه توهم وجود شيء معه) بالميل اليه لاعتقاد نفع او ضر فوجود الكائنات كوجود الظلال فالظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم وظلية الآثار لم تفسخ أحدية المؤثر ومن شهد ظلية الآثار لم تحجبه عن الله تعالى فان ظلال الاشجار في الانهار لا تعوق السفن عن الابحار ومن هاهنا يتبين لك ان الحجاب ليس أمرا وجوديا بينك وبين الله تعالى ولو كان بينك وبينه تعالى حجاب وجودي لزم أن يكون أقرب اليك منه تعالى ولا شيء أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فاحجبك عن الله وجود موجود معه بل توهم وجود ماسواه وذلك كرجل بات في مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هناك فظن ان ثم أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح ابصر هناك أسدا وانما الريح اقتضت في تلك الكوة فامنعه عن الخروج وجود أسد وانما منعه عنه توهم الاسد * والحكمة الثانية عشر * قوله (لولا ظهوره في الكونات ما وقع عليها وجود ابصار) اى لولا ظهوره تعالى في الكونات بمشاهدة صفاته تعالى فيها وبالله تعالى فيها من التدبيرات ما أمكن ان تبصر لانها في ذاتها ظلمة لان عدم بما انى ووجودها عرضي والظلمة لا تبصر والمكونات لا تمنع رؤية صفات الله تعالى لانها عدم محض فلو تجلى الله على المكونات بذاته لم يبق لشيء منها أثر (لو ظهرت صفاته لاضمحلت مكوناته) اى لو ظهرت صفاته تعالى الجلالية الاحدية المقتضية للانفراد ذهبت مكوناته لضعفها عن مقابلة هذه الصفات الناشئة من التعدد ولكن ظهرت المكونات بصفات الكمال والجمال * والحكمة الثالثة عشر * قوله (أظهر كل شيء لانه الباطن) اى اظهر الله تعالى كل موجود ليدل عليه لانه الباطن اى المتعالى عن ادراك الافهام المنزه عن احاطة العقول فاظهر الله الموجودات لئلا يبطن شيء فيشاركه في هذا الوصف مع انه تعالى لا يشاركه شيء في صفاته (وطوى وجود كل شيء لانه الظاهر) اى انه تعالى اذا كان هو الظاهر كان غيره لا ظهور له والا لم يكن مختصا بوصف الظاهر ظهور الاشياء بالنسبة لظهوره تعالى كلا ظهور لشدة ظهوره فما هو الذي أظهر كل شيء وظاهر كل شيء وظهر في كل شيء وظهر لكل شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء والاشياء انما يكون لها ظهور

لا تستقم له جدة لكتبها في صحيفة فضار بها ورد وزعفران ونحوها ويشربها عند ارادة النوم مرة وقيامه من النوم مرة فانه يصير فصيح اللسان وتقوى جنانه ويرزقه الله القوة على العبارة ان شاء الله

آيات حق من الرحمن محدثة *

قديمة صفة الموصوف بالقدم قوله آيات حق مبتدأ خبره مقدر قبله والاضافة اضافة الموصوف للصفة وجمع ما سبأتي في قوله في البيت الثاني عشر وكالميزان معدلة صفات الآيات وما جمع بين الصفات من متعلقاتها اى من معجزات نبينا باتها حق كائنة من عند الرحمن لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم محدثة النزول والحروف وفي بعض النسخ محكمة اى متقنة النظم في البلاغة بحيث لا يقدر مخلوق على الاتيان بمثلها قديمة المعاني لان معاني الآيات صفة الموصوف بالقدم ويجوز نصب آيات على البدل من آيات في البيت السابق بالكسرة الظاهرة بل هذا أولى وأظهر في المعنى لان عدم تقدير المحذوف أولى من تقديره

لم تقترن بزمان وهي تخبر عنه

في وقت دون وقت وفي مكان دون مكان وعند شيء دون الغير ومن بعض الوجوه دون بعض والله تعالى له الظهور الذاتي قبل الزمان ومع كل زمان وقبل المكان ومع كل مكان وقبل الاشياء مع كل شيء ومن كل وجه واعتبار فتبين انه تعالى المتفرد بكمال الظهور فذا صار ظهور كل ظاهر معلولا اي متلاشيا * والحكمة الرابعة عشر * قوله (انما يجب الحق عنك شدة قربه منك) اي حقيقة قرب العبد من ربه أن يكون مشاهدا قربه وشدة القرب يجاب أن شدة البعد يجاب لان شدة قربه منك موجبة لذهابك والذاهب لا مناسبة بينه وبين الموجود الثابت فكيف براه او المعنى انما يجب الله تعالى عنك شدة قربه منك بالادلة الكثيرة التي نصبها فصارت مظهرة له فاشتغلت بها لتستدل بها عليه فحجبت بها فهي مظاهره تعالى لا مدل عليه (انما احتجب لشدة ظهوره) اي انما احتجب الله عنك لشدة ظهوره لان الشيء اذا اشتد ظهوره تعذر الوصول الى الاحاطة بحقيقته كالشمس لما اشتد نورها حجبت الابصار الضعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها الذي أوجب وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب على الحقيقة منها فان الظاهر لذاته لا يحجب من ذاته وانما الحجاب عليه من غيره والحجاب هاهنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور أو المعنى احتجب الله عن الخلق لشدة ظهوره بكثرة نصبه للادلة الظاهرة له فوقع الاشتغال بها اذ ليس لنا حجاب عنه الا المظاهر الشاغلة (وخفي عن الابصار لعظم نوره) أي وانما خفي الله تعالى عن أبصارنا في الدنيا لعظم نوره وضعف الابصار عن مقارمته أو لعظم نوره لامتلاء الوجود بنصرفاته وأفعاله اذ هي كلها أنوار مظهرة له تعالى معرفة باسمائه وصفاته وذاته فجعل الله تعالى هذه الانوار ساترة لخلقه ومجلى لهم فيها اذ لو تجلى لهم بدونها لاضمحلوا وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حجابه النور * والحكمة الخامسة عشر * قوله (كيف يحجب الحق بشيء والذي يحجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر) أي لا يصح احتجابه تعالى بشيء لان كل شيء شاهد بوجوده تعالى وقربه لان الله أظهر منه وقربه فان معاني أسمائه تعالى ظاهرة فيه كامر * والحكمة السادسة عشر * قوله (أباحك ان تنظر ما في المكونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات) اي أذن الله لك ان تنظر ما في المكونات من آثار الله تعالى وبدائع صنعه وآثار صفاته كالقدرة والارادة فهذا النظر مندوب لانه شرط كمال الايمان على الراجح وما أذن الله لك ان تقف مع ذوات المكونات لانها غير مقصودة بالنظر لذاتها فهي كالمرآة ينظر فيها لقصد من يرى فيها فهي وسيلة لا مقصود أشار المصنف الى هذا المعنى بقوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات) أي تفكروا ما في السموات والارض من عجائب صنعه تعالى ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا اسم موصول أو نكرة موصوفة (فتح لك باب الافهام) أي بهذا لك الله للنظر الى المعاني لتستدل على الصانع (ولم يقل) تعالى (انظروا السموات) بإسقاط الظرفية (لئلا يدلك على وجود الاجرام) فتحجب بها عنه تعالى ولا تشاهده فيها فتصير مقصدا بعد أن كانت وسيلة لانها صارفة بالاشتغال بها عن عين الحقيقة وذلك من أكبر المصائب والآفات * والحكمة السابعة عشر * قوله (الاكوان ثابتة بإثباته ومحوة بأحديته ذاته) أي ان الصوفية لا ينكرون حقائق الاشياء الا انهم لا يشهدون لها وجودا مع الله تعالى لان وجودها غير ذاتي ووجوده

عن العاد وعن عاد وعن ارم قوله لم تقترن في محل نصب او رفع على انه خبر آيات حق او خبر مبتدأ محذوف اي هي اي معاني الآيات لم تقترن بزمان لانها قديمة والزمان حادث والقديم لا يقترن بالحادث ويقال ان هذه الآيات لم تقترن بزمان دون زمان كبقية الكتب فان كل كتاب بكل نبي مخصوص بزمانه لان ملته وكتابه منسوخان بخلاف هذا الكتاب وهذا النبي صلى الله عليه وسلم فكتابه وملته باقيان على مر الدهور وكر الاعوام وهي اي هذه الآيات التي هي الفاظ دالة على مداول قديم تخبرنا عن عود الخلق الى الله تعالى في الدار الآخرة بعد موتنا في دار الدنيا وتخبرنا ايضا عن قبيلة عاد التي بعث اليها هود عليه الصلاة والسلام وكان عاد كافرا بعبد القمر وكان عمره ألف سنة ومائتي سنة ورأى من صلبه اربعة آلاف وتزوج ألف امرأة وتخبرنا ايضا عن مدينة ارم في معجم عدن التي بناها شداد بن عاد في ثلاثمائة سنة فعمرها

لبنة من ذهب ولبنة من
فضة وأعدتها من الزبرجد
والياقوت وفيها أنهار
جارية وأنواع من الثمر
دامت لدينا فخلقت
كل معجزة *
من النبيين الذين جاءت ولم
تدم
أي دامت هذه الآيات
عندنا بعد وفاته صلى الله
عليه وسلم الى يوم القيامة
فخلقت بالشرف والدوام
كل معجزة ظهرت من
النبيين صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين
لأن معجزاتهم التي جاؤا
بها لم تبق بعدوفاتهم بل لم
تظهر على أيديهم في مدة
حياتهم الا مرة واحدة
وذلك حين وقع الحاجة
بها فان اتصال السند من
شعار هذه الامة دون
الامم الماضية فان اليهود
لما أصلهم بختنصر فلم
يبق منهم الا سنة رضعاء
فهؤلاء لم يجدوا من
يأخذون عنه حتى يتصل
سندهم وأما النصارى
فقد غيروا وبدلوا فوله
دامت صفة لآيات حق
بحكمات فاتقين من
شبه *
لذي شقاق ومايغين من حكم

تعالى ذاتي فالاشياء ثابتة باثبات الله تعالى اياها موجودة بايجاده تعالى لها فهي من حيث ذاتها عدم محض فمن شهد أحدية ذاته تعالى انمحت الاكوان من مرآة بصيرته ومن نظر الى أحدية ذاته لم يجد الا كوان ثبوتا حينئذ والما الها ثبوت في النظر الى الواحدية لان الاحدية عندهم هي الذات البحت أي الخالصة عن الظهور في المظاهر التي هي الاكوان والواحدية هي الذات الظاهرة في الاكوان فيكون للاكوان حينئذ ثبوت باعتبار ظهور الله تعالى فيها ولذا يقولون بلسان الاشارة الاحدية بحر بلا موج والواحدية بحر مع موج فان الله تعالى عندهم كالبحر والاكوان كالامواج التي يحركها ذلك البحر فهي ليست عينه ولا غيره وهذا هو توحيد العارفين * والحكمة الثامنة عشر قوله (أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته) فرؤية العباد لربهم على حسب تجليه لهم في الدنيا برؤيته تعالى ظاهرا في المخلوقات بانوار بصائرهم المتجلي لهم من وراء حجابهم وهو تلك المخلوقات ولذا أمرهم بالنظر في عجائب مخلوقاته وبمشاهدة بدائع صنعه الاعتبار بها وليستدلوا بها على وجوده تعالى وعلى كماله واذا كان كذلك فلا تستوحش من المخلوقات ولا تنفر منها لانك مأمور بالنظر فيها لكن هذا انما هو بعد تقدم المرتبة التي هي من أركان الطريق فاذا حصلت فوائدها فلا معنى للاستيحاش من المكونات وفي الآخرة يريه تعالى عيانا بأنوار ابصارهم من غير حجاب ولا احاطة ولا معرفة ماهية * والحكمة التاسعة عشر * قوله (علمنا أنك لا تصبر عنه فشهدك ما برز منه) أي لما نصب الله لنا الادلة وعرفنا بجلاله وجماله فتح لنا أبواب الشوق اليه فلما اشتاقنا له علم أنك لا تصبر عنه فشهدك ما برز منه من الآثار لتشهده فيه لانك اذا شهدت المخلوقات من حيث انها برزت من الله شهدته فيها ففي شهود الآثار من حيث انها آثار تسلية للمشتاقين ونوع من الوصال وشغل بالمحبوب وهذا وقت الحب للقاء الله تعالى اذ لا يكون الشهود الكامل الا به * والحكمة العشرون * قوله (انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك) أي أنت مع الاكوان مدة كونك لم تشهد مولاك الذي خلق الاكوان فيها وحينئذ أنت عبدها ومحجون بشهواتها فاذا شهدت المكون فيها شهود ذوق أقبلت عليك جميع الاشياء بالخدمة والمتابعة كما قال صلى الله عليه وسلم طالب العلم تكفل الله برزقه أي طالب العلم بنية صالحة تكفل الله له برزقه كفالة خاصة بحيث لا تعب وقال تعالى لنبينا داود الخ من خدمني وأتعبي من خدمك وقال محمد بن المبارك كنت مع ابراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس فنزلنا في وقت القائلة تحت شجرة رمان فصلينا ركعتين فسمعت صوتا من أصل الرمان يقول يا ابا اسحق اكرمنا بان تأكل منا شيأ فطأطأ ابراهيم رأسه فقال ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كر شقيها اليه لنتناول منا شيأ فقلت يا ابا اسحق لقد سمعت فقام فأخذ منها رمانتين رمانتين كل واحدة وناولني الاخرى فأكلتها * والحكمة الحادية والعشرون قوله (من عرف الحق شهده في كل شيء) أي من تمكن في مقام المعرفة بالله شهد أن الله هو المؤثر في كل شيء فيرى الله تعالى ظاهرا في كل الاشياء وقائما بها مع عدم تميزه عن نفسه وحسه فلا يستوحش من شيء ويستأنس به كل شيء (ومن فني به غاب عن كل شيء) أي ومن فني بالله وتمكن في مقام الفناء بان لم ير نفسه ولا غيره

تأثير الى شيء ما فانه يغيب عن كل شيء حتى عن نفسه وحسه فلا يرى في الوجود شاهدا الا الله (ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئاً) فلا يتبع الا مراده تعالى ولا يلتفت لمراد غيره واحق الناس من يطلب رضا الناس لانه غاية لا تدرك ونبه سيدنا لقمان الحكيم ولده على هذا المعنى بما ذكر عنه أنه دخل ذات يوم السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه فقال الناس حين رأوه هو شيخ لم يشفق على صبي فأركبه خلفه فقالوا اثنان على حمار فلا زادتا فنزل لقمان وبقي الولد فقالوا الشيخ يمشي وصبي راكب فنزل الوالد يمشي مع ولده وما قالوا لحمار فقالوا حمار قارغ وهذان يسوقانه . والحكمة الثانية والعشرون . قوله (النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه) اي النعيم بما في الدنيا والآخرة من الملابس والمطاعم والحبور والولدان والقصور وان تنوعت مواضع ظهوره من انواع الثمرات وخرجت عن الحصر فانما يكون التلذذ بها حقيقيا اذا كنت حال ملابستك لتلك الاشياء مشاهدا له تعالى وحاضرا فان لم تكن بتلك الحالة فليس ذلك بنعيم حقيقة اذ كل نعيم دون شهوده تعالى عدم وكل عافية دون اقترابه الم (والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو لوجود حجابه) اي والالم وان تنوعت انواعه من الجحيم والحميم والزقوم والحيات والعقارب والسلاسل والاغلال والضرب انما يكون ذلك الما حقيقة اذا كنت حال ملابستك لتلك الاشياء محجوبا عنه تعالى وكان غائبا عنك فان كنت مشاهدا له تعالى فليس ما أنت فيه عذابا حقيقة ولذلك لم تكن النار عذابا على الزبانية الموكلين بها (فسبب العذاب وجود الحجاب) والاعراض عن المذنب كما قال بعضهم من بحر المتقارب

فهجرك أعظم من ناره . ووصلك أطيب من جنته

(والقيام النعيم بالنظر الى وجه الله الكريم) اي والقيام التلذذ بكون بمشاهدته تعالى بعين البصيرة في الدنيا وبالبصر في الآخرة لان تلك المظاهر بذاتها وتقريب ذلك ان من حجب عن محبوب من المحبوبين في أطيب البساتين واوسعها كان ذلك البستان عليه مضايقا واذا خرج الى اضيق مكان ومكن من شهود محبوب لكان اوسع عنده من ذلك البستان ومما ينسب الى سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه من بحر البسيط

لو ضمني بيت نحل والحبيب به . لكان في ذاك ظل وبستان

والطيب الارض ما القلب فيه هوى . مع الحبائط مع الاحباب ميدان

. والحكمة الثالثة والعشرون . قوله (الكائن في الكون ولم تتسع له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته) والكون زينة الآدمي ومنه له وهي الانهار والاشجار والجبال والبحار والمعادن والنباتات والفواكه والدواب والانعام وغير ذلك مما يتمتع به الآدمي فكان في الدنيا ولم يتسع له اسرار الغيوب الشبيهة بالباطن في الاتساع وهي المعارف ومشاهدة الواحدانية بأن نظر الى تلك الاشياء بالذات واشتغل بها لقصد صارت روحه مسجونة بشهواته المحيطة به ومحصورة في صورة ذاته الفانية فهو مشتغل بخدمة جسمه وشهوات نفسه قد غلبت جسمانيته روحانيته ومن نظر الى ما فيها من انوار الجلال والجمال فهو مشتغل بتقوية روحه فغلبت روحانيته جسمانيته فلا يكون جسمه حجابا لروحه فتحول

قوله محكمات بفتح الكاف أي جعلت هذه الآيات محكمة لان الاحكام تؤخذ منها أو جعلت متقنة بحيث لا تحتمل النسخ والتبديل أو جعلت ذوات حكمة ويصح كسر الكاف أي دالة على الحكمة قوله فانما بتقين بضم الياء الفوقية قوله من شيء بضم الشين وفتح الياء جمع شبيه وهو مفعول به قوله وما يتقين بفتح الياء الفوقية ضمير البارز لآيات قوله من حكم بفتحتين بمعنى حاكم وهو مفعول به لمن زائدة في الوضعين كان ما نافية في الوضعين وأما ما يوجد في بعض النسخ تتقين وتتقين بالتاء الفوقية في أولهما فهو غلط لان التأنيث حاصل بالياء التحتية في آخره التي هي فاعل والمعنى جعلت الآيات محفوظات من التحريف فما يتركن من تلبس وهو كلام من عرف الظاهر فاسد الباطن اسماعيب عالما فعق وهو الكافر ولا يطلب حاكما يحكم على مخالف الحق بأنه على

روحه في الغيوب الملكوتية وسار الى فضاء مشاهدة الواحد الاحد فالكون زينته على الحقيقة فهو تنزه قدوسيات الاسرار بروحه واى زينة تعدل زينة ظهور أنوار الجلال والجمال

﴿ باب في خصائص العارف ﴾

وهذا الباب السابع والعشرون وذكر المصنف في هذا الباب أربع حكم ، الحكمة الاولى قوله (ما العارف من اذا اشار وجد الحق أقرب اليه من اشارته بل العارف من الاشارة له لفناءه في وجوده وانطوائه في شهوده) اى ليس العارف الكامل من اذا أشار الى شئ من أسرار الله تعالى وجد الله تعالى حاضرا معه لم يغب عنه تعالى لبقائه مع نفسه لانه حينئذ ملاحظ أن هناك مشيرا ومشارا اليه ومشارا به ومادام يتعقل أنه مشير وأن الله مشار اليه وأن ذلك الكلام الذي صدر منه اشارة فهو الى الآن لم يفن عن نفسه ولم يخرج عن دائرة حسه بل العارف الكامل من لا يشهد الاشارة ولا يشعر بالاشارة في التوحيد كما بينه ابن الفارض على أن العارف الكامل هو الذي تكامل فناؤه ولم يبق منه بقية يدرك بها غيره وحينئذ يجلى له محبوبه في كل شئ فلا يرى سواه فقوله لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده فالضمير انما راجع للعارف الكامل وفي يعني عن اى لفناء العارف الكامل عن وجود نفسه وانمحائه عن شهودها وانما راجع لله تعالى اى لفنائه في وجود الله تعالى وانمحائه في شهود الله اى في شهود العارف لله تعالى مكان الشير والمشار اليه حينئذ هو الله تعالى لان العارف حينئذ في مقام الجمع ومن كان كذلك فهو غائب عن رؤية نفسه قال الشيخ يوسف العجمي قدس الله سره من تكلم في مقام الجمع فليس بمتكلم والمتكلم هو الله تعالى على لسان عبده قوله بل العارف من لا اشارة له ليس المراد أنه لا تقع منه اشارة وانما المراد لا يشهدها اى ان لا يشعر ان له اشارة وان وقعت منه فالمعنى بل العارف الحقيق وهو من أفناه الله تعالى عن انيته ومحاه في وجود هويته من لا اشارة له مشهودة لان الكمل تقع منهم الاشارة على وجه ان الله تعالى هو المشير والمشار اليه من غير رؤية النفس والاشارة ألطف من العبارة لانها مرموز فقط لا تصريح وهي التي يستعملها أهل الطريق فيما بينهم عند ذكرهم لمنة تعالى به عليهم من الاسرار التوحيدية والعلوم اللدنية والاذواق فالاشارة هي حديث القوم عن الله تعالى وما يذكرانه وما يحضر القلب مع الله فعبروا عن تلك الاحاديث بالاشارة لتعذر الاحاطة بها وأيضا هم يعبرون عن مواجيدهم وواردات قلوبهم وهي لا تفيد فيها الا الاشارة ولا يزيدها الايضاح الا غموضا فالمشير الى الله تعالى الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالى أقرب اليه من اشارته بان لم يغب عنه تعالى في حال الاشارة غير عارف على التحقيق لانه في وصف التفرقة بشهوده للاغيار لانه أثبت لنفسه اشارة وقد فرق الجنيد رضي الله عنه بين الاشارتين فرقا واضحا لما بلغه أن ابا الحسين النوري بقي في منزله سبعة ايام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم وهو يقول الله الله فقال الجنيد انظروا أحضر عنده أو تركه اما لا فقيل انه يصلي الفرائض فقال الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان عليه سبيلا فموا اليه فاما استفيد منه واما نفيده فلما دخل عليه الجنيد قال يا ابا الحسين ما الذي دهاك قال أقول الله الله زيدوا علي وقولوا معي فقال له الجنيد حتى نرى قولك الله الله أبالله أم بنفسك ان كنت قائلها بالله فلست القائل وان كنت قائلها

خلاف الصواب لظهور براهينها عليه فهي حاكمة ناصرة لأهل الحق ذكر أبو عبيدة أن اعرابيا سمع رجلا يقرأ قاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اعرابي آخر رجلا يقرأ فلما استبانوا سوءه خاصوه فجاء فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى الاصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو بعد كلامي هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه الآية فجمع الله في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من انجاز القرآن منفرد بذاته ما حوربت قط الا عاد من حرب ﴿ أعدى الاعادي اليها ملق السلم والقى ما عارض أحد هذه الآيات في الزمان الماضي بأن أراد أحد أن يأتي بمثلها في نظمه الا عاد من أجل سلب قدرته على الكلام أشد الاعادي عداوة اليها منقادا طالبا الصلح من أجل

(نفسك)

بنفسك فاعنى الولد فقال له نعم المؤدب أنت يا ابا القاسم وسكن ولهذا ه والحكمة الثانية قوله (مطلب العارفين من الله الصدق فى العبودية والقيام بحق الربوبية) اى ريا الخصوص من ربهم الصدق فى العبودية باستعمال الجوارح ظاهرا وباطنا فى الطاعة بالاخلاص والعبادة لمحض الذات وان يجعل الله لهم مسلكا يصلون منه اليه وان ييسر لهم اسبابا تسوقهم الى رؤية وجهه الكريم حتى يغيبوا فى شهوده عن رؤية نعمته وبلائه وان يقوموا بحقوق الربوبية بان لا يشتغلوا بغيره عنه ولا يلجؤا الا اليه فهم الذين أتوا البيوت من أبوابها حيث طلبوا الوصول الى المسببات باسبابها فان وظيفة العبد السعى فى خدمة سيده وبذل المجهود فى رضاه من غير اشتغال بمصالح نفسه لان سيده متكفل بها بذلك فى الحديث القدسى عبدى أطعنى فيما أمرتك ولا تعلمنى بما يصلحك والمخصوص لا يطلبون من الله غفران الذنوب وستر العيوب والحلم عند الزلات والنجاة من فتن القبر والنجاة من الجحيم والوصول الى النعيم مع تهوين سكرات الموت وكل ذلك عندهم شفقة على النفس واشتغال بها فالاشتغال بما يصلحها حجاب عن القصد بالذات وهم منزهون عن ذلك لعلمهم ان الله تعالى أولى بأنفسهم منهم وانه خلقها أولا ثم اشتراها آخرا فخرجت عن ملكهم وصارت فى ملكه تعالى يفعل بها ما يريد وانظر ما بين عبدين احدهما يطلب من سيده ان يساعده فى تقصيره معه وأن يتفضل عليه ويكثر الاحسان اليه ويعامله بالحلم ويصفح عما يصدر منه والآخر يطلب من سيده ان يستعمله فى خدمته ويصبره لتعظيم حرمته ويأذن له فى اقامة حقوقه ورضاه اهلا وقوف بابه أيهما أحظى عند السيد وأرفع منزلة هو الحكمة الثالثة بقوله (العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره) اى العارف هو المتأنس بسيده دائما المستوحش مما سواه دائما المطلق اللسان بالدعاء من غير سآمة ولا ملل لانه ما عرف فقره وعجزه وذله عرف سيده بالغنى والقدرة والعزة كما قال يحيى بن معاذ الرازى من عرف نفسه عرف ربه وهذا ليس بحديث كما ذكره السيوطى فى الدرر والغنى من عرف نفسه اجمالا عرف ربه اجمالا وذلك لان معرفة الانسان لحقيقة نفسه متعذرة فكيف يعرف حقيقة ربه فلا يعرف الله الا الله فالعارف لا يغارقه الاضطرار ولا يلتفت الى غيره ولا لان قلبه مرتبط بما هو المقصود الاعظم وهو مشاهدة الله تعالى بخلاف غيره فانه تارة يضطر فيدعو وتارة يدعو من غير اضطرار فذلك لان اضطرار العامة بحركات الاسباب فاذا زال اضطرارهم فلو شهدوا بقيمة الله لعلموا أن اضطرارهم الى الله دائم هو الحكمة الرابعة بقوله (الزهاد اذا مدحوا انقبضوا الشهود هم الثناء من الخلق) والثقيل عليهم المدح خوف الاغترار بذلك الثناء فيفوتهم تصيبهم من ربهم (والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) فهم حاضرون مع ربهم لا يشاهدون معه غيره فالمدح ألسنة الخلق اقلام الحق فلا يحصل عندهم اعجاب ولا اغترار وفى الحديث اذا مدح المؤمن فى وجهه ربا الايمان فى قلبه وهذا محمول على من يفرح بالمدح لرؤيته ان المدح من الله تعالى لانه هو الذى أنطق الالسنة وان الكمال الذى مدح به الشخص الكامل هو من الله تعالى فالكل منه واليه كما فى الحديث أنتم شهداء الله فى أرضه اه وعلى من يستحيى أن يثنى عليه بما ليس له وهذا يشمل الزهاد والعارفين

شدة بلاغتها وبقال ما خاصم النبى صلى الله عليه وسلم احد فى معنى النبوة فى الزمان الماضى جدا لها ثم حاربه بالقرآن الا كان النبى صلى الله عليه وسلم هو الغالب ورجع أشد الاعادى عداوة اليها ملق السلاح وسلم له صلى الله عليه وسلم اما بدخوله فى الاسلام واما بتركه المحاربة من أجل قيام الجهة لشدة بلاغتها فان قيام الجهة عليه سلب جنده التى هى كسلب ماله بل هذا أقوى من سلب المال لانه يخاف على جنده أن تدحض فيفتضح كما يخاف على ماله قوله قط بضم الطاء المشددة ظرف لما مضى وعادمن اخوات كان يعنى صار فترفع الاسم وتنصب الخبر فاعدى الاعادى اسمها وملق السلاح خبرها واليها متعلق بعاد وكذا من حرب ومن فيه للتعليل وحقيقة الحرب بفتحتين سلب المال والمراد به هنا الشدة أى شدة البلاغة

ردت بلاغتها دعوى معارضها

ردالغيور يدى أجأ فى عن الحرم

﴿ باب التفرس والاستدلال بالشيء على الشيء ﴾

وهذا الباب الثامن والعشرون ذكر المصنف في هذا الباب عشر حكم الحكمة الاولى قوله (من رأيته مجيبا عن كل مسئل ومعبرا عن كل ماشهد وذاكرا عن كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله) اى بعض أهل الطريق بكثر الكلام في الحقائق فيتوهم الجاهل بذلك أنه صاحب أذواق ومعارف وان ذلك نتيجة مايرد على قلبه من الواردات واللطائف فيغتر ويلبق اليه عنان نفسه فيهلك فبين الشيخ ان هذه الصفة ليست صفة صاحب الواردات الالهية وانما هي صفة صاحب الطوارق الشيطانية فمن اتصف بكل واحد من هذه الامور الثلاثة فهو جاهل أولها تكلف الجواب عن كل سؤال فان ذلك يقتضي ادعاء الاحاطة في العلم وذلك محال وقد سئل مالك بن أنس عن أربعين مسئلة فأجاب عن اربعة وقال في ست وثلاثين لاادري وتردد اليه سائل عن مسئلة أياما متعددة وهو يقول له لاأدري ثم قال له يا ابا عبدالله اني ضربت اليك مسيرة كذا وكذا على هذه المسئلة فقال يا هذا انما أتكلم فيما احتسب فيه الاجر فاذا رجعت الى أهلك فقل لهم قال لي مالك لاادري فالذي يجيب عن كل مسئل مجازف في الجواب وغير متحر وغير محتاط وليس ذلك شان العلماء العارفين وقد قالوا ينبغي للعالم أن يعود أصحابه قول لا أدري لئلا تصير ماذا فه باطنه من العلوم والمواهب فانها افشاء السر الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار اه والسر أمانة الله تعالى عند العبد فاشهاره بالتعبير عنه خيانة والله تعالى لايحب الخائنين وأيضا الامور المشهودة لايستعمل فيها الا الاشارة لان الامور الذوقية يستحيل ادراك حقائقها بالعبارات النطقية فيؤدي ذلك الى الانكار والقدح في علوم السادة الاخيار لانها ذكر كل معلوم له مع أن من العلوم مايجب كتمانه عن كثير من الناس والمهم في هذا الاحكام والتذكير والشوقيات لا الاحوال والحقائق وقد أمرنا بخطاب الناس على قدر عقولهم فان من الاسرار والمعارف مالايليق الا لاهل الاشارة الذين لايغترون بظاهر العبارة في حديث شرواه مسلم حدثوا الناس بما يفهمون أتريدون ان يكذب الله ورسوله والحكمة الثانية قوله (من علامات اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات) أي من علامات الميل للاغراض النفسانية المسارعة الى نوافل الخيرات نحو الاذكار والاوراد ونوافل الصلاة والصوم وتكرر المشي الى بيت الله الحرام وما أشبه ذلك وهو مع ذلك متكاسل عن القيام بحقوق الواجبات التي شد الدليل فيها فاذا سألته عنها جهلها لعدم اشتغاله بها والتزامه عليه حتى نفرت نفسه منه وصعب عليه القيام به ومنعته الشهوة من أدائه وهو مع ذلك يتعاطى الاوراد ويتخذ سبحة ويصوم الاثنين والخميس والاشهر الحرم وقد قيل ماحرموا الوصول الا بتضييع الاصول فهم استزادا يستزلك الجهل ولاتقتضيه فضائل الجزيل بأرجح الراجحين والحكمة الثالثة قوله (ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر) أي ما استودعه الله تعالى في القلوب غير المشاهدة بالابصار من المعارف والانوار ظهر أثره على الوجه والجوارح لان القلب بيت الرب فتى حل فيه شيء ظهرت آثاره على الجوارح الظاهرة فالظاهر مرآة الباطن كما في الحديث من أسر سريرة ألبسه الله ردائها فيستدل بحاضر العبد على غائبه من أراد معرفته والاجتماع به لينتفع به قيل للورد أبو حنيفي

بضم الحاء وفتح الراء والمعنى أبطلت فصاحة الآيات مع مطابقتها لمقتضيات الاحوال دعوى معارضتها الاتيان بمثلها ابطالا شديدا وصرفت ذلك صرفا بالقاء فيه كصرف الفعل الغيور على النساء بدا الجارية عن نسائه من الزوجة والاخت وغيرهما كما وقع لمسيلمة الكذاب لما ادعى النبوة فيعارض سورة الزمات قال والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا فاقتضح ويحكى ان ابن المقفع كان أفصح أهل وقته فطلب معارضة القرآن فربصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك فرجع وهما ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وماهو من كلام البشر

لها معان كموج البحر في مدد ٭
وفوق جوهر في الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجائبها ٭
ولا تسام على الاكثار بالسأم

أي لثلثة الآيات معان كثيرة لانهاية لها كموج البحر في كثرته اذ ما من موجة الا

العراق جاء اليه الجنيد فرأى اصحاب أبي حفص وقوفا على رأسه يأمرون بأمره لا يخطئ أحد منهم فقال يا أبا حفص ادبت اصحابك ادب الملوك فقال لا يا ابا القاسم ولكن حسن الادب في الظاهر عنوان ادب الباطن «والحكمة الرابعة «قوله (من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله تعالى في البدايات) والنجح بضم النون الفوز بالمقصود والمعنى من علامات فوز السالك بالمقصود في منتهى أمره رجوعه الى الله في ابتداء سلوكه وتوكله عليه والرجوع الى الله هو اشراق البداية قال سيدي مصطفى البكري

من لم تكن بدايته محرقة ٭ لم تكن نهايته مشرقة

«والحكمة الخامسة «قوله (من اشرقت بدايته اشرقت نهايته) اى من اشرق نور المعرفة في بدايته بالاستعانة بالله على جميع أعماله وصل الى معرفة عظمى ونور اقوى فبالنور يتصل الى النور ومن ملأ أوقاته بانواع الطاعات أفيضت عليه الانوار وازيلت من نفسه الاكدار «والحكمة السادسة «قوله (من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول) وثمرة العمل هو وجدان الحلاوة فيه ويتصور ذلك في اكثر الاعمال بالمداومة ففي الاوائل يحصل للنفس استثقال وكراهة ولذا قال بعض العارفين ليس شيء من البر الا ولجسله عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها افضى الى الراحة والسهولة فالعقبة انما هي بمجاهدة النفس ثم بمخالفة الهوى ثم بمكابدة ترك الدنيا ثم ترك اللذة فوجدان الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضى والجزاء في الآخرة وليس المراد بالحلاوة الحلاوة الكاملة التي يجدها العارفون وهي التي تنافي المعصية وتوجد في مقام التقوى الكاملة وهي اجتناب كل مايؤثم لان هذه مخصوصة بمخصوصين وليس الجزاء مخصوصا بهم بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء فان مفهوم هذا القول انه تعالى يقبل من غيرهما وان لم يصل الى مقام المخصوص وهذا من الواضح فان الحكم بانه تعالى لا يقبل الا عمل المخصوص تضييق لرحمة الله الواسعة كيف والايمان أعظم الطاعات وهو أعظم ما يجازى عليه الانسان حتى انه يخرج من النار من في قلبه من الايمان قدر الخردلة وقدر الشعيرة وقدر ذرة اى أصغر نمل ويثال به في الجنة من النعيم المقيم واللذة العظيم ما وردت به الاخبار حتى أن آخر أهل الجنة دخولا لها وخروجا من النار يعطى عشرة أمثال الدنيا ويركب في ألف ألف خادم له على خيل من ياقوت أحمر ليجتها من الذهب الى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى الا ان مراتب القبول متفاوتة وكذلك مقادير الحلاوة التي هي علامة القبول تختلف فليست الحلاوة التي تحصل المحبوبين كالتي تحصل الابرار واعلم أن التكلف في الاعمال لا ينافي وجود الحلاوة بل يجامعه فوجود الحلاوة يذكر الثواب وعظمة احسان الله تعالى ونحو ذلك وتحمل الثقل الاعمال لاجبران هوى النفس وشهواتها فيكون جهادا لها وبهذا حصل الجمع بينهما «والحكمة السابعة «قوله (ان أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك) اى اذا أردت ان تعرف قيمتك عند الله هل أنت من السعداء ومن الاشقياء فانظر فيما ذا اجراك الله هل في طاعة او في ضدها لانه الفاعل بك والمستعمل لك فان اجراك في محبته تعالى فقد

وبعدها وجه هكذا ولها معان فوق الجوهر المتفرج من البحر في الحسن والقدر والشرف فالعدو لا تحصى معانيها العجيبة لعدم تناهيها ولا توصف مع الاكثار منها بالملل لحسنها بل الملازمة على تلاوتها تزيدها حلاوة وتثبت لها محبة وحسنا وقبولا

قرت بها عين قارئها فقلت له ٭

لقد فزت بحبل الله فاعتصم اى بردت بالآيات عين تالي الفاظها بدمعة الفرح وقال سكنت بسبب الآيات نفس قاصد معانيها وتابعها بحصول السرور فقلت له اى تالي الالفاظ وتابع المعاني والله لقد فزت بعهد الله الذي بينه وبين خلقه فاتبع بركة تلاوة القرآن من عذاب الله تعالى لو امتثل باتباع أمر القرآن واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة المؤدية الى عتاب الله تعالى ان تلها خيفة من حر نار لظى ٭

أطفأت حر لظى من وردها الشبم

أى ان تقرأ الآيات خوفا من الحر نار جهنم اطفأتها من أجل محل مجيئها البارد وهو الفم وشبه الناظم

أحبك لانه تعالى حيث خلق الطاعة فيك ورضيك لها أهلا فقد احبك وهذا التفسير يناسب العامة اما الخاصة فيقال في تفسير هذه الحكمة ان اردت أن تعرف منزلتك عند الله تعالى هل أنت من المقربين لولا فانظر فيما يرد على قلبك من اغيارك عظمته وقد جاء في الحديث من اراد ان يعلم منزلته عند الله فلينظر ما عنده اى ما حيك على قدر شهودك من معبودك فاذا رأيت الله بعيدا فانت بعيد عنه وان رأيته قريبا فانت قريب منه قال وهب ابن منبه قرأت في بعض الكتب المنزلة على بعض الانبياء يا ابن آدم اطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك انى عالم بخلقي انا اكرم منا كرمني واهين من هان عليه أمري لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حق ثمان الخلق بتمامه الآية فاياه يجعل فيه العمل وآخر يجعل فيه القطران وبمنزلة اليقاع فبقعة تتخذ مسجدا واخرى سجنا واذا رضيت الله تعالى لطاعته فاشكر نعمته فهو الذي حببك ذلك وهداك له فقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وترى تقول ابن رواحة اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ثم قل ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب * والحكمة الثامنة * قوله (وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا) اى ان وجدان ثمرات الطاعات في القلب من حلاوة المناجاة ولذيذ الخطاب وطمأنينة القلب التي تشاهدها بكاوقشعريرة بدن يشاهد من الله عاجلة للعاملين بوجود الجزاء على الطاعات في الدار الآخرة وبأنها مقبولة عند الله تعالى ومن الثمرات رفعة المنزلة ظاهرا ونفوذ الكلمة مع محبة الناس له كما ذكره المناوى * والحكمة التاسعة * قوله (الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها من علامة الاغترار) اى الحزن على عدم وجود الطاعة في الحال مع القيام للطاعة في المستقبل من علامات ان نفسه خدعته اذا كان صاحب هذا الحزن الصوري بنفسه اى يرى انه من الحزن الصمود الحقيق كما اذا كان يعرض له البكاء عند ذكر الطاعة والحديث عنها وسماع حكاية الصالحين ونحو ذلك ويرى انه من اهل الخشوع ويركن لذلك فلا يشك انه مكسور به ويسمى هذا حزنا كاذبا كما قالوا كم من عين جارية وقلب قاس وهو من مكر الله الخفي حيث منعه ما ينفعه واعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء لانه لو كان حزنه حقيقيا لقام للعمل وهذا يسمى حزنا صادقا فقد سمعت رابعة العدوية رجلا يقول واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم تهنأك ان تنفس اه امان انبه صاحب هذا الحزن لعدم نفعه وانه لا فائدة فيه وعرف انه حزن صوري فقط ولم يركن اليه ولم يعده شيأ فلا غرور عنده ووجود الحزن في حقه كعدمه فليس علامة على غرور ولا على صدق * والحكمة العاشرة * قوله (ومن علامة الاغترار الحق بالشيء ادامته اياك فيه مع حصول النتائج) اى الاغترار بما يقوم فيه العبد بنفسه من عمل او حال والمراد الاغترار بما يجيء فيه ربه وعلامة اقامة الله عبده في الشيء من كسب أو تجريد أن يديمه عليه ويحصل له ثمرته من وجود الريح وسلامة الدين وقد يكون ذلك الشيء فعلا أو تعليما أو عزلة أو اجتماعا أو اسبابا أو غير ذلك فاعلم حيث اقامك الله وما لم تحصل ثمرته لا عبرة فيه بل يكون ضررا كثر

﴿ باب الوعظ وشرائط تأثيره في القلب ﴾

(وهذا)

الآيات بالماء لانها سبب حياة الارواح كما أن الماء سبب حياة الاشباح بجعل موردها الذي هو الفم كافيا في الطفاء نار جهنم وهذا اشارة الى أن القرآن من غير فهم معناه يثاب عليه كقراءة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف غيرهما من الاذكار فلا بد من فهم معناه ولو بوجه كأنها الحوض تبيض الوجوه به *

من العصاة وقد جاؤه كالحم

وكا لصراط وكالميزان معدلة *

فالقسط من غير هاالرقم

أى كأن الآيات في تبيض ذوات القارئين لها كماء حوض الكوثر في تبيض ذوات العصاة به والحال أنهم قد جاؤه كالحم والمراد بالحوض نهر الحياة او حوضه صلى الله عليه وسلم لانه يجوز أن نهر الحياة أول القربة والحوض منتهاها والمعنى أن آيات القرآن تشفع في تاليها وقد جاء مسود الوجه من العاصي فيبيض وجهه بشفاعتها كأن نهر الحياة تبيض به وجوه العصاة حين يعب

وهذا الباب التاسع والعشرون وذكر المصنف في هذا الباب ست حكم ، الحكمة الاولى ، قوله (من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم اشارته) وهذه الافعال مبنيات للمجهول فالمأذون له في التعبير من علوم الوهب هو الذي يتكلم بالله وبالله وفي الله فاستقامته هو الاذن بعينه فاذا قرع كلامه أسماع السامعين فهمت في مسامعهم عبارته فلم يفتقروا الى تكرار ووضحت اليهم اشارته فلم يحتاجوا معها الى اكثار فقد كان صفوان ابن محرز المازني اذا قال الحمد لله ترقرق قلوب القوم وتسيل دموعهم كأفواه القرب فكيف بمن يتكلم في العاديات والامور البشرية مما ليس في ظاهره ما يأثره السامعون وما يحكى ان سيدنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه دخل يوما منزله فقربت اليه الدجاج فاكل وكان ولده قد خرج الى مجلسه فتكلم بعلوم كثيرة والناس على حالهم فلما خرج الشيخ جعل يحدث بارفع له في منزله من أكل الدجاج فتواجدوا وبكوا ومات عدد منهم فيحكى ان احمد ابن عمارة رضي الله عنه ما يال كلام السلف أنفع من كلامنا قال لانهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق ، والحكمة الثانية ، قوله (وما برزت الحقائق مكسوة الانوار الا لما برز ذلك فيها بالاظهار) فالحقائق هي العلوم الوهبية الربانية فان تكلم بها التكلم لاجل عز الاسلام ورضا الرحمن ونجاة النفوس برزت مضيئة الانوار لان ظهورها حينئذ من اذن وان تكلم بها غيره موصوف بهذه الاوصاف لم يكن مأذونا له في اظهارها فان اظهرها برزت مكسوة الانوار بما غطاها من ظلمة رؤية الاغيار فحينها آذان السامعين وأنكرتها قلوبهم ، والحكمة الثالثة ، قوله (تسبق أنوار الحكماء اقوالهم فحيث النور وصل التعبير) اي ان العارفين لا يلقون الاقوال الا بالمقاصد الحسنة والنيات الصحيحة من نصيحة عباد الله ودلالتهم على الله وتكثير الطاعات من غير رؤية حول منهم ولا قوة في انتفاع القلوب بل لا يلقون الاقوال الا مع صدق اللجأ الى الله في ان يتولى ذلك فيحصل للقلوب نور وحينئذ يصل وعظهم قلوب السامعين له ممن اراد الله به خيرا فلا يلقون الاقوال الا كما هي حكما قال صلى الله عليه وسلم لا تؤتوا الحكمة غير اهلها فتظلموها اه فمن تطق عن نور تام أفادت النطق الخاطب نورا تاما ومن ناقص فناقصا او عن هوى فلم يفد شيأ لان ما خرج من القلب دخل القلب وما قصر من اللسان لم يتجاوز الآذان ، والحكمة الرابعة ، قوله (وكل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز) فاذا كان القلب مكسوا بالصفاء من الاكدار كان الكلام البارز منه بترجمة اللسان مكسوا بالانوار فكلام الحكماء يبرز مكسوا بكسوة الحكمة فتنتفع به القلوب وكلام المدعين يبرز وعليه كسوة الظلمة فلا ينتفع به أو ان انتفع وقد ينتفع به من جهة مضمونه لا من جهة قائله وذلك لان الكلام يصور اولا في القلب ثم اللسان دال عليه فكان القلب كدن والعبارة الخارجة منه تخرج وعليها شيء من ذلك الدن ، والحكمة الخامسة ، قوله (عباراتهم اما فيضان وجداني قصد هداية مريد فالاول حال السالكين والثاني حال أرباب المكنة والمتحققين) أي عباراتهم عما يجدونه من علوم الشهادة واسرار غيبية لاحد معنيين اما لغلبة حال من فيضان ما يرد على الباطن فيحصل به فيه فرح أو حزن لان قلوبهم ضيقة فيفيض منها

عليهم ما ورد بعد حبسهم من النار كالقمر في السواد يصيرون بياضا مدخلون الجنة وكالصراط في الاستقامة وكالميزان في العدل الدائم فاعدل من غير هذه الآيات لم يبد في الناس بل نسخ
لا تعجبن بحسود راح ينكرها ،
تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم
قد ينكر العين ضوء الشمس من رمد ،
وينكر الفم طعم الماء من سقم
اي لا تعجب أيها المؤمن بهذه الآيات من ذي حسد للنبي صلى الله عليه وسلم صار ينكر كونها من عند الله تعالى مظهر الجهل وأطال الله عين الناظر في الاثر ، بحيث لا يخفى عليه تمييز الحق من الباطل مع كونه بالفهم بالاصالة ليست مهارته ناشئا عن طول التجارب والتكرار ولقا في قلبه مرض حمله على انكارها فانه قد ينكر ضوء العين الباصرة ضوء الشمس من أجل رمد قائم بها وقد ينكر ذو الفم طعم الماء العذب من أجل سقم قائم

ما يحل فيها فهو اعذر كالاناء الضيق اذا وضع فيه ماء كثير فانه يفيض منه فهو انهم معذورون في التعبير لوجود القبلة عليهم والغيبة ولهم في ذلك احكام اخر من التسليم وعدم الاقتداء بهم وهذا حال السالكين من أهل البداية فان عبروا بغير عذر فوجد كان في ذلك التعبير نوع دعوى واما قصد هداية المتوجهين الطالبين لا لغيرهم كما هو اختيار الشيخ أبي الحسن النوري رضي الله عنه فلكن اختار الجنيد أن تبذل هذه العلوم لاهلها ولغيرهم تذكيرا لهم فتتضح الحجة لقوم وتقوم على آخرين والعلم احفظ جهة من ان يصل الى غير أهله وهذا حال المتمكنين في الوصول من أهل النهاية الذين لا تغيرهم الاحوال فهم مأجورون لقصدهم الهداية سواء حصلت أم لا وان عبر وا غير قاصدين الهداية كان في ذلك التعبير افشاء سر لم يؤذن لهم فيه وتنزيها لهم من ذلك لان حالهم يقتضي الصمت لانهم في حضرة الله تعالى يتلقون مارد على قلوبهم من غرائب العلوم وغرائب الفهوم فكيف يصدر منهم تعبير بغير قصد الهداية والصمت من آداب الحضرة * والحكمة السادسة * قوله (العبارة قوت لعالة المستمعين وليس لك الا ما أنت له آكل) قوله العالة بين تأليف اللام أصله عيلة فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار عالة وهو جمع عائل فهو مضاف الى موصوفه أي العبارة عن العلوم فيها حياة لارواح المستمعين المحتاجين الى معنى ما يستمعون اليه من المواعظ فالعبارة لقوت أرواحهم كالقوت لنفوس الفقراء وقوت الابدان يختلف باختلاف طبائع الناس فكذلك قوت الارواح يختلف باختلاف مطالبهم وطرائقهم فاذا سمعت عبارة من عالم أو عارف أو أحد من أهل الطريق ولم تنتفع منها بشيء فاعلم انها لا تصلح لقوتك وهي صالحة لقوم آخرين وقوله وليس لك الا ما أنت له آكل نهي عن تعلم غرائب العلوم ودقيقها قبل الاصول العامة فانهم لا يزدادون بذلك الا بعدا وحيرة كما أنه لا يحسن للانسان طلب نحو الحلواء قبل شبعه من الخبز والقمح ونهى عن التقليد في الانتفاع فاذا رأيت شخصا فتح له في مجلس ولم ينتفع لك فيه فتح فانتقل الى غيره ولا تقلد من فتح له فيه فليس لك الا ما ينفعك لا ما ينفع غيرك ونهى عن التزام حضور مجالس الاكابر دون الاوساط والمبتدئين مع عدم الفتح في مجالس الاكابر فدار الحضور على موضع الفتح لا على خصوص مجلس وقد يسمع بعض الناس العبارة فيفهم منها معنى لم يقصده المتكلم وينتزع بذلك نظرا عجيبا وقد يقع لعبارة على جماعة فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الآخر وقد يفهم السامع منها ضد ما قصده المتكلم فقد حكى ان الجوزي ببغداد بقرى اثنى عشر على فخرج يوما قاصدا المدرسة فسمع منشدا ينشد من بحر الوافر

اذا العشرون من شعبان ولت * فواصل شربك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار * فان الوقت ضاق عن الصغار

فخرج الجوزي هائما على وجهه حتى أنه لم يزل مجاورا بها حتى مات وكان بعض الناس يبيع سمكا وهو يبيت وينادي سمكا بري فسمعه ثلاثة من السالكين فهم كل منهم مخاطبة عن الله تعالى في سره ففهم واحد من ذلك اسمع نريد فيقبل له من الله ذلك فالمعنى اسمع الينا بصدق المعاملة نريد الوجود المواصلة وفهم ثان من ذلك الساعة نري نريد فهذا سألك

به فكذلك انكار الآيات
من أهل الحد القائم
بالا ٨ وقد ورد أن أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه سأل عبد
الله بن سلام وقال هل
كنت تعرف قبل اسلامك
أن محمدا على الحق فقال
والله يا أمير المؤمنين اني
كنت أعرف قبل اسلامي
أن محمدا على الحق
أشد من معرفتي لابني اه
قال عبد السلام خاصية
هذه الآيات الاربعة عشر
التي أولها آيات حق ان
من قرأ القرآن وهو كبير
وكتبها في كاغد بزعفران
وبخره بالعبل وبعلقه في
عنقه بخيط حرير أصفر
ويصل الحرز الى صدره
في طرف الخيط فانه يحفظ
كتاب الله في أقل من عام
باذن الله تعالى ثم ان الناظم
لما مدحه صلى الله عليه وسلم
على سبيل الغيبة أقبل عليه
بالخطاب فقال
يا خير من جم العالمون
ساحته *
سعيا وفوق متون الاينق
الرسم
ومن هو الآية الكبرى
لمعتبر *
ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

الى الله طالت عليه الأوقات فخاف أن تفوته الوصلة فقيل له ذلك من الله تروحا على قلبك فلما أحرقته نار شدة الطلب وفهم ثالث من ذلك ما أوسع برّ تى فهذا عارف ﷺ وشف له عن وسع الكرم فخوطب من حيث أشهده الله تعالى وكل بنزله عليه فيض الهى بحسب حاله على مايناسب استعداده الصادر من فضله تعالى وسمع بعضهم رجلا يقول قال الرسول غدا يزور فغشى عليه من شدة اللذة والسرور فلما أفاق سئل عن وجده عم كان فقال ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة يزورون ربهم فى كل ليلة جمعة مرة وقال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله دعانا بعض الفقراء الى دعوة بمصر فاجتمع بها جماعة من المشائخ فقدم الطعام وملؤا الأوعية وهناك وعاء زجاج فاتخذ البول ولم يستعمل فقرب فيه رب المنزل الطعام فالجماعة يأكلون واذا الوعاء يقول مذ أكرمني الله بأكل هؤلاء السادة منى لأرضى لنفسي أن أكون بعد ذلك اليوم محلا للأذى ثم انكسر نصفين فقال الشيخ محيي الدين فقلت للجميع سمعتم ماقال الوعاء فقالوا نعم فقلت ماسمعتم فأبدوا القول الذى تقدم فقلت قال قولا غير ذلك قالوا وماهو قلت قال كذلك قاوبكم قد أكرمها الله بالايمان فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون محلا لنجاسة المعصية وحب الدنيا وروى ان الجنيد كان جالسا فى المسجد مع اصحابه اذ أتته امرأة تخاصم زوجها اليه فقالت ياشيخ انزوجة هذا الرجل وقد تزوج على امرأة غيري فقال لها الشيخ يجوز له ثلاث غيرك فقالت له ياشيخ لو يجوز وجه الاجتهاد لكشفت لك عن وجهى فلورأيتنى لحكمت بأن مثلى لايؤثر عليه فصاح الشيخ عند ذلك حتى غشى عليه فهم من كلامها ان لزوجد الله لايؤثر عليه غيره

﴿ باب الشكر ومراتبه ﴾

وهذا الباب تمام الثلاثين ذكر المصنف فى هذا الباب ثمان حكم * الحكمة الاولى * قوله (من لم يقبل على الله بلاطفات الاحسان فبالسلاسل الامتحان) أى من لم يقبل على الله بلاطفاته تعالى اياه بأنواع الاحسان قاده اليه تعالى بالمصائب الشبيهة بالسلاسل فالمعتمد على الله تعالى بأن ترك الطمع فى الخلق لعلمه أنه لامانع ولامعطى ولاضار ولانافع سواه هو الذى رجع الى الله تعالى بلاطفات الاحسان فهو شاكر لله تعالى والمعتمد على الخلق بانقطاع فيهم غير مقبل على الله فلابد له أن يجرى اليه بالامتحانات فالمقتضى لاقبال العبد على الرب بالطاعات والتضرع اليه امران الاول اتيان النعم عليه فيشكر الله تعالى عليها ويقبل على خدمته والثانى انزال المصائب فى بدنه وماله فيرجع الى الرب ويتضرع اليه برفعها وربما كان ذلك سببا فى ترك الاشتغال بالدنيا وفى التعلق بالله تعالى ومراد الرب من العبد رجوعه اليه تعالى طوعا او كرها * والحكمة الثانية * قوله (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها) اى من لم يشكر النعم فقد تسبب لزوالها ومن شكرها فقد تسبب لبقائها ولزيادتها لانه ربطها بحبالها واجمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وكان يقال اذا نعمت فاشكر واذا عوفيت بالشكر فهى اطلاق واذا وعيت بالكفر فهى اغلال ويقال اذا كانت النعم وسيمة فجعل لها الشكر تميمة ويقال شكر النعمة عصمة من حلول النقمة والشكر على ثلاثة اوجه شكر بالقلب

قوله الرسم بضمتين جمع رسوم بفتح الراء قوله ومن فى الوضعين معطوف على المنادى أى ياخير كريم قصد الطالبون المعروف حريم داره حال كونهم مسرعين فى السير لبصلوا حاجتهم فى أقرب وقت وحال كونهم راكبين فوق ظهور النوق السريعة الشديدة الوطء لسرعتها حتى انها تؤثر فى الارض و لرسم نوع من الجرى كما فى الاساس، فى هذا البيت تصريح باحث على زيارة قبره الشريف والتوسل به والتطفل على موائد نعمه وكرمه وبامن هو الدليل الاعظم على ان ماجاء به حق لتفكر بميزان عدل قائه مع توفيق الله له بعلم بأول الامر انه صلى الله عليه وسلم خير خلق الله وانه دل على الله الصانع العالم بادلائه صلى الله عليه وسلم عظمى فليس شئ أعظم منها كما قال الناظم وبامن هو أعظم النعم لمن يريد أن يغتنم ما عند الله من السعادة الأبدية لانه صلى الله عليه وسلم انقذ الخلائق من النار

وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر القلب ان يعرف انهم كلها من الله تعالى وشكر اللسان الثناء على الله وكثرة الحمد له ويدخل فيه التحدث بالنعم وشكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذكروا النعم فان تذكرها شكر وقال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وشكر سائر الجوارح أن يعمل بها العمل الصالح وسأل رجل لاحازم رضي الله عنه فقال له ماشكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا أعلنته واذا رأيت بهما شرا سترته قال فاشكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته قال فاشكر اليدين قال لا تأخذ بهما مالیس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فاشكر البطن قال أن يكون اسفله صبرا وأعلاه علما قال فاشكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم أو ماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين قال فاشكر الرجلين قال ان رأيت شيأ غبطته استعملتهما فيه وان رأيت شيأ مقته كففتهما عنه وانت شاكر لله تعالى * والحكمة الثالثة * قوله (ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما انعم به عليك) قوله الظلم بضم ففتح جمع ظلة اى فربما اورده الله عليك من ظلمات الجهة في ليالي الفرقة فاذا ذاك ليعرفك قدر ما انعم الله به عليك من انوار الحضور في نهار الوصلة فان النعمة لا تعرف الا عند فقدها فاذا تنبه الشخص عند زوال النعمة الى معرفة قدر ما انعم الله به عليه واعترف بالتقصير صارت النعمة نعمة والمحنة منحة * والحكمة الرابعة * قوله (من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرف بوجود فقدانها) فاكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا اذا فقدوها وذلك لاجل غلبة الغفلة عليهم حين وجودها عندهم قيل نعم الله مجهولة وتعرف اذا فقدت وقيل أيضا الولد الصالح لا يعرف قدر الاب بموته وانما يعرف قدر الماء من يلي بالعطش في البادية لا من كان على شاطئ الانهار الجارية ومن دعاء بعض الصالحين اللهم عرفنا نعمك بدوامها ولا تعرفنا نعمك بزوالها ومن جهل كثير من الناس انهم لا يعدون النعم العامة للخلق نعما فلا يشكرون على التمكن من اخراج النفس وادخاله والقدرة على طرح الاذى والتمكن من حاجاته من غير توسع وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى بقوله من أصبح آمنا في سربه معافى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها فينبغي للشخص أن ينظر الى من هو دونه في الدين والدنيا لاجل أن يعرف قدر ما من الله به عليه والسعيد من وعظ بغيره كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه وعن بكر بن عبد الله المزني قال يا بن عيينة ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا اله الا الله وأن لا اله الا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا وفي نسخة عرفت بدل عرف والمعافية اشارة الى حال الجاهل المستحقر لنعم الراضي عن نفسه الذي يرى أن حقه فوق ما اعطي فتسلب عنه ولا يتنبه فحينئذ هي المحنة والعقوبة ظاهرة في حقه اما المعافية في حق المتيقظ فهو أبان صورة المحظور والا فالنعمة في حقه نعمة كما تقدم * والحكمة الخامسة * قوله (لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فان ذلك محيط عن وجود قدرك) قوله لا تدهشك لا ناهية وتدهشك مجزوم بها وقوله

با لبرهان الواضح
سريت من حرم ليلا
الى حرم *
كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى الى أن نلت
منزلة *
من قاب قوسين لم تدرك
ولم ترم
اى سريت يا رسول الله
من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى في جزء
من الليل مثل سير القمر
ليلة تامة في ليل مظلم من
ذى الظل وصرت ترقى
من درجة الى درجة من
درجات الكمال وتتجاوز
حجابا بعد حجاب من حجب
الجلال وتصعد من سماء
الى سماء حتى انتهيت الى
مقام يقف عنده أشرف
الملائكة وهو جبريل
وصرت في القرب من
الحضرة القدسية مقدار
قوسين اذا وضع أحدهما
في جنب الآخر وهو
المنزل الأسنى الذي لم
يدانيه فيه ملك مقرب
ولا نبي مرسل وهو مقام
الفناء الذي اختص
صلى الله عليه وسلم به من
سائر الأنبياء وقال محمد
ابن كعب سيدنا محمد دنا
من ربه فكان مقدار

واردات النعم من اضافة الصفة الموصوف وقد حذر المصنف رحمه الله تعالى اولا عن استصغار النعم بقوله من لم يعرف قدر النعم الى آخره وحذرهنا عن تعظيمها عظمة تصير الصبر عن شكرها اى لاتكن النعم المتتابعة عليك تصيرك مصبرا عن شكرك المولى عليها بان ترى بعزتك عن توفية ذلك فتترك الشكر فان الله تعالى قد رفع قدرك وجعل القليل منك كثيرا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فلاتنزل نفسك عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر بسبب كثرة النعم فتتركها وذلك من الجهل كما لوتركت الشكر على النعم لاستقلالها فى نظرك فالحامل على ترك الشكر على النعمة أحد أمرين وكل منهما مذموم ومن شكر اللسان ذكر الله ومنه الباقيات الصالحات التى تذكر عقب الصلوات فقد قال طلق بن حبيب رضى الله تعالى عنه ان لله أنعم على العباد على قدره وكلفهم الشكر على قدرهم وفى اخبار داود عليه السلام الهى ابن آدم ليس فيه شعرة الاوتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن أين يتأتى لك ان تؤدى الله تعالى اليه ياداود انى اعطى الكثير وارضى باليسير وايشكر ذلك ان تعلم ان مابك من نعمة فنى * والحكمة السادسة * قوله (متى رزقك الطاعة والغناية منها فقد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة) وفى هذه الحكمة اشارة الى ان علو قدر العبد عندالله لايكمل بمجرد اشتغاله بالطاعة بل بتلك الطاعة مع الغنى بالله عنها بان يعمل لامره تعالى لالشئ يرجوه من خيرى الدارين ولاشئ يخافه بذلك تكمل العبودية لان الله تعالى هو الذى وهبله هذه الطاعة فالله تعالى اوجدها وخلقها للعبد ولاينتفع تعالى فى طاعة المطيعين كما لامضرة عليه فى معصية العاصين وانما امر تعالى عبده بالطاعة ونهاه عن المعصية لما يعود على العبد من الجزاء الجميل على الطاعة ومن الانتقام على المعصية واذا علم العبد أن طاعته لولا ما يجاد الله وعطائه فلا كل فى حقه ان لا يرى نفسه مستحقا بالطاعة للجزاء الحسن فالعبد وان بلغ فى خدمته مابلغ فهو مقصر والكمال فى حقه أن يتهم نفسه فى الاخلاص فى الطاعة فلا ليق فى حقه حينئذ أن لايعتمد عليها فالمطلوب من العبد شيآن اقامة امر الله فى الظاهر والتعلق بالله فى الباطن هو الاستغناء به عن غيره فاذا رزق الله العبد هذين الامرين فقد أتم عليه نعمه ظاهرة وباطنة وواصله الى غاية الامل فى الدنيا والآخرة * والحكمة السابعة * قوله (من قام النعمة عليك أن يرزقك مايكفيك ويمنعك مايطغيك) فالكفاية من الرزق من تمام نعمة الله التامة على عبده لانه بذلك يسهل عليه الاقبال على العبادة وفى عدم الزيادة على الكفاية مصالح لان الزيادة ربما توجب الطغيان وهو أصل كل معصية وفى حديث أبى الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماطلعت شمس ولاغربت الا بجنبها ملكان ينادبان بسمعان الخلائق غير الثقلين أيها الناس هلموا الى ربكم فان ماقل وكفى خيرمما كثر وألهى اه وبالكفاية يحصل طيب العيش وراحة القلب والبدن وصيانة الوجه عن ذل السؤال وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنا غنى النفس وعن سالم مولى زيد بن صوحان قال كنت مع مولاى زيد بن صوحان فى السوق فرأينا سلمان الفارسى وقد اشترى وسقا من طعام فقال زيد يا عبدالله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت وفرغت للعبادة

فوصين وقال جعفر بن محمد والقرب من الله لا حد له وعن العباد بالحدود قال القاضى أبو الفضل اعلم أن ماوقع من اضافة القرب هنا من الله والى الله فليس بقرب مكان بل هو كما قال جعفر الصادق آنفا ليس بدنو جسد وانما دنو النبى صلى الله عليه وسلم من ربه اظهار عظيم مرتبته واشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار قدرته والدنو من الله له تأنيس واكرام قوله الى أن نلت منزلة أى الى أن أعطيت مرتبة فى القرب قوله من قاب قوسين بيان للمنزلة قوله لم تدرك بالبناء للمجهول أى لم يدركها غيرك ولم يصل اليها أحد قوله ترم بالبناء للمجهول أيضا أى لم يطلبها غيرك لعلمه بأنها ليست الا لك ولانه لايطلب الا مايمكن ادراكه وقد منك جميع الانبياء بها *

والرسل تقديم مخدوم على خدم

وأنت تخرق السبع الطباق بهم *

فى موكب كنت فيه صاحب العلم *

حتى اذا لم يدع شأوا لمستبق *

وآيس منها الوسواس ويحكى عن بنان الحمال رضى الله عنه انه قال كنت مطروحا طاويا على باب بنى شيبة سبعة أيام لم أذق شيأ فتوديت فى سرى ان من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله عينى قلبه اه والكفاية تخلص العبد من رذيلة الطمع وانقطاع الى ما فى أيدى الناس الذى هو أصل فساد الدين وفى الكفاية دفع تحمل منة الخلق لاسيما اللئيم منهم والفاجر وقد قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر على يدى ولقد أحسن القائل من بحر البسيط

الموت أسهل عندى ◆ بين القنا والاسنه
من أن يكون لنذل ◆ على فضل ومنه

وقال الشاعر من بحر الكامل

ما الاعتاض باذل وجهه بسؤال ◆ عوضا وان نال الغنا بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته ◆ رجح السؤال وخف كل نوال
فاذا نبلت بذل وجهك سائلا ◆ فابذله للمتكرم الفضال

وقال أبو سليمان الزم سوقك فانك لا تزال كريما على اخوانك مالم تحتج اليهم وكان السلف يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان اذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه ولا بأس بالزيادة اذا كانت لا تلهى بل فيها صلة الرحم وعن سعيد بن المسيب أنه مات وترك ألفين أو ثلاثة آلاف دينار وقال ما تركتها الا لأصون بها فى كانت عنده زيادة على الكفاية وهو يشهد افتقاره الى مولاه ويذكر أمره ونهيه فى الجمع والدفع فهو الغنى الشاكر والحكمة الثامنة قوله (متى جعلك فى الظاهر ممتثلا لامره ورزقك فى الباطن الاستسلام لقهره فقد أعظم المنة عليك) اى اذا كنت فى الظاهر ممتثلا لامره تعالى مصدقا بوعده مورزقك فى الباطن الرضا بما أراده عطاء ومنعا فقد أعظم المنة عليك حيث أراح ظاهرك من مخالفته وباطنك من الاعتراض عليه وجمع لك بين عبودية الظاهر وعبودية الباطن وهذه حقيقة العبودية التى يطالب بها العبد فالعبودية أتم من العبادة فالعبادة ثم عبودية ثم عبودة فالعبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخاص الخواص كما قال سيد العاشقين عمر بن الفارض رحمه الله تعالى من بحر الطويل

وكل مقام عن سلوك قطعته ◆ عبودية حقتهما بعبودة

قال سيدى ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه صحبت أخا لى فى الله تعالى فى البادية واعتزلنا فى مغارة عسى أن نكون من اولياء الله تعالى وان يفتح الله علينا بفتح الله عليهم فقلنا زمانا نقول لعل فى هذه الجمعة أو فى هذا الشهر فيفتح الله علينا فمضى كذلك واذا بشيخ على باب المغارة يستأذن فاذن له فدخل فسلم ووقف فقلنا له من انت فقال عبد الملك فعلمنا أنه من اولياء الله تعالى فقلنا له كيف حالك فقال كيف حالك يرددها كالمفكر علينا ثم قال كيف حال من يقول لنفسه فى هذه الجمعة أكون وليا فى هذا الشهر أكون وليا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا آخرة بانفس لم لا تعبدى الله كما أمرك مخلصة لوجهه كما امرك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا فعلمنا وتيقظنا من أين دخل علينا وعلمنا ان الله تعالى

من الدنو ولا مرقى لمستشرف خفضت كل مقام بالاضافة اذ *
توديت بالرفع مثل المفرد العلم
قوله وارسل بالاوجه الثلاثة فالنصب على أنه مفعول معه قوله بها متعلق بقدمنك والباء للظرفية والهاء بالمنزلة وقوله بهم متعلق بمعروف حال من فاعل تخترق وقوله فى موكب بضم الميم وكسر الكاف خبر ثانى لانت قوله حتى غاية لقوله وأنت تخترق الخ وخفضت جواب اذا وقوله اذ توديت للتعليل وقيل ظرف للزمان الماضى متعلق بخفضت والمعنى وقدمنك جميع الانبياء والرسل فى المنزلة تقديما مثل تقديم رئيس على خدم فان الله تعالى قد اطلعهم على منزلته صلى الله عليه وسلم بالوحى فى مدة حياتهم والحال أنك تخترق السموات السبع سماء بعد سماء حال كونك مارا بالرسل الذين قدموك فى السماء القمر فى آدم ثم فى الثانية بعيسى ويحيى ثم فى الثالثة بيوسف ثم فى الرابعة بادريس ثم فى

رجنابه فرجعت على نفسي باللوم والتوبيخ وقلت لها يا نفس من انت وما خطرك انت لاشيء وتبنا واستغفرنا الله تعالى قال فمنح الله علينا بجوده وفضله (مراسلة في مراتب الشكر الثلاثة) شكر العامة وشكر الخاصة وشكر خاصة الخاصة (ان كان عين القلب) وهي البصيرة (تنظر الى أن الله واحد في منه) أي انه المعطي للنعمة وحده (فالشريعة تقتضي انه لابد من شكر خليفته) أي من شكر من اوصل اليك الله النعمة على يده من خلقه تعالى قياما بحق الحكمة وتبينا في حظ الحرمة أي اذا اوصل الله تعالى اليك نعمة على يد انسان سواء كانت دينية كالعلوم والعارف أو دنيوية فعليك في ذلك النظر وخليفتان الاولى النظر بعين الحقيقة وهي ان تشهد ان تلك النعمة من الله وحده والشيخ الذي جعله الله خليفته في تعليمك لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن غيره فان مضرة ذلك في تدريك وتعليمك و تبسيرك لهداية فهو مجرور لذلك بسلسلة في عنقه لا يستطيع لها نزعا وان لم يضر لذلك بقي على أصله من العجز وعدم الحيلة ومن كان بهذه المثابة لا ينبغي لاحد ان يعتمد عليه بل يعتمد على من خلقه وكذا يقال في كل من اوصل الله تعالى اليك على يده نعمة دنيوية او اخروية فتصمد الله على ذلك وهذا هو حق التوحيد والثانية النظر بعين الشريعة وهي ان تشكر من كان سببا في وصول الخير اليك دنيويا او اخرويا بان تدعو له وتثني عليه امتثالا لامر الله تعالى وعملا بما جاءت به الشريعة قال الله تعالى ان اشكر لي ولوالديك وفي حديث اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله اشكرهم للناس ولان الله تعالى اختصه بان اقامه في ذلك واعلمه ومن اسمائه تعالى الشكور فليتصف العبد بذلك وهذا هو حق الشرع وهذا هو القسم الاول والقسمان الآخران داخلان في ضمن قوله (وان الناس في ذلك على ثلاثة أقسام) اي واخبرك ان الناس في مشاهدة التوحيد ورؤية الوسائط حال ورود النعمة عليهم على يد أحد على ثلاثة أقسام القسم الاول (غافل) عن الله تعالى (منهمك في غفلته) أي مثناء فيها مغلوب بشهواته (قويت دائرة حسه) أي قويت عوالم جسمه فلا يعرف غير ما يدور عليها من الاكل والشرب ونحوه من حيث الشهوة لا من حيث المنة (و انطمست حضرة قدسه) أي ذهبت حضرة تطهيره من الاغيار وهي عين قلبه التي هي محل تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به فانها من عالم الملكوت نزلت الى عالم الشهادة تقلبت عليها الجسمانية فذهب نورها بتعلقها بالاغيار (فنظر الاحسان) صادرا (من المخلوقين) فطمع فيهم (ولم يشهده) اي الاحسان صادرا (من رب العالمين) لانه عمى عن الحق فلا يشهد الحقيقة وجهالة بنظر الشريعة مخالفا هذا القسم على نوعين وهما رؤية العطاء من العبد معتقدا بقلوبهم أنه من قبلهم ورؤيته منهم معتقدا على غير الله وما كنا اليه فهذا الاستناد يدخل صاحبه في أبواب النفاق ان يرى ذلك امرا لازما على طريقة ربط العادة مع عدم جحة الخلف كمن اعتقد القدرة للاولياء فذلك يحصل له من قبلهم ما يرجوه منهم لم يتغير ذلك الاعتقاد بل يرى انهم مقصرون في حقه ولم يعاملوه على قدر محبته وهذا معنى قوله (اما اعتقادا) بان يعتقد ان المعطي هو العبد حقيقة وان التأثير من اعطاء (شركه جلي) يخرجه عن دائرة الاسلام الى دائرة الكفر كما وقع لكثير من الجهلة اعتقدوا التأثير للاولياء لما ظهر على أيديهم من خوارق العادات ولما ظهر على يد علي كرم الله وجهه من غرائب العلم واسراره (واما استنادا) اي اعتقادا

الخامسة يهرون ثم في السادسة يموتون ثم في السابعة يبرأ هيم عليهم السلام والحال انك في جماعة من الملائكة كنت بالاشرف الخلق في ذلك الجمع صاحب الراية أي كبير القوم المقدم عليهم بمعنى أن الراية تابعة له صلى الله عليه وسلم ومتحركة بحركته قبل معه حيث مال وليس المراد بصاحب الراية انه يمسكها بيده فلا تزل تخترق الى مقام القرب حتى اذا لم تترك في صعودك غاية كاملة من القرب الذي لا يدركه مخلوق لطالب السبق الى القرب ولم تترك درجة لطالب رفعة خفضت كل رتبة لغيرك بالنسبة الى مقامك لانك نوديت من قبل الله تعالى نداء مخصوصا برفع شانك الى مالم يصله أحد غيرك وهو أعلى مقامات القرب وهو المعبر عنه بقاب قوسين حال كونك حاملا المفرد العلم في الاختصاص بالرفع فالضم يشير الى المنزلة العليا فهو رفع في المعنى ويقال اذا نوديت مع حركة الرفع وهو الارتفاع في

على الخلق مع اعتقاد ان الفاعل هو الله تعالى بان يعتقد ان المعطى هو الله تعالى ولكن اسند ذلك الى المخلوقات على جهة كونها اسبابا غير مؤثرة ولولاهم لم يحصل الاعطاء فاذا قيل له من الذي أعطاك مثلا قال الله ولكن لولا فلان الذي جاء من قبله لم يحصل اعطاء اذ لولا الاسباب ما كانت المسببات (فشركه خفي) لانه اشرك مع الله غيره وهو المخلوق ولم يغب عن الله تعالى فهو مؤمن لكن يخشى عليه الكفر والعياذ بالله وهو جاهل بحقيقة العقيدة من انه لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله تعالى (و) الثاني من احوال الناس بالنسبة الى رؤية العبد ومن مراتب الشكر الثلاثة (صاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود المالك الحق اذ لم يلتفت اليهم (وفني عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب) لانه يشهد معاملة الله تعالى ويستغرق فيها ويذهل عن رؤية الوسائط فلا يرى لاحد فعلا ولا يرى احسانا من غير الله تعالى (فهو عبد مواجه بالحقيقة) وهي حضرة الله تعالى لشهوده لها ظاهرة عليه سناها) اي نورها فانه اذا ظهر عليه سلطان الحقيقة وهبت ريح تجلي العظمة واشرقت انوار الكبرياء يصير قلبه الواجه بذلك في محل الفناء فلم يمكنه خروج عنه بوجه (سالك الطريقة) وهو الاعتماد على مولاه بلا واسطة (قد استولى على مداها) اي قد وصل الى غاية الطريقة (غير انه غريق الانوار) اي الا انه غريق في بحار انوار التوحيد التي هي معاني الاسماء والصفات (معلوس الآثار) اي اعمى البصيرة عن رؤية آثار الوسائط فهو معلق عليه الشعور بها فلم يقف بساحل الآثار الذي هو موقف النجاة كما اشار اليه ابو يزيد بقوله خضت بحر اوقفت الانبياء بساحله وهذا اعتراف منه بالنقص لان خوض البحر من اجهل به وله أي غلب على ابي يزيد شهود الحقيقة فلم يعط الظاهر حقه من كل وجه بخلاف الانبياء فقد اعطوا الظاهر حقه ولا شك ان من يساحل البحر يمكنه ان يستخرج منه الدر مع السلامة بخلاف الخائض فانه يلقي نفسه الى التهلكة او الوقف فانهم مع النجاة فهو يتصرف في البحر ومن هو في البحر يتصرف فيه البحر (قد غلب سكره على صحوه أي قد غلب سكره بخبر الحقيقة على صحوه لاحكام الشريعة وغلب عدم احساسه بالآثار على وجود احساسه بها (وجمعه على فرقه) اي وغلب رؤية الله وحده على بقائه الذي هو شعوره بالخلق فزاد على فرقه الذي هو رؤية الخلق مع الحق (وفرقه على بقائه) أي وغلب استهلاكه في وجود الحق على شعوره بالخلق (وغيبته على حضوره) أي وغلب ذهاب احوال الخلق عن نظره على حضوره مع الخلق وهذا حال الخاصة اما حال خاصة الخاصة وهو القسم الثالث من احوال الناس ومن مراتب الشكر فهو مذكور بقوله (وأكمل منه عبد شرب) من خمر الحقيقة (فازداد صحوا باعباء الشريعة) اي واكمل من صاحب الحقيقة عبد جمع بين الامرين كالنبي صلى الله عليه وسلم وورثته الكمل وسبب ذلك أنه شرب من كؤوس التوحيد فازداد صحوه بعد سكره (وغاب) في رؤية الخلق (فازداد بشربه (حضورا) معهم فدهلت الاحوال وتمكن في مقامات الرجال (فلا جمعه) وهو رؤية الحق (يحجبه عن فرقه) وهو رؤية الخلق (ولا فرقه يحجبه عن جمعه) فلم يغلبه صحو عن سكر (ولا فناؤه يصرفه عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه) بل يؤكد فناؤه بقاءه ويحقق جمعه وفرقه (ويعطي كل ذي قسط قسطه) بلا نقص (ويوفي كل ذي حق حقه) فبقي

(حقوق)

النازل والمراد بالفرد العلم المعرفة فيشمل النكرة المقصودة

كيما تفوز بوصل اي مستتر

عن العيون وسر اي مكتتم

قوله كيما علة غائية لقوله سربت وبت الخ ويصح تعلق كي بخضت او بودبت او بالرفع وما اما مصدرية تسبك مع الفعل بعدها بمصدر مجرور وتفوز مرفوع أي لفوزك واما زائدة وكي اما مصدرية ناصبة للفعل بنفسها ولام التعليل مقدرة قبلها والناصبة للفعل أن مقدرة بعدها قوله أي باجرعت لما قبله قوله مستتر ومكتتم كل منهما بصيغة اسم المفعول والمعنى فعلت يا رسول الله ذلك لاجل أن تفوز أو خضت كل مقام لتظفر الخ أو تاديبك كي تظفر او فعلك كي تظفر بوصل من الله تعالى حيث رفعك الى تلك المنزلة وتاديبك الى الصعود اليها كامل الاستتار عن أعين سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين لانه مقام لا ينبغي لغيره صلى

حقوق جميع المراتب فان شكر الخلق فللحق وان شكر الحق فلمحض عبوديته فلا يغيب عن الرب في حال مخاطبة الخلق وذلك كالمبتدئ في علم بحر محيط فوجد فيه ما يعجبه فلا يستطيع الشغل بغيره فاذا تمهر فيه وتضلع بقواعده لم يصرفه الاشتغال به عن الاشتغال بغيره فانه عنده المقصود الاهم مع اتساع مسائله وغلبة فروعه عليه والحاصل ان هذا العبد حصل له أنس الاعتياد بزيادة الشرب من كؤوس التوحيد فقوى شهوده حتى خلصت له الافاقة بعد دوام شربه كما قيل من بحر المتقارب

فكأسا شربت على لذة * واخرى تداويت منها بها

وكما قيل من بحر الوافر

شربت الحب كأسا بعد كاس * فما عد الشراب وما رويت

وانظر لما خرج سيدنا يوسف عليه السلام على النسوة قطعن أيديهن لما رأينه من الحيرة في شهود جماله والغيبة عن أوصافهن كما قيل من بحر الكامل

غابت صفات الخلق عنها كلها * في شاهد هو في السريرة أبدع

ولا شك ان زليخا كانت ابلغ في محبته منهن لكنها لم تغب عن التمييز بشهود جماله لتمكن حال الشهود في قلبها اه ولما صار لصاحب هذه الحالة من الثبات والقوة ما ليس لصاحب الحالة الاولى صار لا يحجبه جمعه مع الحق ومشاهدة انفراده في كل شيء عن اعطاء الآثار حقها ولا العكس ولا يصرفه غناؤه في شهود الحق عن بقائه مع الخلق ولا العكس فلم يحجبه شيء عن شيء بل وفى حقوق جميع المراتب وأعطى ما لها من قسط واجب وذلك لاتساع نظره ونفوذ بصيرته وهذه هي صفة الصديق التي ذكرها المصنف بقوله (وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لعائشة رضي الله تعالى عنها لما نزلت براءتها من الافك) اي الكذب عليها (على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم) لان براءتك سببها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تحصل الا بركته فيستحق الشكر منك (فقالت) رجوعا الى أصل التوحيد (لا اشكر الا الله) لانه المنزل للقرآن العظيم في شأني (فلما أبو بكر رضي الله تعالى عنه على المقام الاكمل مقام البقاء المقتضي لاثبات الآثار) مع الاشتغال بالمؤثر لانه قيام بحق الحقيقة وحق الشريعة قال الشيخ زروق والذي في الصحيح أن الذي قال ذلك للسيدة عائشة هو اخوها اسمه اه فعيني شذا أن المصنف انما نسب ذلك القول لأبي بكر اما لانه اطلع على رواية بذلك أولان ذلك القول بحضرة سيدنا أبي بكر فأقره فكأنه قاله (وقد قال الله تعالى ان اشكر لي ولوالديك) أي فان شكر الوالدين من شكر الله لانهما سببان لوجود الولد ومن شكر فعلهما الظاهري فقد شكر الصفة العلية ومن شكر تلك الصفة شكر الذات الكريم ومن فعل ذلك جمع بين الحقيقة والشريعة (وقال) رسول الله (صلوات وسلامه عليه لا يشكر الله من لا يشكر الناس) فالمطلوب شكر الوسائط الوالدين وغيرهم ممن كان سببا في نعمة تريد اوالخروج منها يطلب شكر الله لانه الصمد الذي القلب العبد ذكر المبدأ لانه واسطة النعمة والضار هو الوقوف مع العبد والغيبة عن الله تعالى قال بعضهم من بحر البسيط رحمه الله تعالى

الله عليه وسلم الوصول اليه وكي تفوز بسر من أسرار الهك الذي أوحى اليك في ذلك المقام كامل الاكتتام عن اسماع الخلق فحرمت كل فخار غير مشترك *
وجزت كل مقام غير مزدحم
قوله فخار بفتح الفاء وقوله مشترك بفتح الراء وقوله مزدحم بفتح الحاء أي فبسبب مانلت من تلك الرتبة جمعت كل مفتخر من الفضائل غير مشترك بينك وبين غيرك بل هو مختص بك من تجريد وتفريد وقطع علائق وتجاوزت كل مرتبة غير مزدحم فيها لانه لا يصل اليها غيرك
وجل مقدار ما وليت من رتب *
وعز ادراك ما أوليت من نعم
أي عظم ما قلدت اي ما جعل أمره اليك كالقلادة في العنق من مناصب شريفة فلازم به بالاحاطة وعسر ادراك ما اعطيت من نعم الفضل نيل عليه فيمتنع الوصول الى ذلك لاحد غيرك وهذه الابيات الاحدى عشرة التي أولها

اذا أدرك الانسان بغيته • من الفوائد فاكثر شكره أبدا
وقل فلان جزاه الله صالحة • أفادنيها وأنقى الكبر والحسدا
فالمرء يظهر شكر المفيد له • قلبا وبشكره ان قام أو قعدا

(وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها) أي وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها حين نزلت براءتها مأخوذة عن حكم بشريتها (غائبة عن الآثار) أي المخلوقات منعدمة في الانوار (فلم تشهد الا الواحد القهار) اي فلم يكن لها شعور بغير ربها لما غلب عليها من الفرح بتنة ربها بعد الحزن الشديد الذي نزل عليها (مراسلة أيضا في مراتب الشكر) وهي ما كتبه المصنف لبعض اخوانه (الناس في ورود المنن عليهم على ثلاثة أقسام) ناقص غافل ومستيقظ عاقل وعارف كامل فالاول شخص (فرح بالمنن لا من حيث) ان الله تعالى (مهديها) اي معطيها اياه بكرمه تعالى (ومنشئها) اي موجدها من العدم (ولكن بوجود متعته فيها) اي ولكن فرحه بالنعم من حيث أن فيها قضاء اوطار نفسه ونيل غرضه وحصول تمتعه بشهواته (فهذا من الغافلين) عن وجه الشكر على النعم شبيه بالبهائم (يصدق عليه قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) اي وهذا القول الشريف محمول على هذا الشخص اي ان الله تعالى اورد عليه النعم استدراجا منه تعالى حتى اذا فرحوا بما اعطوا فرح بطر أخذناهم بالعذاب فجاءتهم الدنيا بزوالها والموت وفي الآخرة بالعذاب الدائم (و) الثاني شخص (فرح بالمنن من حيث انها شاهدها منة من أرسلها ونعمة من اوصلها) اي والقسم الثاني شخص متوسط وهو من حصل له نصيب من الجلالة وحظ من الزلفة وهو الذي فرح بالنعم لكونها منة من الله عليه فمن حيث شهوده المنة من ربه جلت قدرته وكانت أحواله محمودة وهو شكر منه لائق به ومن حيث نظره لنفسه وبقائه مع شهواته كان له نصيب من الخسة فنزل بهذا الوصف عن مراتب الاعلين وارتقى بالوصف الاول عن أحوال الادنين فهو مخاطب بما خوطب به عامة المؤمنين في هذه الآية التي ذكرها المصنف بقوله (يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) و الثالث شخص (فرح بالله) سبحانه وتعالى لا لعلة بل من حيث كمال ذاته وجلال صفاته وتقدس أسمائه وجمال افعاله ان رأى نعمة ذكر منه تعالى وان رأى بلية ذكر رحمته تعالى (ماشغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها) اي ماشغله من النعم لذتها الظاهرة كحال أهل الغفرة ولا منتها الباطنة فان رؤية كون النعم بارزة منه تعالى باطن لافهاد الة على عناية الله به حيث أنعم بها عليه (بل شغله النظر الى الله عما سواه والجمع عليه) اي وانجماع سره على ربه ومصاحبة قلبه لمراقبة مولاه (فلا يشهد الا الله) أي صار غائبا عن حظوظ نفسه فهو يرى الاشياء كلها نعما فلا تفرقة عنده بين وجود وعدم ولا بين عطاء ومنع ولا يخاف عليه من الانقلاب لتغير الاحوال والاسباب ما يخاف على غيره وهذا الحال هو الشكر الحقيق الخالص من المزج وهذا في غاية الشرف (يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) قال أبو محمد الجزيري رضي الله عنه من رأى النعم ولم ير المنعم فقد حجب عن الشكر ومن رأى النعم بغية النعم فقد شكر وقال الشيخ عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من لم

يا خير من يمم الى هنا
خاصة لمن خاف أن
يلومه السلطان على
جلوسه فمن كتبها
في جلد جمل ويجعله منشورا
على صدره تحت الثياب
ويدخل على السلطان
وهو يقول الله أكبر ثلاثا
فانه لا يكلمه أبدا بالروم
ولا يؤذيه ومن وقع بينه
وبين زوجته خصومة
أو بين أحد من أحبابه
فليكتبها في جلد أسد
ويجعلها في كوة عمامته
ويدخل على حبيبه وهو
صامت فان حبيبه يبدأ
بالكلام ويكون محبا
ومساعدا له مالم يخطر
بقلبه فاتق الله في أن تفعل
هذا الحرام
بشرى لنا معشر الاسلام
ان لنا •
من العناية ركنا غير منهدم
قوله بشرى خبر مبتدأ
محذوف الصفة أو مبتدأ
محذوف الصفة ولنا خبره
أو منصوب على المفعول
المطلق قوله معشر الاسلام
منادى أو منصوب على
الاختصاص قوله ان لنا
جملة اسمية فهو
بكسر الهمزة أو بفتحها
على تقدير لام العلة قوله

يشاهد النعم فى النعم كانت النعم فى حقه استدراجا لانه يؤديه الى أن يسكن اليها فاذا نزعت منه لزمه أن يتغير عليها وقد بين الامام الغزالى لهذه الاقسام الثلاثة مثالا فقال ان الملك الذى يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به وانه مركوب يوافق غرضه وهذا فرح من لاحظ له فى الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده فى صحراء فاخذه لكان فرحه به مثل هذا الفرح وثانيها ان يفرح بالفرس لا من حيث انها فرس بل من جهة ما يستدل به على شفقة الملك عليه واعتماده بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس فى صحراء أو أعطاه له غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا ولاستحقاره له بالنسبة الى مطلوبه من نيل المنزلة فى قلب الملك وثالثها أن يفرح بالفرس لسركبه فيفرح به لسفر فى خدمة الملك لينال بذلك درجة الوزارة ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة نفسها بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب (وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود قل للصديقين) اى كثيرى الصدق فى أقوالهم وأفعالهم واحوالهم (بى فليفرحوا) اى فليفرحوا بشهودى وقربى فى قلوبهم لا بغيرى حيث كنت ربا وكانوا لى عبدا كما قبل ان عيسى عليه السلام دخل فى بعض الايام على رابعة العدوية وعليه ثوب جديد وهو يتبختر فى مشيته على خلاف عادته فقالت له يا عيسى ما هذا العجب الذى لم أره فى شمائلك قبل اليوم فقال يا رابعة ومن أولى بهذا التيه منى وقد اصبح لى مولا واصبحت له عبدا (وبذكرى فليتنعموا) اى فليتنعموا بذكرى لانى مع الذاكرين ما داموا يذكرونى واى نعيم يساوى نعيم كونى معهم لا بلذات الدنيا فان المشتغل بذكر الله يحصل عنده من اللذة والانس بالله ما لا يوازيه لذة من لذات الدنيا قال بعضهم كنت مسافرا الى مكة فبينما أنا أمشى اذ رأيت شيخا يمشى مقعدا وهو ينظر فيه ويرقص فتقدمت اليه فقلت يا شيخ ما هذا الرقص قال دعنى عنك قلت فى نفسى عبد من انا وكلام من أنا ولو وجبت من اتاه صدقا لخرقنى الوجد فرقصت (والله تعالى يجعل فرحنا واياكم) أيها الناظرون فى هذا الكتاب (به) تعالى (وبالرضى عنه) حتى لا نفرح بشئ دونه ولا نرضى بشئ سواه (وأن يجعلنا من أهل الفهم عنه) وهم الذين يفهمون من الله مراده منهم ويفهمون عنه انه حاضر معهم وانه قائم بالاشياء وانه معهم بذاته لا بعلمه كما يفهمه المحجوبون (وان لا يجعلنا من الغافلين) الذين اشتغلوا بالاكوان عن المكون ولم يفهموا مراد الله منهم (وأن يسلك بنا مسلك المتقين) اى الذين اتقوا الالتفات الى غيره تعالى الذين لا يحبون عنه تعالى طرفة عين وهذه أعلى مراتب التقوى ودون ذلك اتقاء معاصى وشهوات النفوس ودون ذلك اتقاء الشرك (به وبكرمه) لا بأعمالنا العلوية وهذا دعاء حسن موافق لمعنى ما تقدم تمذيله بحاجة حسان فيها حكم عليه الشأن وقد أشار بها الى معانى ما فى هذا الكتاب وأودعها أعجب العجائب وقد حث بعضهم على قراءتها بالسحر وجربت بركاتها فقال

﴿ خاتمة فى مناجاة المؤلف رضى الله عنه مع ربه جل ذكره ﴾

من العناية حال من ركنا بيان له أو حال من الضمير فى لنا والركن هو ما اعتمد عليه ومعنى البيت هذه المناقب الشريفة يشرى لنا الخ أو يشرى عظيمة ثابتة لنا أو يثبت هذه المناقب بشارتنا بإجابة الاسلام لان لنا شريعة باقية غير منسوخة حال كونها من ارادة الله تعالى بنا فى الازل ملتبسا الله دائما بنا لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الامم

قوله دائما منصوب به بسكون الباء على لغة من يعرب المقوص فى الاحوال الثلاثة بحر كانت مقدرة ومعنى البيت لما سمى الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم الذى هو داعينا الطاعة الله تعالى بأكرم الرسل كنا أخص معشر أمته صلى الله عليه وسلم أكرم الامم عنده تعالى لان أكرم الرسل لا يبعث الا الى أكرم الامم فجميع من بعث صلى الله عليه وسلم اليهم خير الامم مؤمنهم خير المؤمنين وكافرهم خير الكافرين ولهذا ارتفع عنهم المسخ والخسف وغيرهما مما نزل بالامم

نسأل الله تعالى حسنها وهذه المناجاة محشوة بأسرار التوحيد والشاذلية يتواصون باستعمالها في العصر قال بعض العارفين ان فيها سرا عجيبا وتأثيرا كبيرا في قلب ذاكرها مع الحضور واستعمالها في وقت العصر أولى فان لم يتيسر ذلك ففي آخر النهار أو في أي وقت (الهي أنا الفقير في غناي) بالنصر وفتح الياء المتكلم (فكيف لا أكون فقيرا في فقري) أي يا الهي أنا في حالة غناي الظاهر فقير اليك في الباطن لأنه لا قدرة لي على جلب نفع أو دفع ضر فكيف لا أكون محتاجا اليك في الأمور الباطنة التي لا كسب لي فيها في نفع أو ضر فاليك ترجع أحوالي (الهي أنا الجاهل في علمي) أو في حال علمي لان علمي الحادث لا يحيط بأحوال العلوم وما خفي عنه أكثر فعلمه مشوب بالجهل (فكيف لا أكون جهولا في جهلي) أي فكيف لا أكون شديد الجهل في ما خفي عني وفي علمي أعلمه (الهي ان اختلاف تدبيرك) أي ان تناوب ايقاعك الاشياء على الوجه الاصلح بالنقل من حال الى حال كالنقل من مرض الى صحة ومن فقر الى غنى ومن حزن الى فرح الى غير ذلك (وسرعة حلول مقاديرك) أي سرعة حصول ما قدرته (منعت عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء واليأس منك في بلاء) فلا يأمنون المكر عند العطاء ولا ييأسون عند حلول البلاء لانك قادر على النقل من سوء حال الى أحسن حال قال العبرة بالخواتيم وذلك من غيب عليك (الهي مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك) أو يا الهي مني يحصل ما يناسب دناءتي من مبارزتي اياك بالذنوب العظام ومنك يحصل ما يليق بكرمك من اجابة السؤال وافاضة النوال والعفو عن الذنب الكثير وعدم المؤاخذة على التقصير فما مني يليق بوصفك الا ما يليق بوصف (الهي وصفت نفسك باللطف والرأفة قبل وجود ضعفي أفتمنعني منهما بعد وجود ضعفي) فان اللطف والرأفة صفتان لله تعالى تقتضيان تعلق الازل قبل وجود ضعف العبد وحاجته يقتضي تسميته تعالى أزلا باللطيف والرؤف ويقتضي تعلق الارادة التخييري القديم وهما يقتضيان لوجود آثارهما في غير الأزل بعد وجود ذات العبد وصفاته فاللطف يرجع للعلم والرأفة يرجع للارادة قال تعالى الله لطيف بعباده أي الله مريد اللطف في الازل لعباده والا فلا وجود لهم في الازل فلا بد من ابراز ذلك اللطف حين وجودهم فاللطف ايصال المنافع من أبواب خفية بعيدة عن العقول والاوهام حتى قال بعض المشايخ هو اخفاء الامور في صور اضدادها نحو ما أخفى ليوسف عليه السلام من انالته الملك في لباس ثوب الرق ومن لطفه تعالى بقوم أن يحضر لهم ذنوبهم نصب أعينهم لترتدع نفوسهم ويخافوا فيتوبوا ومن لطفه تعالى بآخرين ان يوسع عليهم الرزق الحسي ولولا ذلك لفروا وضجروا ومن لطفه تعالى بآخرين أن يضيق عليهم ذلك ولولا ذلك لبغوا في الارض ومن لطفه تعالى بقوم أن يقبض على قلوبهم بحار معرفته ولولا ذلك لاحترقوا الى غير ذلك من الرأفة شدة الرحمة وقد يرحم الله عباده بما هو في الظاهر مشقة وهو في الحقيقة نعمة ورحمة وفي الحديث يقول الله يا جبريل أخر حاجة عبدي فاني أحب أن أسمع صوته (الهي ان ظهرت المحاسن مني) كالطاعات والصفات المحمودة (فبفضلك) لا بحولي وقوتي (وان ظهرت المساوئ) أي وان ظهرت تعديدا لهم علي من ذلك لعدم اتصافي لذلك والانسان مذموم الا من الله أو رسول أو والد أو شيخ وقال البيد

قبلهم
راعت قلوب العدا أنباء بعثته *
كنبأة أجفلت غفلا من الغنم

قوله بعثته بكسر الباء وفي نسخة دعوته قوله غفلا بضم الغين والمعنى ازعجت قلوب الاعداء وفزعت لعلمهم أخبار رسالته صلى الله عليه وسلم التي صدرت من الكهان والمنجمين من أن دينه صلى الله عليه وسلم سيعلو على كل دين لعلمهم من دين الاسلام كصوت الاسد أفزعت قلوب غنم غافلة بسبب كونها مشتغلة في أكلها بأمر مهما ذلك الصوت وفزعها

مازال يلقاهم في كل مرتحل
منزلك *
حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

أي مازال صلى الله عليه وسلم يلقى الاعداء بعسكره تارة وبجنوده تارة أخرى في كل محل الازدحام للحرب حتى شابهوا بسبب طعنهم بالرماح لحما على طبليذ وهو كل ما وضع عليه اللحم من خشبة أو نحوها ليقيه من الارض اي حتى صاروا من كثرة الجراحة بالرماح طعنا وبالسيف ضربا وبالنبل

الن من العبد تقع ومن الله تعالى تذكيرا لهم وحث على شكر النعم أي ومنذ الله تعالى تعريف بالعبودية والربوبية (وان ظهرت المساوئ مني) أي المعاصي والنقائص (فبعدلك) لا بطريق الظلم لان الملك يفعل في ملكه ما يشاء (وقلت الجد علي) بان تقول لي لم فعلت ذلك يا عبدي وليس لرجل أن يحتج بالقضاء والقدر لانه ليس له على مولاه شيء وقال بعضهم تعلق شاب بأستار الكعبة وقال الهي لانك شرفتني بولائك وزينتني ان أطعتك فبفضلك وقلت الجد علي وان عصيتك فبعدلك وقلت الجد علي فبأيهما جئتك علي وانقطاع رجائي لديك الا ما غفرت لي فسمع هاتفا يقول القني متيقنا من النار (الهي كيف اكلني الى نفسي وقد توكلت لي) وفي نسخة سقوط قوله الى نفسي وفي نسخة وجود بدله بقوله الى سواك أي كيف اتركني لغيرك حتى لنفسي وقد صرت وكيلا لي اذ صيرت نفسك وكيلا والوكيل هو الذي تفوض اليه الامور لعلمها وقدرته عليها فالله تعالى هو المطلع على عواقب الأمور القادر عليها الكافي فيها الخبير باصلاحها فهو الوكيل الحق (وكيف أضام) أي كيف يحصل لي ذل بظلم الناس علي (وأنت الناصر لي) قالوا والعجب (أم كيف أخيب) أي كيف لا أنال ما اطلب (وأنت الحفي بي) أي وأنت البالغ في اكرامك لي وفي العناية بأموري قالوا والوكيل والناصر والحفي من اسماء الله تعالى وهي مقتضية لوجود آثارها من الكفاية والنصرة وحصول البغية (ها أنا أتوسل اليك بفقري اليك) أي ها أنا أجعل فقري وسيلة التوصل الى نعمك ولا أشفع بعندك في القبول لا بأعمالي المدخولة وأحوالي المعلولة ولم أجد وسيلة توصلني الى ذلك سوى احتياجي اليك فأتوسل اليك بذلك بان أحقق اضطراري اليك فان التحقق يسبب الاجابة وهذا مقام المقربين لانهم لا يرون لانفسهم احقية كما قال أبو حمزة في قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية التضرع في الدعاء ان لا تقدم اليه اعمالك وصلاتك وصيامك وقراءتك ثم تدعو على ازه انما التضرع ان تقدم اليه افتقارك وبعزك وضرورتك وفاقتك وفاقتك حيلتك ثم تدعو بلا علقة لا سبب فيرفع دعاؤك وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي ما طلبت من الله شيأ الا وقدمت امامي أي اراد الشيخ أنه لا يطلب من الله بوصف يستحق به العطاء بل لا يكون وجود فضله تعالى الا بفضله ثم توسل بالاعمال على وجه آخر من حيث أنها فضل واحسان فيتوصل الى الفضل بالفضل لكن للنفس فيه تلبيس ونحوه وانما يصفو التوسل الى الاحسان بالاحسان فيه لا العمل فيه لعبد ولا كسب وقصد رجل بعض الملوك وقال انا الذي أحسنت الي في العام الماضي فقال مرحبا بمن توسل لاحساننا باحساننا واما مقدم الابرار فهو التوسل بالاعمال كما في قصة أهل الغار الثلاثة فرفان الابرار يعبدون الله حذرا من عقابه ورجاء لثوابه (وكيف التوسل اليك بما هو محال ان يصل اليك) فان الفقر محال على الله وحضرته تعالى حضرة غنى لا يصل اليها الفقر أي وكيف اعتمد على فقري وانما الاعتماد عليك وحينئذ فالتوسل الى الله بالله فتوسل الشيخ أولا باضطراره لان ذلك غاية وصفه ونهاية ما في يده فهو توسل بحسب الظاهر وثانيا بغناه تعالى وهذا بحسب الحقيقة وقد تفضل الله تعالى على العبد بجعله ان يتوسل باسمائه الحسنى وصفاته العليا وبانبيائه

ربما قتلى كلهم ملقى على الارض تأكله السباع والوحوش والطيور وهو الفرار فكادوا يقنطون به .

أشلاء شالت مع العقبان والرخم

قوله العقبان بكسر العين وهي نوع من كبار الطير والرخم طير يقع على الميتات والمعنى تمنى الاعداء الفرار من الحرب معه صلى الله عليه وسلم لشدة ما حصل عليهم فلم يقدروا عليه فتمنوا في الفرار أن يحصل لهم مثل ما حصل لاعضاء أمثالهم القتلى من أنه قد وقعت عليها الطيور الجارحات فاكلت منها الخازيات وارتفعت منها عاشات ليتخلصوا مما هم فيه فان الانسان اذا اشتد عليه الحال في الموت تمضي الليالي ولا يدرون عدتها .

مالم تكن من ليالي الاشهر الحرم .

أي قرعليهم الليالي والايام فلا يدرون عدتها ولا يفرقون بين الاشهر والايام لشدة ما لحقهم من سلب الحواس بسبب

ورسله وأوليائه رفعة أقدارهم عنده تعالى (أم كيف أشكو اليك حالي وهي لا تخفى عليك) وشكوى الحال لا يصح الا لمن يجهلها وكيف يخفى عليك وأنت العليم الخبير وقد يغلب على العارف شهود احاطة علمه تعالى فلا يمكنه الا السكوت وعدم الطلب وقد لا يغلب عليه ذلك فيقصد بالدعاء اظهار الفاقة والتذلل بين يدي مولاه والتنعم بمناجاته وامتثال أمره به (أم كيف أترجم لك بمقالي وهو منك برز واليك) اي بل كيف اعبر عما في ضميري بان أقول اعطني كذا وأنت الذي انطقت اللسان بذلك فالتعبير برز منك لانك الموجد للحروف والالفاظ واليك ما آل أمره لانك السؤل (ام كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت عليك) اي والآمال قصدت عليك وانت الذي تكرم الوافدين ولا تنزك الواردين قوله وفدت بفتح الفاء قال في المختار وفد فلان على الامير اي ورد رسولا وبابه وعد اه والآمال المتعلقة بالله تعالى لا تخيبها والله تعالى كريم منعم وليكن العبد على يقين بحصول مطلوبه منه تعالى وان لم يسأل ولم يطلب (ام كيف لا تحسن احوالي وبك قامت واليك) فان وجود أحوال الظاهرية والباطنية الفاهو من الله تعالى ورجوع أمرها اليه تعالى ومن استحضر ذلك راى يجب ما يجري عليه حسنا اما انقسامه الى قبيح وحسن الفاهو بالنسبة للعبد واما بالنسبة اليه تعالى فلا قبيح اذ الجميع فضل او عدل قال الله تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه فان تحقق بهذا لجأ الى الله وأقبل عليه فيتمكس حاله فيرجع الله تعالى مع وجود ما يعذبه به فان فضله تعالى لا يرتبط بشيء مخصوص ولا يوقف على معين اللهم اجعل سيئاتنا سيئات من احببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضت فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك (الهي ما الطفك بي مع عظيم جهلي) بعواقب الامور فقد أقصد ما فيه ضرري فتمنعني عنه لطفا منك فلو خلي الله الانسان وجهله لاقتحم المهالك لكن الالطاف حافة به فلا يسلم الا بلطفه ولا نجا شخص من المؤذيات والشياطين الا بلطفه وفي الحديث وكل بالمؤمن ثلثمائة وستون ملكا يذبون عنه ولابي داود ليس من الناس احد الا وقد وكل به ملك فلا تريده دابة ولا شيء الا قال اتقه اتقه فاذا جاء القدر خلاه عنه (وما أرحمك بي) حيث منت علي بالتوحيد والاقبال اليك (وبالعافية مع قبيح فعلي) بتقصيري في خدمتك او شيء عظيم يتجب منه اكثر احسانك لي مع افعالي القبيحة المقتضية عدم الاحسان واذا شهد العبد هذا المعنى أوجب له الحياء والانكسار فاحسن منه الاعتراف بالتقصير فقط (الهي ما أقربك مني) بعلمك وتدبيرك فانك يا الله تعلم ما تخفي وما تظهر وتعلم بي قبل وجودي حتى ان انفاسي وحركاتي وسكناتي وخواطري الخافية بقدرتك وعلمك قال عامر بن قيس ما نظرت الى شيء الا ورأيت الله أقرب الي منه (وما أبعدني عنك) بصفاتي فان العبد في غاية السفل والرب في غاية الرفع وبعد العبد كناية عن جهله عن الله تعالى وما عرف الله تعالى بحز الخلق عن معرفة جلاله وادراك كماله أجمل الكل في قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته (الهي ما أرأفك بي) اي ما اشد رحمتك بي فان سترك مسبول علي واحسانك دائما واصل الي وفضلك في كل لحظة حاضر لدي (فما الذي يحجبني عنك) فان من شاهد رأفته به غاب بهذا الشهود عن رؤية نفسه وصفاتها فلذلك لم يظهر له سبب لوجود حجابه عنه ويقال المعنى ما اشد رحمتك بي حيث جعلتني في كل شيء

سوء ادب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم فاذا دخلت عليهم الاشهر الحرم التي هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب يتفطنون لما مضى من الليالي والايام ويدرون عدتها لانهم فيها من قتال المؤمنين اياهم وهذا قبل اباحة القتال فيها أو على قول مقاتل من أن منع القتال لم ينسخ

كأنها الدين ضيف حل ساحتهم ٭

بكل قرم الى لحم العداقرم قوله ساحتهم الضمير اما ما مثل الصحابة فالى اعداء الدين قوله بكل قرم بكسر القاف وسكون الراء فالباء بمعنى مع متعلق بحل اي مع كل سيد شجاع وقوله الى لحم متعلق بقرم آخر البيت فهو بفتح القاف وكسر الراء أي شديد القوة شديد الشهوة الى لحم الكفار والمعنى كأن دين الاسلام ضيف نزل في مكان أهل الاسلام المتدينين به مع كل سيد شجاع شديد الشهوة الى لحم اعداء الدين اي شديد الحرص على قتلهم ومن عادة الضيف أن

دليلا عليك فالذي يحجبني عنك مع ان كل شئ فيه دلالة عليك (الهي قد علمت باختلاف الآثار) وهي الافعال المتعلقة بظاهر العبد من اجزاء جسمه هذا لحم وهذا دم وهذا عظم الى غير ذلك ومن صفاته الحسية هذا بياض وهذا سواد وهذا جمال وهذا ضده الى غير ذلك ومن صفاته المعنوية هذا علم وهذا جهل وهذا قوة وهذا ضعف الى غير ذلك (وتقلبات الاطوار) اى تبدلات الاحوال في أوقات تلك الآثار من شبوبية وكهولية وشيوخة وصحة ومرض وتناهي القوة وتوسطها وضعفها فالاطوار عوارض الآثار فهي اخص منها (ان مرادك مني أن تعرفك الى في كل شئ حتى لا اجهلك في شئ) اى على ذلك أرشدني ان مرادك مني ان أعرفك في كل شئ معرفة خاصة في حالة خاصة حتى أشاهد وحدانيتك وعظمتك وجمالك وكمالك وجلالك بحيث لا يتصور مني جهل بك اذ لا يتصور جهل بما انا فيه قبل معرفته لان بشهود الفعل اشهد الفاعل فلا يحصل عندي جهل بك في شئ لان التصرفات تقتضي التصرف وبشهود العبد الافعال يشهد الفاعل وقد تعرف الله تعالى الى عبده بافعاله واوصلهم بها الى شهود صفاته ثم الى شهود ذاته لانه تعالى لو تجلى لهم اولا بصفاته وذاته لاضمحلوا قال بعضهم في الدنيا جنة معجلة من دخلها لم يشتق الى جنة الآخرة ولا الى شئ ولم يستوحش من شئ قيل وما هي قال معرفة الله تعالى وقال مالك بن دينار رضي الله عنه خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب الاشياء قيل وما هو قال المعرفة وقد روي انه روي صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد وفي يد احدهما رقعة فيها مكتوب اذا احسنت كل شئ فلا تظن انك أحسنت شيأ حتى تعرف الله عز وجل وفي يد الآخر كنت قبل ان اعرف الله عز وجل أشرب واطعم حتى اذا عرفته رويت بلا شرب (الهي كما أخرستني لؤمي انطقني كرمك) اى يا الهي كل وقت أخرستني ذنوبي وعصياني انطقني نظري الى كرمك واحسانك العام فان الكريم لا توقف اعطاؤه على سبب وشرط من تودد وغيره (وكما يأستني اوصاف اطمعتني منك) اى وكل وقت اوقعتني في اليأس اي في قطع الرجاء من القيام بحقوق الربوبية أو صافي الذميمة جعلتني طامعا في ذلك منك التي شيمة البر والفاجر (الهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي) اى يا الهي من كانت أعماله الصالحة مساوي فكيف لا تكون أعماله السيئة عيوبا تامة لان الكمال المنسوب الى العبد تقصان على التحقيق ولان طاعات العبد اذا قام عليها ميزان العدل وجده لم يقم فيها بواجب حقها وربما دخله الرياء والعجب فهذا لا يتوهم انه محاسن يستحق بها الفضل بل لا وصول الا بالفضل وهذا اعتراف بغاية التقصير (ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي) اى ومن كانت علومه التي يعرفها الناس وافعاله المنسوبة اليه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي لان المؤثر حقيقة هو الله تعالى والعبد لا فعل له حقيقة ومن ادعى أنه بلغ في المعرفة غايتها وانه عرف الله تعالى فهو مدع ومتوهم لانه سبحانه وتعالى منزه عن الادراك قال الجنيد رأيت سبعين صارفا على وجوههم اي توهمهم أنهم عرفوه تعالى قال الكل معزولون عن ادراك حقيقة الحق قال تعالى وما قدروا الله حق قدره (الهي حكمك النافذ ومشيتك القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي حال حالا) اى حكمك النافذ بتبديل الاحوال ومشيتك القاهرة بالنقل

يشبع ضيوفه مما يشتهون ويقال كأنما دين الاسلام ضيف جاء ساحة الكفار مع كل شجاع من الصحابة شديد الشهوة الى لحمهم ومن شأن الضيوف أن يشبعوا مما يشتهون عند المضيف الكرام والغرض من ذلك الاخبار بكثرة القتل في الكفار

بحر بحر خيس فوق ساحة .

يرمي بموج من الابطال ملتطم

أي يتبع ذلك الضيف او ذلك السيد جيشا عظيما كالبحر في اهلاكه الكفار كائنا فوق خيل مسرعة في طلب الكفار يرمي ذلك الجيش بموج داخل بعضه على بعض لكثرته صادر ذلك الموج من الشجعان والمراد بالموج الافعال الواصلة الى الكفار بآلات القتال وسمي الجيش بحمس لانه خمس فرق المقدمة والقلب واليمنة واليسرة والساقة .

من كل منتدب لله محتسب .

يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

قوله من كل الخ بدل من الابطال والمنتدب بكسر

من حال الى حال لم يبق معها في قلب العبد شيء يسكن اليه ولا حال يعتمد عليه وان كان ذلك جميلا وقد حكم الله وتقدست مشيته بسلب الحال الجميل والقول السديد من بلعام بن باعوراء فوجب على العبد الفرار من كل شيء الى الله تعالى والاعتماد في جميع الاحوال عليه تعالى (الهي كم من طاعة بنيتها) اي أفتها على الوجه المأمور به من الوفاء بجميع اركانها وشرائطها وما يتعلق بها من حقوق وآداب (وحالة شيدتها) اي طهرتها وصنتها عما يكدر صفاءها (هدم اعتمادي عليها عدلك) اي عدم اعتمادي على تلك الحالة والطاعة نظرا الى عدلك فانك تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد ولا تبالي (بل أقالني منها فضلك) اي تفضل علي من الاعتماد على الطاعة والحالة نظرا الى فضلك فصرت معتمدا عليه لا على الطاعة وتم الدليل هو (الهي انك تعلم ان لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما) اي انك تعلم حصول عزمي على الطاعة ومحبتي لها دائما وان لم ادم على الطاعة من جهة الفعل الجزمي عن المداومة فعزمي عليها ومحبتي لها دائما وسيلة مني اليك لانهما من نعمك التي انعمت بها علي فان الشخص اذا أحب العاملين للخير لاجل علمهم له يحصل له بذلك منقبة عظيمة وان لم يعمل مثل عملهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وكما قيل عن الامام الشافعي رضي الله عنه من بحر الوافر

احب الصالحين ولست منهم ... لعلي ان انال بهم شفاعه
واكره من بضاعته المعاصي ... ولو كنا سواء في البضاعه

واجابه بعض تلامذته قيل هو الامام أحمد بن حنبل قوله

تحب الصالحين وأنت منهم ... لعلهم بنالوا بك الشفاعه
وتكره من بضاعته المعاصي ... جلالة من تلك البضاعه

(الهي كيف أعزم) على فعل الطاعات وترك المنهيات (وأنت القاهر) ومن شهد قهرك بطل عزمه لانك الغالب (وكيف لا اعزم وأنت الآمر) لي بالعزم على ذلك وكان العارفون لا يجزمون بشيء من الاشياء بل يفوضون الامر الى الله تعالى فقد قالوا العارف لا قلب له (الهي تردد في الآثار) اي المكونات على سبيل الاستدلال بها عليك (يوجب بعد الزائر) اي يوجب البعد عن كمال المعرفة وعن الوصول اليك لما فيه من الشغل بغيرك (فاجمعني عليك بخدمة توصلني اليك) اي اجذبني اليك ودلني على الطريق الموصل اليك من خدمة لاظهر فيها عبوديتي ولا كون ممتثلا لامرك متأدبا لك (الهي ليف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك) من الاسباب والآثار وهي المكونات (ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك) مع انك الظاهر ومظهر المظاهر (متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك) وكيف يحتاج الى الدليل من نصب الدليل وكيف يكون معرفا به وهو المعرف له (ومتى بعدت حتى تكون) اي المكونات (هي التي توصل اليك) اي الى معرفتك قال الشيخ محمد بن علي السكناني رضي الله عنه وجود العطاء من الحق شهود الخلق بالحق لان الحق دليل على كل شيء ولا يكون شيء دونه دليلا عليه (الهي عميت عين لا تراك عليها رقيبا) اي يا الهي عميت عين البصيرة لا تراك حافظا منتظرا عليها فمن رأى أن الله تعالى رقيب عليه

الدال أي مجيب وقيل بالضم أي مدعو والمعنى من كل مجيب لندائه الله اياه الى قتال الكفار مدخر ثواب عظيم عند الله تعالى يصول به لة مزيلة لاهل الكفر الى آخرهم كالسيف وغيره مما يلتهم * حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم * من بعد غربتها موصولة الرحم * مكفولة ابدا منهم بخير أب * وخير بعل فلم تيتم ولم تئم أي لم يزل السيف قائما حتى صارت ملة الاسلام وهي معصوبة بالعصابة الابطال موصولة القرابة لكثرة من يدخل فيها بعد عدم شهرتها قلة من ينتسب اليها محفوظة دائما من الكفار أو محفوظة دائما حفظا صادرا من الابطال بخير أب وخير بعل وهو النبي صلى الله عليه وسلم فانهم أشفق على أمته من الاب على أولاده وأقوم بمصالحهم من الزوج على زوجته ومثله صلى الله عليه وسلم من يقوم مقامه من الخلفاء الراشدين والعلماء المهديين فلم يحصل لتلك الملة يتم من جهة الاب

ويعلم جميع أحواله ولا يخفى عليه شيء منها امضى منه وهابه أن يراه على ما يكرهه منه ومن لم يكن على هذا الوصف حيث عين بصيرته فبارزالله تعالى بانواع القبائح من غير مبالاة وفى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ايمان المرء أن يعلم ان الله معه حيث كان وحكى عن بعضهم أنه كان يشترى كل سنة من الشعير بسيرا بفلوس وكان يقوت به طول سنته فلما مات رفعت جنازته بالغدو فلم يفرغوا من دفنه الا قرب العشاء لكثرة الزحام فرؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى واحسن الى الكثير الا أنه حاسبنى حتى طالبنى يوم كنت صائما وكنت قاعدا على حانوت صديق لى حناط فلما كان وقت الافطار أخذت حنطة من حانوته فكسرتها نصفين فذكرت أنها ليست لى فالقيتها على حنطته فأخذ من حسناتى فيما نقص من تلك الحنطة بالكسر (وخسرت صفقة عبدلم يجعل له من حبك نصيبا) اى وخسرت تجارة عبدلم يجعل له من حبك يا الله لعبدك نصيبا وحب الله تعالى لعبده رجحانه واحسانه اليه وثناؤه عليه وحب العبد لربه طاعته وموافقة أمره وتعظيمه وهيبته فمن أعطاه الله تعالى من الحب الذكور نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرة العين ومن شغله بالدنيا فقد خسر تجارته وحكى عن بعضهم أنه قال اشتريت جارية فسمعتها فى شطر الليل وهى تقول الهى بحبك اياى الا ما غفرت لى فقلت لها الا تقولى هكذا ولكن قولى بحبى اياك فقالت ياسيدى تحبنى اياى من على بالاسلام وأيقظنى لعبادته وكثير من عباده نيام (الهى أمرت) من وصل الى صريح المعرفة وخالص التوحيد (بالرجوع الى الآثار) اى الكونات عبودية وتأدبا (فارجعنى اليها) اى الكونات على حالة شريفة مضادة لحالة التى كنت عليها قبل السلوك حال كونى مكسوا (بكسوة الانوار) وهى الاحكام الشرعية (وهديا بالاستبصار) اى ومؤيدا بالمعارف الحقيقية (حتى أرجع اليك منها) اى الآثار بالتوجه والفناء عنها (كما دخلت اليك منها) فى بداية السلوك حال كونى (مصون السر عن النظر اليها) اى الآثار بعين الاستحسان وحال كونى (مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها) باعتمادى عليك واستنادى اليك (انك على كل شيء قدير) ومنه تحصيل تلك المطالب السنية (الهى هذا ذلى ظاهر بين يديك) فذل العبد لمولاه غاية العز والفخر (وهذا حالى لا يخفى عليك) وهذا تلطف فى سؤال رحمة مولاه وسؤال نصره اذ مع الذلة تكون النصرة وقد خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبيا ملكا ونبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وقال بعضهم قلت لنهر جورى اجد فى قلبى قسوة وقد شاورت فلانا فأشار على بالصوم فلم أزل وشاورت آخر فأشار على بالسهر فلم أزل فقال النهر جورى رضى الله عنه خلطاؤك احضر الملتزم اذا نام الناس وتضرع وقل تحيرت فى أمرى فتحذيدى فتعمل فزالت القسوة (منك أطلب الوصول اليك) لا من غيرك وهذا صفة العارفين لا يطلبون منه تعالى الا الوصول المعنوى (وبك أستدل عليك) لا بغيرك قال احمد بن ابى الحوارى رضى الله عنه لا دليل على الله سواه وانما العز بطلب الآداب الخدمة (فاهدنى بنورك اليك) أى اهدنى بنور تخلقه فى قلبى اهتدى به الى معرفتك معرفة خاصة لا بنور عقلى (واقمنى بصدق العبودية بين يديك) حتى اكون ممتثلا لاوامرك راضيا بقدرك (الهى علمنى من علمك المخزون) أى من العلم اللدنى الذى اختزنته عندك فزتوته الاخصوصين من أوليائك ودخل الشيخ المصنف

ولا تأيم من جهة الزوج مادامت ذات الدوار وما بقى الليل والنهار قال عبد السلام خاصية هذه الايات الاحدى عشرة التى أولها بشرى لنا انه اذا كتبها قاصد السفر الى بلد بعيد ولا يعرف اخلاق أهلها ولا يعرفه أحد منهم وشق عليه الامر بالعمران فى جلد الهرة مدبوغا بالمسك والكافور واذا دخل أى بلد شاء فكل من رآه أحبه وقضى حاجته واذا زيرت هذه الايات مكسورة مبسوطة فى خاتم من رصاص فلا يموت لابسه غريبا ولا يموت الا فى بلده باذن الله تعالى معهم الجبال فصل عنهم مصادمهم *

ماذى رأى منهم فى كل مصطدم
وصل حنينا وصل بدرا وصل أحدا *

فصول خنف لهم أدهى من الوحم

قوله مصادمهم بضم الميم الاولى وهو اسم فاعل وقوله فصول بدل من الاسكنة الثلاثة بدل مفصل من مجمل ولهم متعلق بخنف وأدهى تعت خنف والمعنى

على شيخه ابي العباس المرسي فوجده يتكلم في انفاس الشارب فقال الاول اسلام والثاني ايمان والثالث احسان وان شئت قلت الاول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة وان شئت قلت الاول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقق قال المصنف فزال سيدي ابي العباس يقول وان شئت قلت الى ان بهر عقلي وعلمت أنه يقترف من فيض بحر الهي ومدد رباني وكان شيبان رجلا اميا وذكر ابن الجوزي وغيره ان الامام أحمد والشافعي مرا بشيبان رضي الله عنهم فقال الامام احمد للشافعي سل هذا الراعي وانظر جوابه فقال له الشافعي لا تعرض له فقال لابد من ذلك فقال له ياشيبان ماتقول فيمن صلى اربع ركعات فسها في أربع سجدات ماذا يلزمه فقال على مذهبنا ام على مذهبكم قال اهما مذهبان قال نعم اما عندكم فيلزمه أن يأتي بثلاث ركعات ويسجد للسهو واما عندنا فهذا رجل غافل القلب يجب أن يعاقب قلبه حتى لا يعود قال فما تقول فيمن ملك أربعين شاة وحال عليها الحول ماذا يلزمه قال يلزمه عندكم شاة واما عندنا فالعبد لا يملك شيأ مع سيده فغشي على الامام أحمد فلما افاق انصرفا وروى ان شيبان الجمال الراعي حج مع سفيان الثوري فعرض لهما سبع ففزع منه سفيان فأخذ شيبان باذن السبع وعركها فخضع له السبع وحرك ذنبه وقال والله لولا خوف الشهرة لوضعت ردائي عليه حتى أصل الى مكة الشريفة وكان من دعائه ياودود ياودود باذا العرش المجيد يامبدء يامعيد يافعالا لما تريد أسألك بعزك الذي لا يرام وبالكلمات الذي لا يزول وبنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على خلقك ان تكفيني شر الظالمين أجمعين (وصني بسراسمك المصون) اي احفظني عن اظهاري الاسرار او عن رؤية الاغيار بسر اسمائك المحفوظة عن الاهانة فانه لا يجوز ان يدخل بها في بيت الخلاء مثلا وعن ان يسمي بها غيره تعالى وسر الاسماء انوار تحصل لمن يذكرها فان اظهار الاسرار الغريبة كان سبب امتحان كثير من هذه الطائفة كما وقع في قضية الحلاج وفيها قيل من بحر الوافر

ومن فهم الاشارة قل عنها ... والا سوف يقتل بالسنان
كقتل الحلاج اذ نبذت ... له شمس الحقيقة بالتداني
فقال انا الحق الذي لا ... يصير ذاته سر الزمان

(الهي حققني بحقائق اهل القرب) اي ابنني على القيام بحقائق الربوبية واعطني مقامات أهل القرب منك الذين تمكنوا في مقام الفناء وزال عنهم كل حجاب فلم يروا الاسباب فلم يروا غيرك واكتفوا بتدبيرك عن تدبير انفسهم وبعلمك عن الشكوى لغيرك (واسلك بي مسالك أهل الجذب) وهم المجبوبون المرادون وسالكهم الآنس بحلاوة الطاعة والتلذذ بها والمعنى اجذبني اليك حتى اصل اليك في اقرب مدة واجد لذة وحلاوة في الاعمال (الهي اغنني بتدبيرك عن تدبيري) المحجوب بالجهل والعجز والذل فيخطئ طورا ويصيب طورا ويلازمه الحزن والشغل عن كمال العبودية حتى لا أدبر معك لوجود تدبيرك (وباختيارك لي عن اختياري) الذي لا فائدة تحته حتى أرجع في كل شيء الى اختيارك الذي هو قائم بمصالح العباد ولا يتوصل اليها الا بك (ووقفني على مراكز اضطراري) بتشديد الفاء اي اطلعني على مواضع افتقاري من عجز وذل وضعف حتى لا يبقى لي تدبير ولا اختيار (الهي اخرجني من ذل نفسي) اي لغيرك

لا تستبعد أيها الجاهل ما صارت اليه حالة الاسلام من تلك الحالة فان أولياءها وهم الصحابة الابطال مثل الجبال في الصلابة والصبر فان شككت في هذا فسل عنهم من صابهم بأجسادهم من أعدائهم في الحرب أي شيء الذي رأى منهم من الشدة في كل مكان اصطكاك الصفين وسل زمن غزوة حنين وهو واد بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وهو بين مكة والطائف وسل زمن غزوة بدر وهو اسم ماء بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخا وسل زمن غزوة أحد وهو اسم جبل في المدينة الشريفة بينهما ميلان ونصف أزمنة موت الكفار أشد مصيبة عليهم من الوباء فان من يموت منهم في زمن الوباء مدة طويلة لا يبلغ كثرة من يموت منهم في زمن مقاتلة المؤمنين لهم في ساعة واحدة * المصدري البيض حرابعد ما وردت * من العدا كل مسود من الدم والكائن بسمر الخط ما

بالطمع والحرص ومن كون نفسي تذلني وتوقعني فيما لايليق اي امدني بعزك (وطهرني من شكي) اي من ضيق صدري عند حدوث مكروه (وشركي) اي تعلقي قلبي بالاسباب مع غفلته عن المسبب (قبل حلول رمسي) اي قبل نزول تراب قبري (بك استنصر) اي بك لابغيرك اطلب النصرة على نفسي وهواي وشيطاني (فانصرني) عليها (وعليك اتوكل) في تحصيل مطالبي (فلاتكلني) اي لاتتركني الى غيرك وان كنت كاذبا في توكلي اوضعيفا غير تام (وايالك اسأل فلاتخيبني) وان كان سؤالي بالصورة وكنت أهلا للخيبة (وفي فضلك) لاني فضل غيرك (ارغب) اذ ليس لي في الدارين سواه (فلاتحرمني) اي فلاتمنعني من فضلك وان كنت سيء الأدب في رغبتي وان كنت اهلا للحرمان (وجنابك انسب) اي ولذلك لالغيرك انتسب بأني عبدك المعتمد عليك (فلاتبعدني) عن بابك وان كنت غير محقق في انتسابي (وببابك أقف) بالسؤال (فلاتطردني) عن بابك (الهي تقدس رضاك) اي تنزه رضاك الذي هو من صفاتك القديمة (عن ان تكون له علة منك) والالكنت محتاجا الى تلك العلة تتكمل بها (فكيف تكون له علة مني) فرضا الله تعالى لاعلة له ولاسبب وحينئذ فتبع افعالي لايكون سببا ليعدي والرضى هو الارادة من حيث تعلقها بشيء مخصوص بان يخص الله عبده بالفريد والاحوال السنية فيكون قديما فامتناع التعليل حينئذ واضح وقيل هو احسان مخصوص في حالة مخصوصة يرقى الله اليها فهو من صفات الفعل فامتناع التعليل حينئذ من جهة انه يفضي الى الافتقار كما تقدم تعالى عن افعاله تعالى واحكامه (انت الغني بذاتك عن ان يصل اليك النفع منك فكيف لاتكون غنيا عني) فلاتمنعك طاعتي ولاتضرك معصيتي فأسألك بالجاه وعن سيئاتي وانا الفقير بكل حال (الهي ان القضاء) وهو ارادة الله مع التعلق (والقدر) وهو ايجاد الله الاشياء على مقدار معين (غلباني) حتى وقعت فيما وقعت (وان الهوى يوثاني الشهوة أسرني) أي وان ميل النفس الى مرادها قيدني بالشهوة التي كالقيود حتى فعلت ما فعلت قال الحسن البصري رحمه الله تعالى من بحر الرمل

رب مستور سجنه شهوة * قدري من سره وانهتكا
صاحب الشهوة عبد فاذا * ملكت الشهوة اعصى ملكا

(فكن أنت النصير لي) بما توجه من آثار اسمائك وصفاتك (حتى تنصرني) على نفسي (وتنصرني) أي تنصر احبابي واصحابي على اعدائهم بسببي وكان لسيدي أبي القاسم الجنيد تلميذ في بلاد بعيدة فصدر منه حدث نفس في الصلاة فاسود جسمه فأطلع الله الشيخ على ذلك فطلب من الله ان يتوب ذلك التلميذ فيتوب الله عليه فابيض جسمه فاسود على الشيخ قال له لولا اني طلبت قبول توبتك لبقيت بذلك السواد الى ان تلقى الله فهذا شيء من معنى النصرة بهم (واغنني بفضلك) عن كل شيء (حتى استغني بك عن طلبي) اكتفاء باقتضائي قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه والسعيد حقا من اغنيته عن السؤال منك والشقي حقا من احرمته مع كثرة السؤال (انت الذي أشرقت الانوار) اي انت الذي جعلت الانوار مشرقة (في قلوب اوليائك حتى عرفوك ووحدوك) فصاروا في جنة المعارف يتقلبون وحصلوا تمام النعيم فاستغنوا بذلك عن الطلب (وانت الذي أزلت الاغيار

تركت *
أقلامهم حرف جسم غير منجم
قوله المصدري مفعول لفعل محذوف والبيض مضاف اليه قوله جراحا من البيض أو منصوب بنزع الخافض وبعد ظرف المصدري قوله من العدا حال من كل سود الواقع مفعولا لقوله وردت قوله من الهم نعت لسود قوله غير نعت لحرف قوله بسمر بضم فسكون جمع سمراء وهو صفة للرماح المحذوف كما في الاساس وقوله حرفه مفعول به لكل من الكاتبين وتركت والخط شجر يؤخذ منه خشب الرماح واسم موضع في اليمامة تنسب اليه الرماح الخطية التي تحمل من بلاد الهند والمعنى أذكر أو أمدح الصحابة المرجعين السيوف المصقولة حمرا من دماء القتلى بعد اثبانها كل شخص مسود شعره المجاور لحمة الاذن وهم الشبان حال كونهم من العدا وامدح الطاعنين بالرماح الخطية السود اللون ما تركت أسنة رماحهم طرف جسم من

من قلوب احبابك) اى انت الذى أذهبت التعلق بالكونات من قلوب اوليائك بالانوار (حتى لايحبوا سواك ولم يلجؤا) اى لم يستندوا (الى غيرك) حتى ينظروا اليك ببصائر الايقان (انت المؤنس لهم) بجميل أوصافك وعظم جلالك اذا شهدوه (حيث أوحشتهم العوالم) بما صدر من المضار منها (وانت الذى هديتهم حتى استبانت لهم العالم) اى انت الذى هديتهم بنور عنايتك الى طريق التوحيد والمعرفة حتى ظهرت لهم دلائل ذلك فانشرحت صدورهم بانوار الايمان واليقين فلم يتداخلهم شك (ماذا وجد من فقدك) فالاستفهام انكارى بمعنى النفى اى لم يجد شيأ من اعتمد على غيرك فان من سواك عدم (وما الذى فقد من وجدك) اى لم يفقد شيئا من وجدانك فى قلبه معتمدا عليه لان من كان له مالك الكل كان له الكل وما احسن قول القائل من بحر الطويل

اذا صح فيك الود فالكل هين ٭ وكل الذى فوق التراب تراب

(لقد خاب من رضى دونك بدلا) وكيف لايخيب من رضى ببعض ممالك الله تعالى وقد روى الشبلى رضى الله عنه فى المنام بعد موته فقيل له مافعل الله بك فقال لم يطالبنى بالبراهين على الدعاوى الا على شئ واحد قلت يوما لاخسارة أعظم من خسارة الجنة ودخول النار فقال واى خسارة أعظم من خسران القائل (ولقد خسر من بغى عنك متحولا) وفى نسخة معدلا اى والله لقد هلك حقا من طلب الوصول عنك بعد اقبالك عليك لانه مطرود عن حضرتك الى التعلق بغيرك كالكرامات والمكاشفات فهذا شبيه بمن طلب منه الملك ان يكون جليسه فيرضى الابسياسة الدواب (الهى كيف يرجى سواك وانت ماقطعت الاحسان) فى حال من الاحوال حتى فى حال العصيان بل احسانك على عبدك مستمر لاينقطع وان نقص بسبب ترك الشكر (وكيف يطلب من غيرك وانت مابدلت عادة الامتنان) فان غير الله تعالى لاتتصور منه وجود احسان الا باستمداده تعالى له فى ذلك الاحسان (يامن أذاق احباءه حلاوة مؤانسته) وهى سرور القلب بشهود جمال المحبوب (فقاموا بين يديه متملقين) اى متلطفين فى التودد للتلذذ بالمؤانسة طالبين من المولى بذله وانكسار (ويامن ألبس اولياءه ملابس هيبته) اى عظمته التى كساها الله لهم فكل من رآهم حصل له رعب منهم كأنهم اسود فهابتهم الاعداء من الشيطان والنفس والهوى والدنيا والخلق المشغلين فلم يجدوا لهم سبيلا (فقاموا بعزه مستعزين) اى قاموا بين يديه رافعين هممهم عن تعلقها بغير الله تكبرا عليه وتقدسهم بالله تعالى فصار لهم كل شئ (انت الذاكر من قبل الذاكرين) اذ لولم تذكرهم بالتوفيق ماذكروك (وانت الهادى بالاحسان من قبل توجه العابدين) اذ لولم تواجههم عنايتك ماتوجهوا اليك (وانت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين) اى قصد القاصدين اليك قال ابو يزيد رضى الله عنه غلطت فى ابتداء امرى فى أربعة أشياء توهمت انى أذكره واعرفه واحبه واطلبه فلما ثبت رأيت ذكره سبق ذكرى ومعرفته تقدمت معرفتى ومحبته أقدم من محبتى وطلبه لى أول حتى طلبته فاذا كانت له الاولية فى ذلك لم يبق للعبد وسيلة يتوسل بها سوى فضله وكرمه لان الذكر والعبادة منة من الله على عبده اذ هو الذى هيأه وأهله لذلك فاذا شهد العبد ذلك حصل له الفرح والسرور باقبال سيده

أجسام الكفار غير مؤثر بالطعنة
شاكى السلاح لهم سيما تميزهم ٭
والورد يمتاز بالسيما عن السلم
تهدى اليك رياح النصر نشرهم ٭
فقصب الزهر فى الاكمام كل كمى
قوله شاكى حال من الابطال أو خبر مبتدأ محذوف قوله فقصب الزهر فى الاكمام كل كمى من باب التشبيه المقلوب أى هم حادى السلاح أى آلة الحرب لهم علامة تميزهم عن غيرهم بالخشوع والهيئة الحسنة وقيل بصفرة الوجوه من السهر وقيل بأثر التراب على وجوههم لانهم كانوا يسجدون على التراب لا على الثياب كما ان الورد يتميز عن السلم بالعلامة فان الورد يمتنع من الحيوان الخسيسة سهل التناول طيب الرائحة حسن الخلقة بهى المنظر نوره أحمر غالبا والسلم بضد ذلك ونوره أصفر ترسل اليك الرياح التى حصل بها نصرهم غيرهم السار فتلقين أنت أيها المخاطب كل شجاع

عليه واعتائه بدعائه والاعتراف بالفضل لله في المناجاة أقرب الى الاجابة وحكى عن الجنيد في مناجاته ياذا كر الذاكرين بجاه ذكروه وياذكرى العارفين بجاه عرفوه وياموفق العابدين لصالح ماعملوه من ذا الذي يشفع عندك الاباذنك من ذا الذي يذكرك الا بفضلك (وأنت الوهاب ثم أنت للاوهبنا من المستقرضين) فاستقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه فمن انفق في سبيل الله عن طيب نفس فقد اقرض الله قرضا حسنا وذلك من نوع التفضل الذي هو في الباطن محض تفضل وفي الظاهر معاملة اومعاوضة وذلك من كمال الكرم والفضل حتى يخرج العطاء عن صورة العطاء ومن هنا عظم شان اخفاء الصدقة باظهارها في صورة المعاوضة كان يشتري شيأ من رجل فقير محتاج بثمن زائد بقصد الصدقة أو يبيع له شيئا غاليا بثمن قليل بذلك القصد وقد اطلع بعض الاغنياء الموقنين الخبير على جار من جيرانه فرآه لم يجد ماء يتوضأ منه فقال في نفسه جارلي ليس له ماء يتوضأ منه ثم قال ان أمرت له بماء يعلم اني اطلعت عليه فيخجل له الخجل فأمر ان يعطى لكل واحد من جيرانه ماء وذلك الجار الذي رآه من جملتهم حتى لا يخجل له فالله تعالى ملك عبده ماوهبه له ثم استقرضه منه رفعا لقدره واظهارا لشرفه ثم وعده على ذلك أن يضاعفه له اضعافا كثيرة من عشر الى اكثر من ذلك لمن يشاء والله واسع فضله عليم بمن يستحق المضاعفة (الهي اطلبني برحمتك) الى القرب منك (حتى أصل اليك) بلطف وصولا معنويا (واجذبني بمنك حتى اقبل عليك) فلا يصير لي قدرة على الامتناع والشيخ رحمه الله طلب من سيده أن يطلبه برحمته لا أن يطلب هو سيده لصعوبة الوصول اذذاك فولى تولاه الله وولى تولى الله فالاول يقال له أنت لنا عملت أولم تعمل والثاني يقال له اعمل لتقرب وفرق كبير بينهما فالاول ولايته كبرى وهي أصل الجذب فلذا طلبها الشيخ بقوله واجذبني بكسر الذال بانعامك حتى أقبل عليك بضم الهمزة (الهي ان رجائي لا يقطع عنك وان عصيتك) لعرفي أنك اليدي بالاحسان (كما أن خوفي لا يزايلني) أي لا يفارقني (وان أطعتك) لعلمي بانك المفضال لا تريد وان الطاعة لا توجب شيئا فان الاكل استواء الرجاء والخوف وهو شأن الخاصة لانهم لا يشهدون الاعمال وقعت منهم حتى يقوى رجاؤهم بالطاعة ويزيد خوفهم بالمعصية بل يشهدون صفات الجلال المقتضية للهيبة وصفات الجمال المقتضية للانس فلا يزيد خوفهم ولا رجاؤهم قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني أجدني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف أخلصها وأنا بالآفة معروف وأجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف (الهي قد دفعني العوالم اليك) برؤيتي لها أنها لا تقبل ضرا ولا نفعا ولقد أحسن من قال لا وحشة مع الله ولا راحة مع غير الله وفي هذا المعنى أنشدوا من بحر البسيط

باقرة العين مل عيني هل اكتحلت * بنظرة منك حسن مذ غبت عن عيني

حكي عن بعضهم أنه قال كنت جالسا في جماعة فوقف علينا سائل وسأل شيأ فلم يعطه أحد شيئا فبكى بكاء شديدا فرق له قلبي فقلت له تعال حتى أعطيك شيأ قال اني لم أبك لما فوتني ولكني تذكرت ذل من لا يفتقر من رحمة الله كيف يكون حاله ومضى فلما كان بعد أيام هذا

منهم في استتاره بالسلاح والدروع زهرا مستورا في غلافه

كانهم في ظهور الخيل نبت ربا *

من شدة الحزم لا من شدة الحزم

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا *

فما تفرق بين البهم والبهم

قوله في ظهور حال من الضمير قوله من شدة الحزم بكسر الشين وبفتح الحاء وسكون الزاي معنى ضبط الامر قوله لا من شدة الحزم بفتح الشين وبضم الحاء والزاي جمع حزام قوله بين البهم بفتح الباء وسكون الهاء أي العضال قوله والبهم بضم الباء وفتح الهاء اي الشجعان والمعنى كالصحابة حالة كونهم على ظهور الخيل ثبات على الارض المرتفعة في ثباتهم فزيتقلعوا منها والخاطر كون القطن والاتقاء كما يتحرك النبات على الربا بحر الرياح كذا وذلك من أجل وفور أبهم لا من ربط الحبال التي تربط بها السرج على ظهر الدابة فاضطربت قلوب الاعداء من أجل قوة

أنا بانسان عليه ثياب حسنة ووقف عليا وسلم وقال اتعرفوني فقلنا لا فمن أنت قال أنا السائل الذي رددتموني ذلك اليوم فرجعت الى ربي وسألته فاغناني وأحسن انعامي فمن ذا الذي يحتاج منكم الى شيء وتكرم على كل واحد منا بشيء (وقد أوقفني على بكرمك عليك) أي صيرني على بكرمك الى الوقوف على بابك اذ الكريم تعالى لا يرضى ان ترفع حاجة الى غيره ولا يخيب رجاء من أمله (الهي كيف أخيب) أي كيف لم يحصل لي ظفر بالمطلوب (وأنت أملي) أي الذي أملت العطاء منه لان عادتك الاحسان (أم كيف أهان) أي أذل (وعليك متكلي) أي اعتمادي قال سهل رحمه الله من يكل أمره الى ربه فان الله يكفيه هموم الدارين (الهي كيف استعز وأنت في الذلة أركزتني) أي كيف يحصل لي عز لذاتي وأنت غرزتني في الذلة فلا أعرفها (أم كيف لا أستعز واليك نسبتني) أي بل كيف لا يحصل لي عز والحال أنك قد نسبتني اليك نسبة خاصة حتى قال من رآني هذا عابد ومطيع وولي لله وأنت لك العزة جميعا وتعزز العبد على حسب عز سيده والتعزز بالله يوجب الفرح به لا تعاظم على الاخوان والتذلل لله يوجب التودد والانكسار لله والتواضع لا الخضوع للاغنياء لفقاهم والرؤساء لرياستهم (الهي كيف لا افتقر وأنت الذي في الفقر أثبتني) أي كيف لا افتقر اليك والفقر صفة لازمة لي فلا خروج لي عنه لابتدائي (أم كيف افتقر وانت الذي بجودك اغنيتني) اي بل كيف صرت فقيرا الى غيرك والحال أنك الذي اغنيتني بكرمك (انت الذي لا اله غيرك) يستند اليه في كل شيء (عرفت لكل شيء) اي صرت معروفا لكل شيء بالادلة التي ملأت بها الوجود (فما جهلك شيء) يقتضي السر المكمن فيه وطبعه واوامرك قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم (وانت الذي تعرفت الى في كل شيء) بان اودعت في نورا (فرأيتك ظاهرا في كل شيء) بسبب ذلك النور أي لما رأيتك متصرفا في كل شيء رأيتك ظاهرا في كل شيء وما أحسن قول من قال من بحر المتقارب

* اذا المرء كانت له فكرة * ففي كل شيء له عبرة *

(فانت الظاهر لكل شيء) فكل شيء عارف لله على حسب ما ظهر له فمن صدق مع الله ظهر له من كل شيء انواع التعريف وفنون التسبيح فيكون له في اصوات الطيور وصرير الابواب معرفة به زائدة عن غيره (يا من استوى برحمانيته على عرشه) فرحمانيته تعالى كونه رحمانا واستواؤه على العرش ظهوره به ظهورا دلالة وتعريف لا ظهور حلول وتكيف ومعنى ظهور الرحمانية على العرش ان الرحمن اسم يقتضي وجود كل موجود اذ الرحمة تقتضي الايجاد فانما أوجد الموجودات برحمته وكل موجود لا يخلو من نعمة الايجاد ونعمة الامداد فالموجودات دالة على رحمته وكما ظهرت رحمته في الموجودات ظهرت حكمته الباهرة وعلمه وارادته وقدرته وعظمته وكبرياؤه وقهره لكن اختار الله تعالى اسم الرحمن في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى رفقا بالعرش اذ لو قال الله تعالى مثلا القهار او القادر او العظيم ولم يذكر الرحمة لاضمحل العرش وتدكدك وذاب (فصار العرش) الذي هو أعظم المخلوقات (غيابا في رحمانيته) لا ظهورا له بالنسبة لرحمته لان ارادته تعالى التي خصص العرش بها وقدرته التي أوجده فيها وعلمه المحيط به لا نهاية لها والعرش متناه ورحمته تعالى

الصحابة في الحرب خلوفهم منهم فبسبب ذلك حصل لهم دهش حتى صارت قلوبهم لا تفرق بين اولاد الضأن وشجعان الفرسان وهذه الابيات الثانية التي أولها من قوله هم الجبال الى هنا خاصتها أن من كتبها في جلد او على باب أو دار أو بستان لا يصل الى ذلك المكان سارق ولا دود ولا جراد ولا غير ذلك مادامت تلك الكتابة باذن الله

ومن تكن برسول الله نصرته *

ان تلقه الاسد في آجامها تجم

قوله ومن تكن من شرطية وتكن بالفوقية أو بالنصبة تامة أو ناقصة فنصرته فاعل أو اسم قوله برسول الله متعلق بنصرته أو خبر لتكن وجملة قوله ان تلقه الى آخره جواب من وقوله الاسد بضم الهمزة وسكون السين والمعنى ومن كان منصورا بسبب رسول الله باتباع سنته وترك ما كان على خلاف شريعته

ترجع الى ادراكه الايجاد واذا كانت صفاته تعالى لانهاية لها فكيف يكون لمتناهي ظهور مع غير المتناهي بل نقول لو وجد الف الف الف عرش لكانت كلها ضيافي رحابته وعلم وارادته وقدرته فالاكوان كلها علويها وسفليها كذلك من باب اولى وسلطان كبرياء الله تعالى محيط بجميع ذرات الكون والكون صاغر في قبضة الرحمن أقل من خردلة والنظر الى اسلام سيدنا عمر رضي الله عنه فانه لما سمع قراءة زوج أخته سعيد بن زيد رضي الله عنهم الرحمن على العرش استوى الآية قال ان اله محمد لعزيز له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ثم قال لاخته يا فاطمة قالت ما نشاء قال أربكما ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى قالت اي والله يا عمر ويحك يا فاطمة ان الالف الوف من الالف لا يجاوز سلطانها سوق مكة وأسمع ان رب محمد الذي يدعو اليه ما في السموات الآية وهذا الملك عظيم وسلطان قوي (كما صارت العوالم غيبا في عرشه) فان العوالم كلها بالنسبة للعرش كالذرة في الفلاة المتسعة فكأنها غائبة لا وجود لها بالنسبة له ففي حديث ابي ذر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال يا ابا ذر ما السموات السبع والارضون عند الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة اهـ اذا علمت ما تقدم فالظهور للعرش ولا للعوالم وانما الظهور التام لله تعالى وكل موجود بالنسبة لوجوده تعالى عدم (محفت الآثار بالآثار) اي غيبت بالله واغيبت العوالم بالعرش فاذا غابت الآثار في الآثار فكيف لا تغيب الآثار كلها في جلال صفاتك وعظمة معاني اسمائك فاذا قال أهل الشهود والعيان انا لا نرى الخلق شيأ وان كان ولا بد فانا نراهم كالهباء في الهواء (ومحوت الانوار بمحيطات أفلاك الانوار) اي واذهبت الاغيار اي العرش والعوالم بالانوار التي هي معاني أسماء الحسنى التي هي كالافلاك المحيطة اي جعلت الاغيار آثار المعاني الاسماء وتلك المعاني غير متناهية فانمحى المتناهي في غير المتناهي فالخالق مثلا يصح لان يخلق ألف ألف مثال هذه العوالم الى غير نهاية فكيف لا تغيب هذه المخلوقات الموجودة في معنى الخالق وعليه فقس (يا من احتجب في سرادقات عزه عن أن تدركه الابصار) اي يا من حجب غيره عن ان يدركه فغيره تعالى هو المحجوب وأما هو تعالى فالحاجب فالعقول عاجزة عن ادراك معاني أسمائه كالخالق والرازق والمعطي والمانع والعز والذل لان خلقه لا يتناهى عند حد ورزقه كذلك وقس واذا عجزت عن ادراك معاني الاسم فكيف تحيط بالمسمى واضافة سرادقات الى عزه من اضافة المشبه به للمشبه والسرادقات هي الستور وكل ما يتعذر الوصول اليه يقال له عزيز اي يا من حجب غيره في قوته العظيمة التي كالاستار في منعها من الابصار فالعزة تمنع عن ادراك الله تعالى بالابصار والافهام والاوهام كما تمنع الاستار عن الابصار (يا من تجلى) على العارفين (بكمال بهائه) أي بحسن صفاته وأسمائه (فتحققت عظمته الاسرار) فعظمته مفعول مقدم والاسرار فاعل مؤخر اي فتيقنت قلوب العارفين عظمته تعالى بحسب قوة التجلي اي اذا تجلى الله بصفاته على عارف فني عما سوى الله فيرى صفات الله ويغنى عن صفات نفسه ويصير مجردا عن قصد الاغراض فيؤدي حق الله تعالى عبودية وانقيادا (كيف تخفى وأنت الظاهر) بظهور أفعالك وتصرفاتك في العالم (أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر) أي الرائي لنا

ان تلك الاسد حال كونها في الحلات التي تستتر فيها تسكت مع الغيظ أي فلم يسمع لها صوت خوفا من أن يأتيها القصور باستغاثة رسول الله فيقبض عليها كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد عنيقه سفينة رضي الله عنه الى معاذ في اليمن فلق الاسد فأعلمه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فتهم وتنحى عن الطريق ويمكن أن يراد بالاسد الشجعان وبالآجام الحصون وهذا البيت والذي بعده خاصية هذه الثلاثة أن من كان خائفا من سبع ضار أو جارح من طير في بحر أو بر وقرأ سبع مرات وبلغت عن بساره سبع مرات أو كتبها بريشه في كفه وأراها السباع فانها تذهب عنه باذن الله تعالى وقال بعضهم ان هذا البيت الواحد ان كتبه شخص بحروف مقطعة غير منقوطة في شيء كان محفوظا بحفظ الله تعالى ولن ترى من ولي غير منتصر *

به ولا من عدو غير منقصم

قوله من ولي من زائدة

في حركاتنا وسكناتنا الذي ليس بغائب عنا (والله الموفق وبه المستعين) وكان ذو النون يقول كل يوم الهي وسيلتي اليك تعمك على وشفيعي اليك احسانك الى الهي ادعوك في الملا كما تدعي الارباب وادعوك في الخلا كما تدعي الاحباب اقول في الملا يا الهي وأقول في الخلا ياحبيبي ارغب اليك وأشهدك يا مربيه مقرا بانك ربي واليك مردي ابتدأتني برحمتك من قبل أن أكون شيأ مذكورا خلقتني من تراب ثم اسكنتني الاصلاب ونقلتني الى الارحام انشأت خلقي من مني يمنى ثم اسكنتني في ظلمات ثلاث بين دم ولحم ملتات وكونتني في غير صورة الاناث ثم نشرتني الى الدنيا تاما سويا وحفظتني في المهد طفلا صغيرا ورزقتني من الغذا لبنا مريا وكفلتني جور الامهات واسكنت قلوبهم رفقي وشفقة علي وربيتني باحسن تربية ودبرتني باحسن تدبير وكلأتني من طوارق الجن وسلمتني من شياطين الانس وصنتني من زيادة في بدني تشينني ومن نقص فيه يعيبني فتبارك ربي وتعاليت يارحيم فاذا أستهلت بالكلام اسبغت علي سوابغ الانعام واتبعتني زائد في كل عام فتعاليت ياذا الجلال والاكرام حتى ملكتني شأني وشددت أركاني أكملت لي عقلي ورفعت حجاب الغفلة عن قلبي وألهمتني النظر في عجائب صنعك وبدائع عجائبك واوضحت لي حجتك ودللتني على نفسك وعرفتني ماجاءت به رسلك ورزقتني من انواع المعاش وصنوف الرياش جنك العظيم واحسانك القديم وخلقتني سويا ثم لم ترض لي بنعمة واحدة دون أن أتممت علي جميع النعم وصرفت عني كل بلوى وأعليتني الجور لاجتنبه والتقوى لالزمها وارشدتني الى ما يقربني اليك زلفى فان دعوتك أجبتني وان سألتك أعطيتني وان جدتك شكرتني وان شكرتك زدتني فاي نعمك أحصي عددا وأي عطائك أقوم بشكره اما اسبغت علي من النعماء اوما صرفت عني من الضراء الهي أشهدك بالشهادة بك ظاهري وباطني واركاني وجوارحي الهي اني لا أطيق احصاء نعمك علي فكيف اطيق شكري عليها وفدفلت وقولك الحق وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها أم كيف يستغرق شكري نعمك وشكرك من أعظم النعم عندي وأنت المنعم به علي كائنا ما كانت سيدي ومابكم من نعمة فمن الله وقد صدقت في قولك الهي وسيدي وقد بلغت رسالة ما أنزلت اليهم من وحيك فيرأني أقول بجهدي ومنتهى علمي ومجهود وسعي وبلغ طاقتي الحمد لله على جميع احسانه حمدا يعدل حمد الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين قال المؤلف قد تم من كتب هذا الشرح في اثناء شهر جمادى الاولى سنة الف وثلثمائة وخمسة بتوفيق الله تعالى وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله أولا وآخرا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آمين

في الفعول قوله غير بالجر نعت اول على اللفظ أو بالنصب على محله قوله ولا من عدو غير منقصم الواو حرف عطف ولا زائدة تأكيدا لما قوله من عدو وغير منقصم فيه مثل ما تقدم والتقصم بالقاف على ما هو الرواية أي التكسر المقطوع والمعنى ولن تبصر أيها المخاطب مؤمنا متقيا قط نابذا على طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منتصر به صلى الله عليه وسلم ولا كافرا غير مقهور به قال بعضهم خاصية هذا البيت ان من كرره بنية اهلاك من عاداه يهلك باذن الله تعالى • أحل امنه في حرزه ملته كالليث حل مع الاشبال في أجم اي لانه صلى الله عليه وسلم أنزل أمنه الذين اقتفوا سنته في حصن دينه الحصين كما ينزل الاسد مع أولاده في الغاب فهو صلى الله عليه وسلم بمنابة الليث وأمته بمنابة الاشبال ودين الاسلام بمنابة الاجم وهذا التشبيه اما الان ما حصل لهم بعصمة الاسلام من اليقين في قلوبهم بدون

(هذه)

﴿ هذه منظومة المقدمة السنوسية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى توحدا * فى ذاته وملكه تفردا
ثم الصلاة والسلام الدنيى * وآله وصحبه الأحزاب
اقسام ماحكم به العقول * وجوب واجواز والمحال
فواجب مايقبل النبوتا * والمستحيل لانتفاء الثبتا
وجائز فيه استوى الأمران * فاعرف اله الخلق بالبرهان
وكل مايجوز وامتنع وجب * فقوا رسل فعلنا وجب
وجود مولانا لذاته الذى * دليله انشاؤنا من العدم
وسائر العالم على الاطلاق * صنع الاله الواحد الخلاق
والصنع لابد له من صانع * ففيه كفر بالنزاع
وواجب لزنا وصف القدم * اى مايسبق عليه وصف بالعدم
برهانه لولم يكن قديما * لكان حادثا وصار العدما
ثم البقا لذى الجلال والغنا * فيستحيل ان يزول بالفنا
برهانه لو يلحق الله العدم * لم يتصف بضد سلب كالقدم
وخطفه الكاشه قد انحتم * برهان هذا ظاهر من القدم
قيامه بالنفس اى لايفتقر * الى محل وفاعل مؤثر
برهانه لو افتقر صار صفه * وحادثا اعراضه منكشفه
ووحدة الاله لا نظير له * فى الذات والصفات ثم الفعله
برهانه لو كان ثان ما وجد * شئ لصحة التمانع فافتقد
وقدرة ارادة علم حياة * لذاته برهانها ذى الكائنات
سمع بصر كلام غير منقطع * برهانها نقل وايضا فجميع
وتغلب الصفات امر ازائدا * على قيامها بذات فاعتمدا
فقدرة ارادة علمنا * يمكن سمع بصر بما اتى
على كلام علمنا واجب * وجائز ومستحيل فاطلب
حياته شرط ولا تعللا * والمستحيل ضد ماقد سبقا
وهذه السبع اقتضت حكما لمن * تقوم به فلا تنط ذا فافهمن
والممكنات فعلها بلا غرض * جائزه كتركها وما افترض
برهانه لو استحال او وجب * ادى الى انقلاب حكم ماانقلب
رؤياه فى الدنيا على الفتار * ما نالها غير لا غمار
والانبيا قد ايدوا بمعجزه * كالاولياء خصوا بنوع مكرمه
وافضل الجميع ذو الشفاعه * غوث الورى من هول يوم الساعه
ومعجزات الصادق العدنانى * اجلها القرآن ذو البيان

عليهم بذل نفوسهم فى ذات الله تعالى فو تهم فى القتال لاعلاء دين الله أشهى عندهم من الحياة وهذا هو الحض بحقيقى واما الذى ماحصل لهم من الايمان فى القلوب يتابد من حل فى حصن حصين فمن أراد أن يدخل فى القلوب شيأ مما تخالف الايمان لم يجد الى ذلك سبيلا وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالاسد وتشبيه امته بالاشبال لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالآباء لانهم فى السلطنة وكان الشجاعة ورفعة الهمة والشفقة على الاتباع والاصل فى الاسلام وسبب الحياة الحقيقة قوله كالليث حال من ضمير أحل وقوله حل اما صفة لليث او حال منه ثم ان انتصار دين الاسلام يكون بالسيف تارة وقد تقدم الكلام على ذلك وبالحجج تارة اخرى وأقوى تلك الحجج جميع القرآن كما أفهمه قول الناظم
* كم جدلت كلمات الله من جدل *
فيه وكم خصم البرهان من خصم
كفاك بالعلم فى الامى معجزة *
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

اوجب لهم صدقا كذا أمانه • تبليغهم الخلق والفطانه
لو افترق الحكم او بعض الخبر • لكان ساريا خلاف البشر
ولو أتوا بوجب الشناعه • لكان قطنا الحرام طاعه
برهان تبليغ فطانة اتى • به كلام الله فاعلم باتى
ويستحيل ضد ما تقدما • وكل ما أدى لنقص كالعما
وجائز في حقهم من العرض • ما لا يؤدى قادحا مثل المرض
برهانه المشاهده العاضر • وكونه لغائب بالتواتر
وواجب ايمانا بالرسل • ملائكه وبالكتب والهول
والموت والبعث وبالحساب • والوزن والجزاء والكتاب
حوض صراط جنة نيران • والحور والقصور والولدان
وكل ما جاء عن المختار • حق فصدقه بلا انكار
وما ورد في النص بالاجمال • وضده فاجلن وفصل
وحقق البعض دخول ما سلف • تحت رسالة النبي بلا كلف
وأفضل الصحابة الصديق • عمر فعثمان على حذاق
فأهل دار أرقم فالبدرى • فأحد فبيعة السجرى
والشافعي ومالك وأحمد • أبو حنيفه كلهم مجتهد
فقلدنهم في الفروع لا اعتقاد • ان لم تكن أهلية الاجتهاد
فاطلب الولى به ولا تحد • عن بابه دوما وكن باذا بعد
فمن يكن معلقا بالناس • يقبل بنفسه لباس
وصحبة النساء والشبان • أقوى لقاطع عن الرحمن
فجاهد النفس تجنب ما تحب • والزم لتقوى الله الغنى تصب
وازهد الدنيا وما سواها • وتب الى الولى وكن تبها
والزم رجا خوفا معا تم الرضا • والصبر والتوكل التفويضا
وطهر القلب من الاكدار • دواؤه بكا لك في الاسحار
أمسك لسانك فاستعذ من شره • ثم اعتزل كل لسان من ضره
وكن حليما صمتا كريما • ذا عفة وقورى رحيما
والزم تلاوة وذكر مع قيام • ثم الدعاء اخلص والصيام
صل على مبلغ الاحكام • واستغفر الولى على الدوام
ثم الصلاة للنبي والآل • من قد محوا الشرك والضلال
والتابعين من حموذوو الشق • ما قام دين المصطفى وحققا
قمت وهذى الدرة السنيه • بحمد رب العرش ذى العطيه
ايا نها النجم الزم أن تضيئ • عن البسوط من قد اعتنى

﴿ ويليه بقية شرح البردة الذى بالهامش ﴾

قوله كم خبرية موضعها نصب على المصدرية قوله جدلت بتشديد الدال أو بتخفيفها قوله من جدل بكسر الدال تمييز كم وقوله فيه متعلق به والهاء النبي صلى الله عليه وسلم قوله خصم بتخفيف الصاد المفتوحة قوله من خصم بكسر الصاد صفة مشبهة وهو تمييز كم وقال الشيخ خالد من جدل مفعول جدلت ومن خصم مفعول خصم ومن في الموضعين زائدة وتمييز كم في الموضعين محذوف قوله بالعلم فاعل كفى وقوله في الاسى حال من العلم أو صفة له ومجرة تمييز قوله في الجاهلية حال من العلم أو صفته قوله والتأديب بالجر عطفا على لفظ العلم وهو الرواية أو بالرفع عطفا على محله قوله في البيتين حال من التأديب وهو بضم التاء على لغة والمعنى كم مرة رمت الى الآن في المجادلة آيات الله شخصا كثير الجدال في أمره صلى الله عليه وسلم وكم مرة غلب الدليل القاطع شخصا كثير الخصام وبقال كثيرا